جامعة امدرمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

الاتجاه التجديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول

دراسة تحليلية نقدية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب / احمد الطيب خوجلي عباس

إشراف الدكتور/ بابكر بدوي دوشين

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

قال تعالى

{ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (١١٤) سورة طـــه

صدق الله العظيم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

أقدم هذا البحث إلى روح أبي الطاهرة وفاء و عرفانا لما قدمه لي في حياتي العملية. ثانيا إلى أمي ذلك الحنان المتدفق والمعين الذي لا ينضب أمد الله في عمرها. ثالثا إلى زوجتي المخلصة الصابرة التي عاشت معي هذا البحث لحظة بلحظة وتعبت معي حتى إكماله. وأخيرا إلى أبنائي إيهاب، إسلام والصغير أكرم الذي كان مولده مع بداية هذه الدراسة، حفظهم الله ورعاهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر

في البدء أتقدم بجزيل شكري إلى الأستاذ والمربي الفاضل الدكتور/ بابكر بدوي دوشين، الذي فتح لي باب منزله وأعطاني من وقته الغالي الكثير وأرشدني في هذه الدراسة حتى أكملت فجزاه الله خيرا، أتقدم بالشكر أيضا إلى أخي العزيز الدكتور احمد حسن قرينات الذي قام بمراجعة وتصحيح هذا البحث رغم ظروفه ومسئولياته وأسرة مكتبة جامعة الخرطوم لما وجدته من مساعدة في توفير الكتب والمراجع. كما أتقدم أيضا بالشكر أيضا إلى الدكتور محمد خوجلي احمد الذي قدم لي الكثير و من خلاله أسرة مكتبة كلية التربية جامعة الخرطوم، والشكر موصول إلى النقابة العامة لعمال التربية والتعليم ممثلة في رئيسها الأخ/ عوض صالح النو لوقفته ومساعدته لي معنويا وماديا، وإدارة التعليم الثانوي بمحلية الكاملين ممثلة في الأستاذ/ الفاتح احمد محمد علي ذلك المربي الفاضل الذي أعطاني الكثير فجزاه الله خيرا. وأسرة مدرسة المسعودية الثانوية بنين وبنات، وأسرة مدرسة إسماعيل يوسف الثانوية المشتركة بالتكلة، وموصول لكل من وقف معي في هذه الدراسة برأيه وتوجيهه وتشجيعه وأولا وأخيرا لله العلي القدير الذي وفقني لإكمال هذه الدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد:

التغيير الذي طرأ على الحياة العباسية

تعدُّ الثورة العباسية التى قامت في القرن الثاني الهجرى من الثورات التى غيَّرت مسيرة التاريخ الاسلامي فكرياً وسياسياً وثقافياً، حيث امتدت "١٣٢ – ٦٥٦هـ – ٧٥٠ – ١٢٥٨م) وهى فترة طويلة تربو على خمسة قرون بحوالى ربع قرن "٥٢٤ عاماً هجرياً"، وهى من الثورات الكبيرة التى أراد بها أصحابها الإصلاح الاجتماعي كهدف أساسى حيث انهدم ذلك في فترة بنى أمية، وقد عملت هذه الثورة على القضاء على الأمويين بمساعدة العنصر الفارسيى. كما ساعدت بعض العوامل الداخلية التى أضعفت من قوة الامويين، مثل ثورة ابن الزبير وابن الأشعبَّ ويزيد بن المهلب من جانب وثورة الخوارج من جانب آخر. أضف إلى ذلك العوامل التاريخية والسياسية التى كان لها أثر كبير في انتقال الخلافة للعباسيين ونهاية الامويين.

وبعد أن انتقلت السلطة من الأمويين إلى العباسيين بعد الصراعات المريرة التى كادت أن تعصف بالدولة الإسلامية نتيجة الخلافات السياسية. سيطر العباسيون على زمام الامور ونقلوا العاصمة إلى بغداد لتكون حاضرة الدولة، بدلاً من دمشق التى اتخذها الامويون من قبل. وقد توارث عرش هذه الدولة عدد من الخلفاء العباسيين، ومن أشهرهم علي التوالي ابو عبد الله السفاح .(١٣٢-١٣٦هـ)[١] – ابوجعفر المنصور (١٣٦– ١٥٨)[٢] – المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) موسي الهادي (١٦٩-١٧٠هـ) ، هارون الرشيد :(١٧٠-١٩٣هـ) الأمين (١٩٣– ١٩٨هـ) المامون (١٩٨-٢١٨هـ)المعتصم (٢١٨-٢٢٧) والواثق : (٢٢٧-٢٣٢) هؤلاءهم الخلفاء الذين اسسوا هذه الدولة ونهضوا بها سياسيا واجتماعيا وثقافيا ، وقد شهد هذا العصر تحولا كبير في حياة الناس وخاصة الفكرية والادبية .

---

[١] الطبري ، تاريخ الطبري ١٢٣/٩ ط. القاهرة

[٢] الطبري ، تاريخ الطبري ١٥٤/٩ ط. القاهرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى بعض المؤرخين أن الفترة التي بدات بقيام الدولة العباسية إلي استيلاء بني بويه علي بغداد (١٣٢-٣٣٤) هي الفترة التي ازدهرت فيها الحياة الادبية واللغوية والفكرية علي نحو واسع النطاق ، حيث اهتم الخلفاء والولاة بالشعراء والادباء والعلماء ، واغدقوا عليهم الهدايا والهبات، وانفقوا علي نقل العلوم والمعارف نفقات هائلة ، وفي عهدي الرشيد ، والمامون كان يعطي المترجم ، وزن الكتاب ذهبا ، وكذلك قامت حركة ترجمة واسعة نقل خلالها كثير من العلوم والمعارف التي كانت تذخر بها الثقافات والحضارات الاخري .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحياة الاجتماعية والثقافية:

عندما فتح العرب العراق والشام ومصر ورثوا ما فيها من حضارات مختلفة ساسانية وكلدانية وبيزنطية ، وسامية قديمة ومصرية، وأخذوا يكتبون تراثهم العربي الخالص، وقد غلبت الحضارة الساسانية علي العباسيين ، ويظهر ذلك جلياً في بناء بغداد ، فقد بالغ العباسيون في المعمار في شتي المجالات: الدور والقصور والطرق وتنظيم المدن وترتيب الحدائق وغيرها من المشاريع التي تؤدي إلي استقرار الأوضاع. ولقد ظهرت معالم الترف والنعيم علي الدولة العباسية في البذخ الذي كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء والقوّاد وكبار رجال الدولة، وممن اتصل بهم من الفنانين والشعراء ، ومن العلماء والمثقفين، وكأنما كُتب علي الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعاً بالنعيم، وعليه أن يتجرع طعم البؤس والشقاء بسبب طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرموا الشعب حقوقه مما أدي إلي ظهور طبقات في المجتمع، طبقة تنعم بالحياة إلي غير حد وأخري تشقي إلي غير حد، وكانت خزائن الدولة هي المعين الغدق الذي هيأ لكل هذا الترف، فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض ، حتى قالوا أن المنصور خلّف حين توفي أربعة عشر مليوناً من الدنانير وستمائة مليون من الدراهم[1].

لقد تطورت الحياة في شتي جوانبها في العصر العباسي الأول، ومن المؤكد أن دراسة التطور الاجتماعي والفكري تكون له أسبابه المقنعة المندمجة حتى الوصول إلي القمة، وليس سقوط دولة في يوم وقيام دولة غيرها مكانها يعني وجود حد فاصل مميز بين عهدين في التطور، ومن هذا المنطلق فأن قيام الدولة العباسية لا يعني أن عوامل التطور والتغيير قد ظهرت فجأة معها أو لأنها كانت منعدمة قبلها، فالدولة الأموية نفسها تطورت وأصبحت صورتها في أخر أيامها تخالف صورتها في بداية أمرها، وكما يقول أحمد أمين:(إنّ الدولة الأموية لو قدر

([1]) المسعودي: ص ٢٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لها أن تستمر في الحكم الزمني الذي حكمته الدولة العباسية لظهر علي يديها من الحركات العلمية والإصلاحات الاجتماعية قريب مما ظهر علي يد العباسيين)[١]

لقد تغيرت الحياة في الدولة العباسية تغيراً واسعاً، وبهذا التغيير انتقلت الأمة من بقايا حياة البداوة إلي الحضارة ومن خشونة العيش أحيانا إلي رخاء النعمة، وشارك الشعراء والأدباء في هذه الحياة الناعمة مشاركة واسعة.

وليس من العجيب أن يختلف الشعراء في هذا العصر عمّا كانوا عليه في العصور السابقة ، لأن الشعراء الذين أقاموا في المدن في العصور السابقة علي هذا العصر كانوا قلة كعدي أبن زيد ، وأمية بن ابي الصلت وحسان بن ثابت، وعمر بن أبي ربيعة . ومعلوم أن الدولة الأموية كانت تعتمد العنصر العربي ، وكان الشعراء من أهل البادية يفدون إلي البصرة والكوفة الحجاز أو نجد وكثرتهم ليست متحضرة، أما في العصر العباسي فقد ترك الشعراء البوادي واتجهوا إلي المدن، وفازت بغداد والبصرة والكوفة بنصيب وأفر منهم، كما أظهرت طبقة من الشعراء الموالي فهم ليسوا من أهل البادية ولا من عشاق المثل الأعلي في الحياة الاجتماعية العربية.

وكانت موارد الدولة العباسية كثيرة ، وكانت تمنح الشعراء وغيرهم من العلماء والأطباء والمغنيين كثيراً، حتى أصبح الشعراء والمغنون طبقة مترفة تلبس الحرير والديباج ، وبالغ النساء الحرائر والجواري في الزينة والأناقة . (ويقال أن دنانير جارية البرامكة كانت تتحلي بعقد من الجوهر بلغت قيمته ثلاثين ألف ديناراً، وكان الرشيد قد أهداه إليها)[٢].

لكن الشيء المؤكد أن حياة الترف التي أصابت الشعراء والعلماء كانت تعبيراً عن حب الدولة وتقديرها لجمهورهم، وذلك لأن العصر العباسي لا سيما الفترة الأولي تمتاز بأن كان من تولي فيها عرش بغداد من الخلفاء والعلماء الذين رغبوا في العلم وأجلّوا العلماء والأدباء وسهلوا مهمتهم وأجروا الأرزاق عليهم وبالغوا في إكرامهم ، وقربوهم وجالسوهم وحادثوهم ، وعوّلوا علي آراءهم ، فلم

---

(١) أحمد أمين: صحي الإسلام ، ½ ط١.

(٢) الأغاني، طبعه الساسى، ١٣٢/١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبق ذو قريحة أو علم أو أدب إلّا يمم دار السلام ونال جائزة وهدية أو راتباً)[١]، وفي هذا المجتمع الجديد ظهرت طبقة الرقيق والجواري وكثرة مجالس الغناء وتعددت دور المجانة واللهو والشراب وكانت مترعة بالغلمان، وكانت قيمة الجارية ترتفع بقدر ما تجيد من أمارات اللهو والترف والتحضر وفي مقدمتها الغناء والرقص، وزدحمت الدور بالرقيق من الجواري وكان الرجال عامة يفضلوهن علي الحرائر، وصوّر الجاحظ ذلك فقال:(قال بعض من أحتج للعلة التي من أجلها صار أكثر الإماء أحظي عند الرجال من المهيرات[٢] إن الرجل قبل أن يملك الآمة يكون قد تأمل كل شيء منها وعرف ما خلا حظوة الخلوة، فأقدم علي إبتياعها بعد وقوعها بالموافقة ، والحرة إنما يستشار في جمالها للنساء والرجال بالنساء أبصر).[٣]

والذي يلفت النظر في هذا العصر حظوة الجواري عند الرجال، حيث كنّ يزحمن بيوت الخلفاء والولاة وسراة الناس، ومعروف أنّ ذلك الأمر اتسع كثيراً في العصر العباسي الأول[٤]، وقد كان أكثر الخلفاء من أمهات أعجميات[٥]، فالمنصور أمه حبشية والهادي والرشيد أمهما الخيزران رومية، والمأمون أمه فارسية ، وكان للرشيد زهاء ألفي جارية، وكان للمتوكل أربعة ألف ، وشيء خطير الدلالة في تطور الحياة الاجتماعية بسبب كثرة الجواري وشيوعهنّ مع إيثارهنّ، هو اتجاه العباسيين إلي التوسع في تعليمهنّ وخاصة الغناء ، وذلك لأن الغناء كان قد تطور تطوراً كبيراً في ظل الدولة العباسية، وإن الناس انشغلوا به وكانت له مدارس ، وقد انفق الخلفاء الأموال الطائلة علي الغناء والمغنيين ، وعن طريق الغناء والطرب والرقص شاعت في المجتمع أفانين الرقة والتظرف وصاحب ذلك تطور في الأزياء وفي أدب الطعام والسمر خاصة في عهد الرشيد ، وكل ذلك

---

(١) جورج زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية. ٣٦/٢.

(٢) المهيرة : الحرة الغالية المهر

(٣) رسائل الحاجظ: ط١ ، السندوبي ، ص٢٧٤.

(٤) أحمد أمين: ضحى الإسلام ط١، ٩/١.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ط٤ ، ٤٠٤/٣-٤٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتاج طبيعي نسبة للترف والنعيم الذي ترفل فيه الدولة العباسية ، وقد نلمس التطور في الأدب وسائر العلوم ولذلك يعتبر العصر العباسي الأول عصر تجديد وإبداع وابتكار في شتى ضروب المعرفة. ولكن هذا التطور كان له خطورته إذ عمّ المجون طبقات المجتمع وفي مقدمتهم الشعراء ، وذلك لاختلاط الناس بالفرس وانتشار العادات الفارسية في المجتمع العربي، وأصبحت الخمر والغزل بالمذكر ومنادمة الجواري مسائل قد عمّ بها البلاد، وأصبحت الحانات أماكن لهو لا حدود لما يرتكب فيها من آثام.

ويتضح من ذلك أنّ العصر العباسي كان عصر حرية اجتماعية نتج عنها هذا التطور الهائل في العادات والتقاليد والأخلاق والقيم عند الطبقة المترفة ، ولم يكن ذلك شأن كل المجتمع، بل كان هناك من يرفضون كل هذا المنكر ويحاربونه وينفرون منه، وهذا الصراع الاجتماعي بين المجانة وأفكارها وبين التدين والهروب منه صوّره الشعر تصويراً واضحاً، كما ظهر عند بشار بن برد و أبي نواس وأبي العتاهية من جهة أخرى في مرحلة نسكة.

وينبغي أن نشير بعناية هنا إلي أنّ الحرية لم تكن في الجانب الاجتماعي فحسب، بل كانت طابعاً يميز الحياة الدينية والفكرية ، فقد كانت الحرية بصفة عامة من سمات هذا العصر إلا ما يمس الدولة والخلافة ، ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في أيامهم من المجوس وغيرهم، هذا إلي جانب تعدد الفرق والنحل والمذاهب والأهواء (فكانت الأفكار من حيث مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يُكره الرجل علي معتقده أو مذهبه) [١].

وفي هذا الجو تميزت اتجاهات كان لها تأثيرها في الحياة الأدبية والفكرية والسياسية مثل الزندقة والشعوبية والزهد وغيرها من المؤثرات الأدبية التي كان لها أثر مباشر في الحياة الأدبية.

---

(١) جورج زيدان: تاريخ أداب اللغة العربية ٣٢٧/٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التطور الثقافي والنهضة العلمية:

كان لاتساع الدولة العباسية ووفرة ثورتها ورواج تجارتها، أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدا أن الناس جميعاً من الخليفة إلي أقل أفراد العامة شأنا غدو فجأة طلاباً للعلم أو أنصاراً للأدب ، وكان الناس في الدولة العباسية يجوبون أماكن كثيرة مختلفة طلباً للعلم والمعرفة. وكانت الدولة تضم بلاداً واسعة الأطراف متعددة الأجناس واللغات فهي تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً إلي المحيط الأطلسي غرباً ، وتمتد من المحيط الهندي والسودان جنوباً إلي بلاد الترك والروم والصقالبة شمالاً وهي بذلك كانت تضم بين جناحيها بلاد السند وخراسان وما وراء النهر وإيران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب[1] وهذه الأقطار بشعوبها ولغاتها وأخلاقها وعاداتها وعلومها ومعارفها ونزعاتها لم تدخل في نطاق الحكم العربي حتى أخذت عناصرها تختلط ثم تمتزج بالعنصر العربي وللغة العربية وهكذا جرت الحوادث والأسباب بما أدي إلي إنصهار هذه الشعوب وتلك الأمم في بوتقة الأمة العربية والحضارة الإسلامية. وهذا الأختلاط لم يتوقف بل أصبح أمتزاجا بالدم عن طريق المصاهرة والتسري وكثر أولاد العرب من الأجنبيات وكثرت علاقات الولاء الذي كان يأخذ شكل رابطة القرابة بالدم، فالشخص يكون فارسياً وهندياً وغير ذلك ويكون ولاؤه في قبلية عربية ينتسب إليها وتقوم هي بالذود عنه، واستطاع الإسلام بتعاليمه السمحة أن يسوي بين كل المسلمين وأن يقرر الحقوق الأساسية لغير المسلمين بحيث تحفظ حقهم وكرامتهم، وبعد أن بسط الإسلام نفوذه بحوالي قرن في هذا البقاع، فإذا العربية (قد ملكت ألسنة الناس وقلوبهم وأصبحت شعوبها عربية اللغة ، والتفكير والشعور والثقافة والأدب. أما الفرس فقد اقبلوا علي العربية بل علي التعرب إقبالاً منقطع النظير وقد تعلموا اللغة: واتقنوها وأجادوها ، وقد أصبحت هذه اللغة : متقلقلة في وجدانهم ومشاعرهم وأحاسيسهم إلي ذلك الحد الذي تري فيه الكثرة الكاثرة من الشعراء والعباقرة يحتلون مكانة كبرى في

([1]) د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، ص٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تاريخنا الأدبي من الموالي والفرس والذين امتزجوا بالعنصر العربي واللسان العربي وأصبحوا جزءً من تراث العربية، وهذا يدل علي أن هذه الشعوب قد وجدت ضالتها في العربية وأصبحت تشكل وجودها بالرغم من تاريخها وحضارتها، وكذلك الدين الإسلامي، ولا عجب بعد ذلك أن تجد عمالقة الشعراء والأدباء في شتى فنون المعرفة عربية وإسلامية، فأبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفى وتلاميذه وسيبويه زعيم النحو، وأبن المقفع و الإمام البخاري راوي الحديث، وكل ذلك يدل علي أن العربية أصبحت لغة التخاطب والحديث في الأمم والشعوب ويفخرون بها.

ولكن يجدر بنا أن نتذكر أن الذين دخلوا في الدين الجديد وأشربوا تعاليمه وأتقنوا اللغة الجديدة لم يهجروا لغتهم تماماً ، فقد تمسك الكثيرون بلغاتهم الأصلية مما أدي إلي تسرب بعض الألفاظ إلي العربية لا سيما من الفارسية ، وأخذ اللحن يفشو ، ولكن علماء اللغة العربية كانوا بالمرصاد لكل لحن وكانوا حماة التراث الأدبي من اللحن والخلط.

وفي ظل هذه النماذج والإنسجام بين العرب وغيرهم من الأمم وضح أن الإنسان العربي أكثر رغبة في المعرفة والحرص عليها وخاصة البلاد التي فتحها العرب وكانت غنية بالعلوم والمعارف.

ويكفي أن نشير إلي أن الخلفاء قد أولوا أهتماماً كبيراً بالمعرفة والعلم خاصة المأمون، حيث نجد في عهده أزدهرت الدولة لأنه كان عالماً بالعربية متعمقاً في العلوم الدينية والفلسفة مشتغلاً بمسائل علم الكلام وكان يقيم الندوات والمجالس والمناظرات في قصره ويشارك فيها بنفسه.

ويصور لنا المسعودي مجلساً من مجالس العلم في بلاط المأمون فيقول (كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة ، وقيل لهم: أنزعوا أخفافكم، ثم أحضرت الموائد، وقيل لهم: أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء، ومَنْ خفه ضيق فالينزعه، ومَنْ تقلت عليه قلنسوة فاليضعها، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا، استدناهم حتى دنوامنه، وناظرهم أحسن المناظرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين، فلا يزالون كذلك إلي أن تزول أن الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون)[1].

ولم يكن العلم في مجالس الخلفاء فقط بل كانت المساجد مفتوحة عامرة يحلقات الدرس والجدل والمناظرة ، ودكاكين الوراقين كانت أشبه بدور الكتب، أو المكتبة ، ونظراً لتيسير العلم والمعرفة فإننا نجد أبناء العامة قد نبغ منهم خلق كثير، فبشار أبوه كان طيَّاناً يضرب الطوب اللين، وأبو نواس كانت أمه تغزل الصوف أو تبيع شيئاً من عطار النساء، وأبو العتاهية كان يحمل الجرار علي ظهره يبيعها في الكوفة، ومسلم بن الوليد كان حائكاً، وأبو تمام كان أبوه عطاراً أو خماراً و شتغل بحياكة الملابس في صغره، فالعلم منتشر في كل البقاع لا يرد قاصداً له، بذلك أصبح الطريق مفتوحاً كنبوغ أولاد العامة.

والذي ينبغي أن نشير إليه هو أن العقل العربي في العصر العباسي الأول أصبح عقلاً علمياً وفلسفياً معاً، ومن هنا انطلق يخلق علوماً جديدة في أدق علوم الرياضة والجبر والفلك والطب والكيمياء ، أما الأدب فقد حظي بنصيب وافر من الاهتمام والرعاية وكان لاستقرار الجو في العصر العباسي الأول الأثر في ظهور بعض سمات التجديد فيه ، الشيء الذي ميز الأدب العباسي عن غيره من العصور، ولا غرو في ذلك لأن الخلفاء العباسيين عملوا علي بسط الأمن والاستقرار وإكرام الأدباء والشعراء بصفة خاصة، مما أدي إلي ظهور شعراء كان لهم أثر كبير في مسيرة الأدب العباسي الذي يعتبر قمة في الشعر دون منافس له في العصور السابقة، من هنا ظهرت تيارات واتجاهات تنادي بالتجديد في القصيدة العربية والخروج بها من التقليد الذي ظل يلازمها ردحاً من الزمان.

ولعل المؤرخين والنقاد خد خصوا الفترة العباسية بشيء من العناية والدراسة: وقسموا هذه الفترة النى حكم فيها العباسيون تقسيمات سوف نتطرق إليها لنري التقسيم الأمثل من أجل الدراسة ، لأننا عملنا علي بحث ظاهرة التجديد في العصر الأول ، ومن هذه التقسيمات:

---

(1) المسعودى، مروج الذهب ١٩/٤ ط ٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: التقسيم السياسي للعصر العباسي(١٣٢-٦٥٦هـ)

وهو يقوم علي تقسيم فترة الحكم العباسي من خلال حقبات زمنية محددة، ونسبة لطول الفترة التي حكمها العباسيون فإن المؤرخين يقسمونه إلي فترات مختلفة لكل فترة طابعها ــ وأحداثها التي تميزها، وطبيعة الفروق المختلفة بين هذه الفترات ولكل فترة ملامح ومؤثرات تتميز بها حياة اللغة وتراثها الأدبي والفكري.

ثانياً: التقسيم الأدبي:

وهذا التقسيم يقوم علي الفهم الأدبي وليس السياسي التاريخي ، ذهب اليه الأستاذ: حنا الفاخوري[1] وهو يرى أن هذا العصر تتوزعه أقسام ثلاث علي النحو التالي.

القسم الأول:

أدب الثورة التجديدية ويبدأ ببشارد بن برد (٩٦-١٦٨هـ) وينتهي بظهور أبي تمام ومن أبرز أعلامه:

أبونواس (١٤٥-١٩٨هـ) وأبو العتاهية (١٣٠-٢١٠هـ) ومسلم بن الوليد (١٣٠-٢٠٨هـ) والعباس بن الأحنف (١٩٢هـ) والحسين بن الضحاك (١٦٢-٢٥٠هـ) ومن الكتاب عبد الله بن المقفع (١٠٦-١٤٢هـ) وسهل بن هارون (٢١٥هـ).

القسم الثاني:

أدب الثورة المعاكسة ، ويبدأ بظهور أبي تمام (١٨٠-٢٢٨هـ) وينتهي بظهور المتنبى، ومن أبرز أعلامه : البحتري (٢٠٦- ٢٤٨هـ) ومن الكتاب الجاحظ (١٥٩-٢٥٥هـ)

القسم الثالث:

أدب الاستقرار والتدرج نحو الصنعة والزخرف يبدأ بظهور المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ) ومن أبرز أعلامه أبو فراس الحمداني (٣٢٠-٣٥٧هـ) والشريف

---

(١)حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي: مطبعة بيروت ، ص٣٥٩-٣٦٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرضي (٣٥٩-٤٠٩هـ) وأبو العلاء المعري (٣٦٢-٤٤٩هـ) وينتهي بنهاية البهاء زهير (٥٨١-٦٥٦هـ)

التقسيم الأدبي الثاني:

وهو تقسيم جديد ومقنع إلي حد كبير، ذهب إليه الدكتور يوسف خليف[١]وهو يقوم علي أن ظواهر أدبية بعينها ميزت كل منها قرناً من قرون العصر العباسي ابتداءً من القرن الثاني الهجري، الذي يمثل البداية الحقيقية للأدب العباسي بهذا العصر ، وذلك أن القصيدة العربية لم تبدأ رحلتها من الأموية إلي العباسية مع قيام الدولة ، العباسية وإنما بدأت مع تحرك المجتمع العربي إلي مجتمع جديد في مستهل هذا القرن[٢]ويتم علي النحو التالي:

اولاً : القرن الثاني:

شغل بقضية أدبية ضخمة ، وهي قضية التجديد في القصيدة العربية للخروج بما من إطار الكلاسيكية الجديدة التي شهرتها القصيدة الأموية، إلي إطار جديد تكون فيه قادرة علي التعبير في المجتمع الجديد [٣] . وقد شغل الشعراء الكبار بهذا الدور، واستطاع بشار (٩٦-١٦٧هـ) وأبو نواس (١٤٥-١٩٨هـ) وأبو العتاهية (٦٣٠-٢١٣هـ) أن ينجحوا في هذه المحاولة وأن يرسو تقاليد القصيدة العباسية الجديدة [٤]

ثانياً: القرن الثالث:

وقد شغل بقضية كبرى ظهرت إرهاصاتها في القرن الثاني واستكملت مفرداتها الفنية في هذا القرن، وهي قضية الصراع بين القديم والجديد، أو بعبارة أخري بين المحافظين من أصحاب عمود الشعر والمجددين من مدرسة : البديع ،

---

(١) د. يوسف خليف : تاريخ الشعر العباسي، ص٤-٨، ط ١٩٨١.

(٢) نفسه ص٤.

(٣)نفسه ص٤

(٤)نفسه ص٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي القضية التي مثلها قطبا الصراع المتنافرات خفية أبو تمام زعيم المجديدين في هذا القرن والبحتري زعيم المحافظين فيه ورأس أصحاب عمود الشعر[١]

ثالثا: القرن الرابع :

وهذا القرن هو قرن المتنبي غير منازع وفقد شغله شاعر العربية الأكبر بمحاولاته الناجحة في التخلص من اثقال البديع وقيودة ، ليعيد للقصيدة العربية روحها البدوي في غير انفصال عن روح العصر الجديد بما يحملة من ثقافات عقلية ، فحقق بهذا مزاوجة عبقرية بين بساطة البداوة وصفائها وفطريتها وبين ثقافة عصرة العقلية بقضاياها المعقدة [٢]

رابعاً: القرن الخامس:

وهو عصر أبو العلاء المعري دون منازع، آخر عمالقة الشعر العربي القديم الذي استطاع بعبقريته الفذّة أن يرتفع بشعره إلي مستوي إنساني رفيع عن طريق المزاوجة النادرة بين الفنَّ والفلسفة مع القدرة التامة علي التصرف في اللغة واخضاعها لأفكار الفلسفة الفعلية الغربية عليها.

وهكذا نلاحظ من خلال التقسيمين السياسي والأدبي كل له مبرراته. فالتقسيم الأدبي يعتمد على فلسفته في تفسير التطور الأدبي وخاصة التطور في الشعر وهذا هو مجال البحث ولكن يوجد بينه والتقسيم التاريخي السياسي نقاط التقاء في إدراك الحقائق الأدبية الخاصة بتطور الأدب، وبينهما كذلك وجوه خلاف في طبيعة التفسير والتجديد للظواهر والشخصيات ن فبينما نجد أبا العلاء المعري والمتنبي في قسم واحد عند الأستاذ حنا الفاخوري نجد كلا منهما متميزاً عن صاحبه في تقسيم الدكتور يوسف خليف والواضح أن تقسيمه أكثر قبولاً في أداراك طبيعة التطور الأدبي في هذا العصر، وهذه التقسيمات قصدنا منها تحديد الفترة المحددة لهذه الدراسة : ثم رصد التطور الأدبي في كل فترة وظواهرها ثم أردنا توضيح أبعاد هذه القضية الكبيرة التي شغل بها الناس كثيراً في هذا العصر الذي يعدُّ من أعظم العصور تقدماً في الأدب عامة والشعر بصف خاصة.

---

(١) د. يوسف خليق: تاريخ الشعر العباسي، ص٨، ط ١٩٨١.

[٢] تاريخ الشعر العباسي ، يوسف خليف ص ٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا يصبح واضحاً أن إدراك التقسيم الحقيقي لهذا العصر يقوم علي المعرفة التاريخية بأبعادها المختلفة وكذلك قائماً علي الفقه الأدبي لطبيعة التطور التي حدثت فيه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الشعر بين التراث والتجديد

المبحث الأول: صورة الشعر قبل بداية التجديد
المبحث الثاني : مظاهر ودوافع التجديد
المبحث الثالث: التطور في الموضوعات القديمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الشعر بين التراث والتجديد في العصر العباسي

المبحث الأول: صورة الشعر قبل بداية التجديد:

من المعلوم إن الشعر العربي قد مر بمراحل وأطوار مختلفة ، وأن القصيدة العربية الجاهلية تعتبر الآلة المصورة لحياة الناس وتقاليدهم وبيئاتهم تصويراً دقيقاً لم تعقل عن أدنى شيء ، والشاعر هو لسان القبيلة الناطق باسمها والذي يزود عن حماها، وأن الحياة البدوية كانت مليئة بالأحداث، عرفنا أكثرها عن طريق الشعر، الذي يعتبر ديوانهم وفيه كل ما يهمهم فالقصيدة العربية الجاهلية وصلتنا بصورتها التَّامه بتقاليدها الفنيَّة، من وزن وقافيه ومعان وإسلوب محكم في الصياغة، وهى تقاليد تلقى ستاراً بيننا وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الأولى فلا نكاد نعرف من ذلك شيئاً. وحاول ابن سلام أن يرفع جانباً من هذا الستار فعقد فصلاً[١] تحدث فيه عن أوائل الشعراء الجاهليين، وتأثر به ابن قتيبة في كتابة الشعر والشعراء[٢] حيث قسَّم الشعراء حسب جودة شعرهم غلى أربعة أضرب كل ضرب له ما يميزه.

فالقصيدة الجاهلية القديمة ناضجة مكتملة التكوين سليمة النظم ليس عليها سيما الأوليات من الأشياء ، أي إنها ليست حديثة الميلاد، بل تعتبر نموذجاً للشعر القديم الذى رأيناه مستقيماً في أوزانه وقوافيه، بالرغم من القصائد التى وردت إلينا مضطربة في وزنها لبعض الشعراء. وقد زعم بعض القدماء والمحدثين أن الرجز أقدم أوزان الشعر العربي، وإنه تولَّد من السجع، مرتبطاً بالحُداءِ ووقع أقدام الإبل في أثناء سيرها وسُراها في الصحراء ومنه تولدت الاوزان الأخري كالذي ورد الينا عن شعر أبي داوؤد الأيادي وهو الذي يعدونه أستاذ أمرئ القيس.

---

(١) ابن سلام طبقات فحول الشعراء ط دار المعارف ص ٢٣.

٢) ا ابن قتيبة ج١ ص ٦٤ دار المعارف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان أمرؤ القيس يتوكأ عليه)[١] كذلك كان شعر المهلهل شعراً ناضجاً ليس بينه فارق وبين أنضج الشعر في عصوره الزاهية. كان الناس يحرصون علي الشعر حرصهم علي أعزّ الأشياء وأثمنها، ولكن ذلك الحرص لا يبعد به إلي حد الاحتفاظ بالقصيدة كاملة تامة الأجزاء، وإنما قد تتفرق وقد تختلط القصائد مع بعضها في قصيدة واحدة تكون أجزاءها لشعراء مختلفين وذلك لضعف الرواة ، والشعر الجاهلي نقل أغلبه عن أصول مكتوبة ، فالأشعار السليمة من الشعر الجاهلي قد احتفظت بقدسيتها حيث تحمل القصيدة كل القيم العربية النبيلة، والشعر الجاهلي يتحدث عن حياة البداوة. وما فيها من كرم وشجاعة ومروءة ووفاء بالعهد والفخر بالقبيلة ، وغيرها من الصفات والأغراض والموضوعات التي عرفت بها القصيدة الجاهلية مع الاحتفاظ ببنائها الذي يبدأ بالوقوف علي الأطلال والنسيب، حيث ذكر الديار والمحبوبة ، ثم المحافظة علي الشكل من حيث الوزن والقافية الشيء الذي ميزها عن الشعر في عصوره المختلفة التالية.

فقد تكون القصيدة طويلة غاية الطول مثل معلقة عمر بن كلثوم الثعلبي التي تبلغ الألف بيت عدا، فلم يبقي منها إلا أقل من عشرها[٢] ولكن تلتزم وزنا وقافية واحدة هما اللذان يضبطان شكل القصيدة، ثم أخذ الشعر بتطور بعد تلك الفترة في الأغراض والأوزان مخالفاً لنظام القصيدة القديمة التقليدية.

وتراءي لنا مطولات الشعر الجاهلي في نظام معين من المعاني والموضوعات ، إذ تري أصحابها يفتتحونها غالبا بوصف الأطلال وبكاء الديار، ثم يصفون رحلتهم في الصحراء وما يركبونه من إبل، وخيل، وكثيراً ما يشبهون الناقة في سرعتها بالحيوانات الوحشية ثم يخرجون للغرض من قصيدتهم مديحاً أو فخراً أو عتاباً أو رثاءً أو اعتذاراً ولها تقليد ثابت في أوزانها وقوافيها فهي تتألف[٣]من وحدات موسيقية تسمي الأبيات وتتخذ الأبيات في الوزن والقافية وتنتهي بالروي.

---

(١) نجيب محمد البهبيتي: تاريخ الشعر العربي في أواخر القرن الهجري ، دار الفكر ،ص٥٠

(٢) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، ص ١٨٤.

(٣) نجيب محمد البهبيتي: تاريخ الشعر العربي ، دار الفكر ،ص٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونجد القصيدة التامة في صورتها وقد نجد قصائد أخرى يضطرب فيها العروض ولكنها قليلة ، من ذلك قصيدة أمريء القيس التي مطلعها[١]

عيناك دَمْعهُما سِجال كأن شأنيها أوشالُ[٢]

وكذلك قصيدة المرقش الأكبر:

هل بالديار أن تُجيبَ صَمَمْ لو كان رسَمُ ناطقاً كلَّمْ

فالقصيدة من بحر السريع حيث خرجت أبياتها عن هذا الوزن . ومهما يكن فالقصيدة الجاهلية ناضجة في الوزن والقافية ، وأن الشعراء الذين رويت عنهم قصائد مضطربة رويت عنهم قصائد كثيرة مستقيمة.

والشعر الجاهلي شعر واضح المعاني بسيط ليس فيه تكلف ولا أغراق في الخيال ولا غلو ولا مبالغة تخرج القصيدة عن الحدود المعتدلة، وذلك لأن الشاعر ينقل لوحاته نقلاً أميناً دقيقاً يبقي علي الحقيقة دون أن يدخل عليها تعديلاً من شأنه أن يمس جوهرها، ولذلك كان شعره وثيقة دقيقة لمن أراد أن يعرف حياته وبيئته، فالشاعر يستقي أخيلته من العالم الحسي الذي حوله.

وما أشبه القصيدة عند الجاهليين بفضائهم الواسع الذي يضم أشياء متباعدة لا تتلاصق، وهذا الفضاء الرحب هو الذي أملي عليه صورة قصيدتهم ، فتوالت وتعددت الموضوعات فيها جنباً إلي جنب، دون نسق ولا نظام ولا محاولة لتوجيه فكري، ولذلك جاءت القصيدة مفككة تجمع بين طائفة من الموضوعات والعواطف لا تجمع بينها صلة ولا رابطة، كأنهما مجموعة من الخواطر يجمع بينهما الوزن والقافية ، ولذلك زعم بعض النقاد أن الاستطراد أساس في الشعر الجاهلي ، وهو التنقل السريع. [٣]

أما من حيث اللفظ فالشعر الجاهلي كامل الصياغة وتراكيبه لها مدلولات يعبّر عنها، فألفاظه موضوعة في مكانها والعبارات فيه تؤدي معانيها دون اضطراب وذلك لتزويدهم معان بعينها مما جعل زهير يقول[٤]

---

(١) ديوان أمريء القيس ، ص١٨٩.

(٢) سجال : جمع سجل أي حين بعد حين ، شأ بينما : مثني شأن هجري الدفع

(٣) د. شوقي ضيف: تاريخ الشعر العربي ، عصر الجاهلي ، ص٢٢٤.

(٤) السابق ص ٢٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من لفظنا مكروراً

حيث كان الشعراء ينقحون قصائدهم في قوالب معينة وبالغوا في ذلك، ولذلك كانت البراعة في الصياغة لا الموضوع والمعاني. وقد أهتم الشعراء الجاهليون بالصنعة في الشعر وهي صنعة موسيقية ، حيث كان الشاعر يتقيد في قصيدته بالنغمة الأولي، واستعانوا في أشعارهم بالمحسنات اللفظية والمعنوية للتأثير في سمامعيهم، وكثرة تشبيهاتهم للفرس وغيره من الحيوانات بالواقع الحسي مثل الظبي، والأسد، والفحل وكانوا يشبهون المرأة بالبدر والشمس كما عند سويد ابن أبي كاهل اليشكري في قوله [١]

حرة تجلو شتيتا واضحاً كشُعاع الشمس في الغيم سطعْ[٢]

هكذا كانت مسيرة القصيدة الجاهلية في بنائها وموضوعاتها وألفاظها مقيدة بقيود صعبت علي كثير من الشعراء الابتعاد عنها، واستمر ذلك الحال في العصور التالية بالأخص الإسلامي والأموي.

وإذا ما انتقلنا إلي القصيدة في صدر الإسلام نجدها حافظت علي صياغتها وبنائها ، ولكن نجد التأثير الواضح في المعاني الجديدة التي كانت تساير الدعوة المحمدية ، حيث تتضح المعاني الإسلامية في الشعر والتأثر بالقرآن الكريم ومفرداته وهذه سمة تفرد بها الشعر في تلك الفترة. مع التزامه بالوزن والقافية كما كان في العصر الجاهلي ، فأشعار المخضرمين والإسلاميين تعكس لنا مدي التأثر بالمعاني التي أتت بها الدعوة الجديدة ، وما كان يقوله الرسول صلي الله عليه وسلم.

ومن يقرأ شعر المخضرمين يجد كثيراً منهم يتحدثون عن القيم الإسلامية الفاضلة التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم ، وكانوا يقفون مع الدعوة الإسلامية ضد الكفر بالكلمة والنفس يدافعون عن الدين الجديد ويصورون هديه وسماحته، يتقدمهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الذي كان كثير الهجاء للمشركين علي نحو قوله[٣]

---

(١) المفضليات ص ١٩١

(٢) الشتيت: المفرق يريد اسنانها المعلجة ، وأضحا أبيض

(٣) الاستيعاب ص٣٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

كذلك تبرز المعاني الإسلامية واضحة في هجاء حسان بن ثابت للقرشيين يعيـرّهم بهزيمتهم يوم بدر [١]

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتي الممات ونصر غير محدودة [٢]

مستعصمين بحبل غير منجزم مستحكم من حبال الله ممدود

حيث بشير في البيت الثاني إلي قوله تعالي((واعتصموا بحبل الله جميعاً))[٢].

كذلك تجد كعب بن زهير الذي مدح الرسول في قصيدته التي استحسنها الرسـول الكريم حتى خلع عليه بردته حيث يقول مطلعها[٣]

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيَّمٌ إثرها لم يغدُ مكبولُ

وأيضاً نجد من المخضرمين سويد في عينيته يأتي بمعان جديدة لم تكن قد طرقـت من قبل بل يفخر فخراً جديداً بالإسلام وما انعم به عليهم يقول[٤]

كتب الرحمنُ والحمدُ له سـعةَ الأخلاق فينا والضَّلَعْ

وإبـاءً الدنياتِ إذا أُعطِي المكتودُ ضيماً فكنع

وبناءً للمعـالي إنما يرفع الله ومن شـاءَ وَضَعْ

نعـم لله فينا ربهـا وصـنيعُ اللهِ اللهُ صنَع

حيث يعرض الشاعر للمعاني الإسلامية اقتباساً من القرآن وتأثراً به ، حيث يقـول في نفس القصيدة عن الغيبة والنفاق

بئس ما يجمع أن يغتابني مطعم وخم وداء يدَّرع

ويحـيني إذا لأقيته وإذا يخلو له لحمي رتع

وهكذا كانت القصيدة في صدر الإسلام تتسم بالمعاني الإسلامية الجديدة ومسـايرة للدعوة مع الاحتفاظ بشكلها وموضوعاتها القديمة سوي بعض الجديد في الهجـاء أو ما يعرف بالنقائض الشعرية التي كثرة في العصر الأموي.

---

(١) د. شوقي صيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي، ص٨٢.

[٢] منجزم : منقطع

(٢) آل عمران آية ١٠٣.

(٣) ابن سلام الجمعي: طبقات فحول الشعراء ، ص٨٣.

(٤) الشعر والشعراء: ٤٠١/١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستمرت القصيدة العربية محافظة علي شكلها وموضوعاتها وما كانت تدعو إليه من قيم إسلامية واضحة إلي أن قامت الدولة الأموية التي اتسعت رقعتها واتسمت بالسياسة والعصبية والحزبية، مما أدي إلي ظهور شعراء مذهبين كل يتغنى بحزبه، يعبرون عن الشعر الصافي الذي يعبر عن مشاعرهم الصادقة، وكان الناس يستمتعون بالشعر السياسي لأن السياسة: شغلهم الشاغل ويؤيدون بني أمية بشعرهم، والبعض يشيد بالخوارج وبعضهم يرثي ما حل بالشيعة، ويعجبهم من هذا الشعر أن تجمع القصيدة أكثر من فن، وتنتقل بالقارئ من غرض إلي غرض، فتجمع بين الغزل والهجاء، أو تخلط بين الوصف والمدح، أو تشوب السياسة بالعصبية ، ويجدون في ذلك لذة وخفة تبعد السأم والملل. والأدب الأموي نطالع فيه شعر النقائض الذي بدأ في العصر السابق أي نهاية العصر الإسلامي . ولعلّ أشهر النقائض ما كانت تدور[1] بين كعب بن جعيل شاعر معاوية والنجاشي الحارثي شاعر سيدنا علي كرم الله وجهه . فقد قال كعب:

أري الشام تكره ملك العراق وأهل العراق له كارهونا

فأمر علي رضي الله عنه شاعره أن يرد عليه فقال:

دَعَنَّ معاوى ما لن يكونا فقد حقّقَ الله ما تحذرونا
أتاكم عليٌ بأهل العراق وأهلِ الحجاز فما تصتعونا؟
فإن يكره القوم ملك العراق فقدماً رضينا الذي تكرهونا
فقولوا لكعب أخي وائل ومن جعل الغثِّ يوماً ثمينا
جعلتم عليا وأشياعه نظير أبن هند أماتستحونا؟

فالنجاشي هنا ينقض علي كعب قصيدته ، فإذا كانت الشام تكره ملك العراق كما بقول كعب ــ فإن العراق ــ كما يقول النجاشي . يرضي بما يكرهون بل الحجاز أيضاً يرضي به[2]

وهكذا تسير الأبيات تنقض ما قاله الشاعر الأول ، ثم أخذ هذا الفن يتسع ، وبرع فيه شعراء أصبحوا معروفين به كحرير والفرزدق والأخطل ، وتنوع الهجاء

---

(١) أحمد الشائب : تاريخ النقائض في الشعر العربي ، ص١٢٥.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ،ص١٧٠-١٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان يتسم بالاسفاف والأقذاع ، كما نجد فيه جمالاً ورقةً وجزالة وقــوة، وتظهــر المقدرة الفنية العالية عند أصحاب هذا النوع من الشعر.

كما نجد شعر الغزل العذري العابث وشعر المدح الصادق والخمر والعصبيات[١]

وقد صورت القصيدة في هذا العصــر الانقســامات الطائفيــة والعصــبية والمذهبية، وقيل شعر كثير في ذلك ليس هذا مكانه.

وشعر النقائض التي اتسمت به بنو أمية لم يكن بــدافع شخصــي، ولكــن السياسة الأموية هي التي أفرزت ذلك الاتجاه حيث كانت تغري الشــعراء بعضــهم ببعض وتتجاوز عما في شعرهم من فحش وفسوق وقذف، وهؤلاء الشعراء لهــم أساليبهم ومعانيهم وفكرهم وانتماءاتهم المذهبية، فقد كان أكثرهم يمدح بني أمية، ولكن جريراً يخالف الأخطل في أسلوبه ومعانيه ، وكان الفــرزدق يعنــي بنفســه وآبائه واللهو وعبثه ، وفي شعر هؤلاء الفحول الثلاثة فخر واضح بأصله. ولكــن جريراً في هجائه للفرزدق يخالف هجاءه الأخطل متخذاً مــن نصــرانية الأخطــل وشربه الخمر وتردده علي القساوسة والكنائس هو وأمهاته وسيلة للهجاء يقــول فيه:

قبح الإله وجوه تغلب إنهــا هانت مراســــــا وسيالا
قبح الإله وجوه تغلب كلمــا شبح الحجيجُ وكبروا إهلالا
عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرائيل وكذبوا ميكــالا

أما هجاؤه للفرزدق فكان من نوع أخر، كان يقول فيه:

ألا قبح الله الفــــــرزدق كلما أهل مصل للصــــــلاة وكبرا
فلا يعبرن المروتين ولا الصفا ولا مسجد الله الحرام المطهَّرَا
فإنك لو تعطِ الفرزدق درهمــاً علي ريق نصــرانية لتنصرا

وقد انتفع الشعراء بهذا الشعر وكان مصدر دخل للشعراء ويستخدم في تعظــيم أو تحقير القبائل، كما إن السياسة الأموية أدت إلي ظهور الغزل العابــث فــي مكــة والمدينة وفي ظهور شعر الخوارج والشيعة والعصبيات.

---

(١) عبدالرازق حميدة: أدب الخلفاء الامويين ص ٣ ط ١ الانجلومصرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وظل الشعر محتفظا بصورته القديمة لم يحدث فيه تطـوير واضـح عـدا الموضوعات التي اكتست بالطابع الإسلامي، فلم يعد الشعر حديثاً في البطولـة أو تهديدا للعدو أو استلهاماً لحواء الخالدة فحسب، كما كان في العصر الجاهلي، بـل أصبح حديثا في السياسة الإسلامية التي يتقاتل المسلمون من أجلها، ومـن هنـا ظهر التغيير والجديد في الموضوعات وأخذ الأسلوب يتطور عن صورته الجاهلية إلي صورته الإسلامية ، ولكن هذا التطور والتجدد ينبغي أن نأخـذه بشـيء مـن الحذر حيث ظل الرجز محتفظاً بصورته الشكلية القديمة[١]

وهذا التطور الذي لازم الموضوعات والأغراض نهض بالشـعر إلـي دور جديد في أدواره. حيث يمكن القول بأن الشعر طرأت عليه أنواع مـن التـأثيرات وظهرت فيه سمات متميزة عن العصر الجاهلي، مع التسليم بـأن الشـاعر فـي العصر الأموي كان مخلصاً لتقاليد الشعر الجاهلي ، ولكن ذلك الإخلاص لم يمنعـه من تقديم إضافات فنية استجابة لروح العصر والبيئة والإنسان الجديد الذي عـاش في ظل الحكم الأموي والفتوحات الإسلامية ، لأن الإنسان كان قد أصاب حظوظـاً متفاوتة من الترف والثقافة شكلاً مزاجه وشخصيته علي نحو يختلف كثيراً عـن إنسان العصر الجاهلي. [٢]

ويمكن القول بأن الثلث الأخير من القرن الأول شهد نوعاً من التطور فـي اللغة والشعر عند العرب ، حيث شهد تفتح عبقرية أعشي همـدان الـذي نهـض بشعر الفتوح نهضة واسعة رائعة ، وشهد بعد ذلك شعراء الفتن، وهم أيضا مـن العرب، ولكن لم نشهد شاعرا من الموالي ، ثم أخذ الشعراء الموالي يظهرون بعد أن أخذت العناصر الطامحة من الأجانب إلي امتلاك زمام اللغة العربيـة، وعنـدها أخذت العربية المولدة تزاحم الفصحى، ويعتبر أعشي همدان والكميث أوضح مـن يمثلان هذا التطور في الشعر العربي في تلك الفترة.

ولذلك يمكن لنا القول بأن التطور الحقيقي والجديد كانت بدايته عند نهايـة الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية التي ازدهر فيها الشعر في كل جوانبه.

---

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ، ص٣٥٣.

(٢) محمد عبد العزيز الكنغراوي: تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وبني أمية ج١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العصر العباسي عصر التطور والتجديد:-

مما لاشك فيه أن العصر العباسي الأول بدأ مرحلة جديدة في تاريخ اللغة العربية تختلف تماما عن العصر الأموي ، فقد كانت الأسرة الأموية قريبة إلي أهل البادية، بحيث كانت تجد مدخلاً مباشراً إلي عالم تفكيرهم ، وكانت تنطق بلسانهم ، وتحسن فهم أشعارهم. ولكن العباسيين ــ علي رغم من أنهم كانوا يفتخرون بأصلهم العربي ويرفعون نسبهم إلي العباس عم الرسول صلي الله عليه وسلم ــ بعدوا بعداً كبيراً عن حياة البداوة والبدو، وكانت العناصر الإسلامية الجديدة التي لا ترجع إلي أصل عربي والتي وصلت إلي الحكم في هذا العصر أقل شعوراً ــ بطبيعة الحال ــ بحياة العرب وطبيعتهم ، فهم لم ينشئوا في الخيام، ولم يذوقوا طعماً لتلك الخشونة والحاجة التي يعرفها عالم البداوة وحياة الارتياد والانتجاع، كما لم ينفذوا إلي عالم البدو الفني بكنوزه وقيمه الفنية والخلقية، ولذلك لم يكونوا يفكرون كما كان يفكر البدو، فصبوا أفكاراً جديدة في قوالب اللغة العربية القديمة، ولكن لما كانت العناصر الأجنبية عنصراً أساسياً في حياة المدن الإسلامية الجديدة لم تستطع العناصر العربية أن تتخلص من تأثيرها ، ولما كانت العناصر الأجنبية متغلغلة في مناطق الأدب ، فقد أخذ ذلك الأسلوب الوحشي للعربية القديمة بثروتها الفياضة في الألفاظ والقوالب يتراجع أمام أسلوب سهل مهذب أخذ به المثقفون جميعاً دون تمييز بين أصل وجنس.

فإذا كان هذا التطور شمل الحياة العباسية واللغة: في هذه المرحلة من مراحل التطور اللغوي، فإن الشعر وهو الفن الذي يتخذ من اللغة أداة التعبير، قد مرّ بهذه المراحل نفسها، أو بعبارة أدق ، قد ساير هذا التطور اللغوي في المراحل التي مر بها[1]

لغة الشعر بين التراث والتجديد في العصر العباسي الأول:-

يلفت نظر الباحث في الأدب الدور الإيجابي الذي قام به علماء اللغة في العصر العباسي الأول حيث حفظوا للغة العربية سلامتها من مداهمة اللحن لها

([1]) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة، ص٦٧٦-٦٧٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتأثيره فيها، وكان لهؤلاء العلماء دورهم الكبير في الاتجاه إلي اللغة القديمة من البادية لاتخاذها مثلاً أعلي يحتذى به في مفرداتها ، وتراكيبها ، وأنماط الأساليب المختلفة فيها، وكذلك الاتجاه إلي الفن الشعري القديم علي أنه النموذج الامثل الذي يجب الاهتداء به والإقتداء بتقاليده. ويمكن توضيح ذلك علي النحو التالي:

كان هناك نفر غير قليل من شعراء البادية يتجهون إلي الحواضر يمدونها بسليقتهم العربية المستقيمة ويقدمون لها تراث العربية في نقاء وإتقان ، وقد تحول نفر كبير من هؤلاء الشعراء إلي معلمين للناشئة وغيرهم من الراغبين في اتقان اللغة العربية ورواية الشعر القديم[١] ومن أبرز هؤلاء الشعراء: أبو البيداء وابن الدمينه، ابن ميادة ، وأبو ضمهم الكلابي والعماني ، وسبيل بن غزرة الضبيعي.

وقد بذل علماء اللغة: منذ أواخر عهد بني أمية جهداً كبيراً في جمع ألفاظ اللغة وأشعار الجاهلية والإسلام، والسبب المباشر الأول في بذل هذه الجهود هو نشر لغة القرآن وحمايتها من اللحن علي ألسنة الموالي المتعربين ، خاصة وأن الكثيرين من أولاد العرب قد نشئوا في حجور أمهاتهم الأغجميات، فضعفت فيهم السليقة وأخذ اللحن يفشو من أجل هذا كله قام علماء الكوفة والبصرة في أواخر العصر الأموي بجهود هامة وأصيلة في حماية اللغة، وقد احتاطوا لسلامة اللغة احتياطا واسعا فلم يأخذوا اللغة عن عربي متحضر بل رحلوا في طلبها إلي قلب الجزيرة حيث ينابيعها الصافية " وكانوا بذلك يقصدون غايتين: أولهما: أن يقوِّموا ألسنتهم ويكتسبوا السليقة اللغوية السليمة ، وثانيهما: أن يلتقطوا من الأفواه مباشرة مادتهم اللغوية الصحيحة التي يعرضونها علي الناشئة . وفي حلقات المساجد"[٢]

ويصوّر أبو نصر الفارابي دقة هؤلاء العلماء وحرصهم في الحفاظ علي اللغة: من كل لحن ودخل فيوضح أنهم أخذوا اللسان العربي من قيس وتميم وأسد ولم يأخذوا من أهل حزام لمجاورتهم أهل الشام، ولا من بكر لمجاورتهم أهل

---

(١) الدكتور / محمد عبد العزيز الكافوري : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام ج١.

(٢) د/ شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ، ص١١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن ، ولا من أهل حاضرة الحجاز لأنهم خالطوا غيرهم من الأمم في ذلك الحين[١] بل كان التوغل في نجد لسلامة لغتها وكان أبو عمر أبن العلاء وهو شيخ العلماء وإمامهم يقول: (لا أقول قالت العرب إلا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية)[٢] وهو بذلك يقصد الجزء العربي من نجد وما يترامى إليه.

ويمكن تحديد أجيال علماء اللغة منذ أواخر العصر الأموي على النحو التالي:

الجيل الأول: في البصرة وعلي رأسه أبو عمر بن العلاء المتوفى عام ١٥٤هـ وعنه يقول: (الجاحظ " كان أعلم الناس بالقريب والعربية ، وبالقرآن وأيام العرب وأيام الناس)[٣]

وفي مقدمة رحال الجيل الثاني لعلماء اللغة: خلف الأحمر المتوفى في ١٨٠هـ والأصمعي المتوفى ٢١٠هـ وأبوزيد الأنصاري المتوفى في ٢١٤هـ. وأبو عبيدة المتوفى في ٢١٠هـ وعن الأصمعي رويت أشهر الدواوين وهي لأمري القيس والنابغة وزهير وطرفة وعنترة وعلقمة بن عبدة . وأهم أفراد الجيل الثالث : محمد بن سلام الجمحي صاحب طبقات خمول الشعراء (١٣٩-٢٣١ هـ). وكان في الكوفة مدرسة من العلماء يشكل حماد الراوية المتوفي سنة ١٥٦هـ والمفضل الضبي. وذلك الثقة الصدوق الحجة في اللغة ، وهو صاحب المجموعة الشعرية المعروفة بالمفضليات.

وأشهر أفراد الجيل الثالث أبو عمر الشيباني المتوفى عام ٢١٣هـ وابن الإعرابي المتوفى سنة ٢٣١هـ وكذلك أبو عبيدة القاسم بن سلام وهو صاحب غريب الحديث[٤]

---

(١) النص يتصرف في المزهر للسيوطي ج١، ص ٢١١ ط الحلبي .

(٢) ابن النديم – الفهرست ص ٦٧.

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ٣٢١/١.

(١) ابن الأنباري – نزهة الألباء ص ١٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يهمنا هو القول بأن جهود العلماء منذ أواخر عصر بني أمية كانت أخذة في تبوء مكانتها للحفاظ الدقيق علي اللغة في شتي المستويات.

وعندما كان العصر العباسي تحولت السليقة العربية السليمة ، إلي شعراء الحضر. فقد جمع علماء اللغة: الشعر الجاهلي والإسلامي ورصدوا المقاييس اللغوية في صورة واضحة ودقيقة ، وظلوا يبعثون في شعراء الحضر لإيمانهم بأن الشعر القديم هو المثل الأعلى والقدوة الرفيعة ، وكان من علماء اللغة ورواتها شعراء مقتدرون مثل حماد الراوية وخلف الأحمر والخليل بن أحمد، وكان علماء اللغة: يعنون كثيراً بعرض نماذج الشعر القديم المليئة بالحوشي والغريب يقول الجاحظ (لم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه غريب أو معني صعب يحتاج إلي الاستخراج)[١]

واهم المجموعات الشعرية التي قدمت آنذاك مجموعتان هما:

المفضليات للضبي الكوفي[٢]، والاصمعيات للاصمعي البصري ويمكن القول: أن اللغويين لم يكادوا يتركون قصيدة ولا مقطوعة جيده لشاعر جاهلى أو إسلامى إلا سجلوها ودونوها وفسروها وشرحوها وبذلك انقادت اللغة وسلست لمعاصريهم من الشعراء وغير الشعراء.

وكان هنالك سببان للعناية باللغة على هذا النحو في العصر العباسي أولهما: العناية بفهم القران الكريم والحديث النبوي الشريف، وثانيهما : عامل سياسي فعَّال هو إن خلفاء بني العباس لم يعتمدوا في تأسيس دولتهم وإقامة دعائم الحكم فيها على العنصر العربي بل على الفرسي، وحتى لا يتهم الخلفاء في ولائهم للعروبة والإسلام، وهم أهل بيت النبي عليه السلام اظهروا محافظة شديدة على لغة القران الكريم وتراث العربية وشجعوا العلماء تشجيعا كبيرا على رواية ودراسة كل ما يتصل باللغة وإخبارها من انساب وأشعار، وكانت مجالس الخلفاء العباسيين عامرة باللغويين والشعراء والأدباء وكان الخلفاء أنفسهم على مستوى

---

(٢) الجاحظ : البيان والبنين ، ج٤، ص ٢٤.

[٢]) ابن النديم – الفهرست ص ٦٨ – ابن الأنباري – نزهة الألباء ص ٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

راق من الثقافة اللغوية والأدبية وكانوا يفاضلون بين الأدباء ويهبونهم المنح والعطايا طبقا لمراتبهم في العلم والأدب.

وفي هذا العصر يمكن القول بان علماء اللغة كانوا سدنة الشعر وحراسه، وبلغ من سلطانهم أنهم كانوا يمنحون الشعراء الحق فى إجازة الشعر التي يصبحون بها مؤهلين لمواجهة الجمهور بأشعارهم، إذ كان الشعراء يعرضون عليهم اشعارهم قبل انشادها في المحافل فاذا استحسنها العلماء امكن للشاعر ان يواجه المحافل الكبيرة، وإلا عاد الشاعر الى المران والدربة ليصل الى الاتقان، يروي صاحب الاغاني : ان مروان بن ابي حفصة لما نظم قصيدته (طرقتك زائرة فحيَّ خيالها) عرضها على يونس النحوي في حلقة درسه فاعجب بها يونس وقال له : انها بريئة من العيوب، وحينئذ مضى الشاعر الى المهدي فانشدها بين يديه فزحف المهدي من صدر مصلاة حتى صار على البساط اعجابا بما سمع، ثم قال لمروان كم هي؟ قال مروان : مئة بيت فأمر له بمئة ألف درهم[١].

ويعقد المزرباني في كتابه الموشح فصلا طويلا يصور فيه كيف كان الشعراء يعرضون أشعراهم علي اللغويين ليجيزوها لهم، ويقول الخليل بن أحمد لإبن مناذر (إنما أنتم ــ معشر الشعراء ــ تبع لي . وإنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم والا كسدتم [٢] . وهكذا سيطر اللغويون علي سوق الشعر في العصر العباسي الأول وتعصبوا للشعر القديم. واتخذوه المثل الأعلى للشعر ، ولم يقبل كثير من علماء اللغة: الاحتجاج بالشعر العباسي، فكاف أبو محمد بن العلاء يختم الشعراء بذي الرِّمة ، وكان الأصمعي يختم الشعراء بابن ميادة وابن هرمة من شعراء نجد والحجاز فمن أدركوا الدولة العباسية، والناقد الفني لا يوافق اللغويين علي إهدار شعر العباسيين من الناحية الفنية ذلك أن المستوي الفني للشعر العباسي يحتمل مكانة واسعة في الحلقة الأدبية لتاريخ الشعر العربي هذا من الناحية الفنية ، أما المستوي اللغوي لهذا الشعر فقد أثبت البحث في زمن العباسيين ومن والاهم صحة لغة الشعراء العباسيين وما أخذ علي

---

(١) أبو الفرج – الاغاني ٨٢/١٠ دار الكتب.

(١) الأغاني – طبعه الساسى ١٦/١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعضهم له تخريج في العربية ، ولكن علماء اللغة، في تشددهم كان يحفزهم عامل ديني له قيمته الكبرى وهو وثاقة لغة القرآن الكريم من جهة ، وإيمانهم من جهة أخرى بأن المثل الشعري الأعلي هو الصورة التي رسمها الشعر القديم وحتى يحتفظوا له بكل ما يمكن من صحة وسلامة ودقة أغلقوا الباب أمام الشعراء المحدثين و ذهبوا يعدّون عليهم سقطاتهم، وهذه السقطات ليست أخطاء بالمعني الصحيح، فهي إما لغات غير مشهورة أو شاذة وإما استقامات وأبنية استحدثتها في ضوء المقاييس والقواعد اللغوية التي يعلموها من علماء اللغة أنفسهم.

وكان الشعراء يثقفون أنفسهم ثقافة لغوية وأدبية واسعة تجعل خطأهم أمراً بعيداً ، فهذا أبو نواس يتزود باللغة علي يد خلف الأحمر ثم يمضى إلي البادية فيقيم فيها حولاً كاملاً ينهل اللغة: من ينابيعها ، ثم يقبل علي دواوين الجاهليين والإسلاميين فيحفظها ، ويقول عنه الجاحظ (ما رأيت ، أحداً كان أعظم باللغة من أبي نواس، ولا أفصح لهجة حلاوة ومجانبة الاستكراه)[1].

ويقول أبو عمر الشيباني (لو لا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لا أحتججنا بشعره لأنه محكم القول)[2] وبشار قبل أبي نواس بلغ مع اتقانه اللغة أنه كان يتحدى في ثقة واقتدار ، ويروي صاحب الأغاني مواقف متنوعة في ذلك. و هكذا كان الشاعر العباسي أو الفارسي الأصل يجري اللغة إلي أرفع مستوي وأبعد قوي ، والذي لا شك فيه أن علماء اللغة : بجهودهم الواسعة هيئوا للشاعر العباسي العالم بالشعر القديم بما جمعوا له منه، وبما يسروا له من قواعد تعاليم اللغة العربية وإثقافها ، وساعد علي ذلك تشجيع الخلافة حيث كان العلم والتعليم مسيرا إلي ابعد مدى علي نحو ما أوضحنا ذلك فيما سبق.

ونظرا لازدهار الحياة اللغوية والأدبية وتمكن الأدباء وثقتهم بأنفسهم وإجادة سيطرتهم علي الفن الشعري الذي أحبوه وعاشوا له. أخذت اللغة من ناحية والفن من ناحية أخرى ، يزدهران علي أيديهم ، ومن هنا جاء أسلوب المحدثين أو المولدين في النهضة الشعرية وهو أسلوب يقوم بناؤه اللغوي

---

(1) ابن منظور – ابو نواس ص ٢١.

(2) الطبقات – ابن المعتز، ص ٢٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقاليده الفنية العامة علي أساس التراث اللغوي وعمود الشعر العربي إلي جانب طابع الذوق الحضري الجديد ،بينما المحافظة علي اللغة في مادتها وطرائق تراكيبها وأساليب اشتقاقها أمر مقدس ، فإن طابع العصر وملائمة الفن الشعري للحياة الجديدة واستيعابه لها وللأبعاد الإنسانية الجديدة بدأ أمراً مرغوبا فيه إلي حد بعيد، بل كان يفرض نفسه فرضاً ، لذلك تري أبا العتاهية ينكر علي ابن مناذر إسرافه في قول الأراجيز المحشوة بغرائب الألفاظ ويقول له (وإن كنت أردت بشعرك العجاج ورؤية فما تصنع شيئا ، وأن كنت أردت أهل زمانك فما أخذت ما أخذنا)[١]. وقد استطاع أبو العتاهية وشعراء عصره بمهارتهم الفائقة أن يذيعوا أسلوباً متميزاً ليبتعدوا به عن خشونة البداوة وكزازة ألفاظهم ، وتوجهوا إلي تلك التي تتميز بالعذوبة والرشاقة حيناً والرصانة والجزالة حيناً أخر، ولهم في كل ذلك ذوق متحضر محبب ينفر من الغرابة والوحشية . ويعتبر الشاعر بشار في مقدمة من أرسو دعائم الأسلوب المولد، ويقول عنه أبن المعتز: (كان بشار يعد من الخطباء والبلغاء وكان شعره أنقي من الراحة واصفى من الزجاجة وأسلس علي اللسان من الماء العذب)[٢]

وهكذا مع بداية العصر العباسي ظهر هذا الأسلوب الجديد الذي أخذ يتطور إلي الصنعة والتصنيع علي يد البحتري وأبو تمام ومن والاهما ثم عاد فأتخذ طريق العربية المثلي من الرصانة والقوة والسلاسة والوضوح علي يد المتنبي ومن أحيوا فيه وطريقته ، وكانت بداية التجديد في هذا العصر علي يد بشار وأبي نواس ومسلم أبن الوليد وأبو العتاهية فقد ساروا بالشعر مساراً جديداً ميَّزه علي كل العصور السابقة بالرغم من الالتزام بشكل القصيدة القديم في أغلب الأحيان.

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص ٩٠، دار الكتب.

(٢) ابن المعتز – طبقات الشعراء، ص ٢٨، ط دار المعارف/ تحقيق عبدالفتاح فرجا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني :مظاهر التجديد في الشعر وأسبابه:

لقد ذكرت في بداية البحث أن الدولة العباسية اتسعت رقعتها. ودخل فيها أجناس مختلفة لها عاداتها وتقاليدها ، الشيء الذي أدي إلي تأثر الحياة العباسية بها اجتماعياً وثقافيا وسياسياً.

ومما لا شك فيه أن الحياة العباسية تغيرت تغيراً واسعاً ، فقد انتقلت الأمة من باقيا حياة البداوة إلي الحضارة ومن خشونة العيش أحياناً إلي وفاء النعمة، وأصبحت الملابس الموشاة ، المطرزة الناعمة الرقيقة لباس كثيرين من الطبقة المتوسطة ، وشارك الأدباء في هذه الحياة الناعمة ، فقد أختلف الشعراء عما كانوا عليه في العصور السابقة ، فقد تركوا البداوة واتجهوا إلي المدن، وفازت بغداد والكوفة والبصرة بنصيب وافر منهم، كذلك أن الدولة العباسية كانت كثيرة الوارد الشيء الذي أدي إلي حياة الترف والنعيم والبذخ الذي تمثل في القصور الواسعة المترفة المزينة بالذهب والفضة والبساتين الجميلة الخضراء، وكان الشعراء ينعمون بذلك، مما أدي إلي نظم الأشعار الجميلة الراقية ، المنمقة التي تنال استحسان الخلفاء العباسيين ــ الذين عرفوا بإكرام الشعراء والأدباء بمنحهم العطاء غير المحدود.

ولا شك في أنَّ الازدهار الحضاري والتقدم العلمي الثقافي اللذين شهدهما العصر العباسي، كان لهما أثرهما في تطور الشعر وازدهاره ، فقد ترك كل منهما صداه في الشعر العباسي فظهرت فيه مجالات متعددة للقول كان للشعراء حظ وافر منها.

كما أنَّ التحول الاجتماعي الذي شهده ذلك العصر بعد امتزاج العرب بغيرهم من الأمم الأخرى التي ظهرت في الإسلام كان له أثر في الشعر العباسي. فظهرت فيه فنون تشجيع مطالب الحياة، وترقي أذواق الناس ، كشعر اللهو والمجون والخمريات الذي يروق لطبقة المترفين العابثين ، الذين يبحثون عن مسلاة يزجون فيها فراغهم ، وكشعر الزهد الذي يرضي المتدينين والعامة، وكالشعر الحكمي والتعليمي الذي أغرم به طائفة من العلماء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ناحية أخري أحس الشعراء ببعد الصلة بينهم وبين العرب الأولين الذين كانوا يقطنون البادية ويعيشون حياة خشنة بعيدة كل البعد عن حياتهم المتحضرة ، فأخذوا يصورون حياتهم الخاصة ومشاعرهم الذاتية، وكان لذلك مظاهر متعددة في الحركة الأدبية في ذلك العصر.

وكان لدى كثير من الشعراء استعداد لتقبل هذه التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي حدثت في ذلك العصر، والتأثر بها في شعرهم ، ليواكبوا بشعرهم حركة التطور والتجديد في كل جوانب الحياة. وقد آثر بعض الشعراء التمسك بتقاليد الشعر القديم شكلاً ومضموناً والوقوف عندما يرضاه علماء اللغة ويرضي أذواقهم، ومن ثم أصبح هناك تياران يتنازعان الشعر في ذلك العصر، تيار يواكب بشعره حركة التجديد التي شهدها العصر، ويؤائم بين شعره وبين المتغيرات الجديدة ، وتيار ظل واقفاً مكانه ملتزماً خطوات من سبقوه ، خاضعاً لذوق اللغويين والنحويين الذين تعصبوا لكل ما هو قديم، وأن كان التيار التجديدي قوياً، وخصوصاً في مجال الصياغة ، برغم الصعوبات التي واجهته ، وذلك لأنه الأقرب إلي ذوق العصر، والتعبير عن حياة الشعراء الخاصة وحياة العامة من أفراد الشعب وكان الصراع بين هذين التيارين عنصراً فعالاً في ازدهار الشعر والنقد في ذلك العصر.

وسوف نشير إلي أبرز خصائص التيار المجدد في كل عناصر الشعر و مدي ما أضافه من خصائص جديدة في هذه العناصر وقيمة هذا الجديد.

وقبل هذا وذاك لابد من الوقوف أولاً علي الدوافع والأسباب التي دفعت شعراء العصر العباسي إلي التجديد ، و الخروج علي بعض خصائص الشعر القديم ، وعدم التمسك بها أو الحرص عليها بالرغم من قوة أنصار القديم وإحكام قبضتهم علي الحركة الأدبية والنقدية في العصر العباسي الأول.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسباب ودوافع التجديد في العصر العباسي الأول:

الذي لا شك فيه أنه كان للاتجاه التجديدي في هذا العصر من الدوافع القوية، ما هيأ لأصحابه المكان المناسب في شعر العصر. وجعل صوتهم عالياً ، بالرغم ما اعترضهم من عقبات وصعوبات ، كانت تعترض طريق التجديد أحياناً إلا أنهم تغلبوا عليها حتى أصبح تيار التجديد قوياً يسير جنباً إلي جنب مع تيار المحافظة.

وقد كان لارتباط هذا التيار بحياة الشعراء الخاصة وصدوره عن واقع العصر ومتغيراته الجديدة ، وصراعاته المتعددة، قد ضمن له البقاء والاستمرار، بل والتفوق علي تيار المحافظة في بعض الأحيان. وهذا التيار التجديدي لم يكن وقفاً علي شعراء بعينهم ، بل تجد للشاعر الواحد نتاجاً محافظاً فيه علي خصائص القديم، وبجانبه نتاج تجديدي ، وكل ذلك يخضع فيه الشاعر لمؤثراته الخاصة، من لغة وثقافة وذوق ، وعاطفة ، وخيال، ومؤثرات بيئية بما فيه صراعات سياسية واجتماعية ، وجدل فكري وفلسفي ، وخصومات أدبية ونقدية، ولكل من الجانبين دوافعه عند الشاعر التي دفعت الشعراء إليه ومدي علاقتهما بواقع العصر، وبالبيئة، وذوق الشعراء ، ومدي تأثير أنصار القديم في دفع الشعراء إلي التجديد ومن خلال الدراسة نجد من أهم هذه الأسباب:

١-الربط بين النتاج الشعري وواقع العصر:

جاءت الدولة العباسية فتوطدت الصلات بين العرب وبين الأمم التي أخضعوها وكمل التفاهم بالمصاهرة، والولاء والإقامة وانعقدت الصلات بين العرب وبين الأمم المتاخمة لهم، وبنيّت بغداد علي دجله فقلت الحاضرة من الشام إلي العراق إيذاناً بوقوع العرب تحت تأثير الفرس وكانت النهضة العظيمة قوية، وتبدلت الحياة الاجتماعية تبدلاً حقيقياً، نقلت البداوة وأقام كثير من الشعراء في الحواضر الإسلامية، وغيرت أصول العادات والأخلاق، وانتشر المجون وشاعت الزندقة ، وعم الجهر بالفسق، وكانت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هناك ثورة اجتماعية عصفت بالتقاليد القديمة عصفاً، وكانت هنـــاك ثـــورة فكرية لم يرها العرب من قبل)[1]

كل هذا دفع الشعراء دفعاً إلي مواكبة تطورات العصر التي تبدت في كـــل مظاهر الحياة ، والارتقاء بشعرهم إلي مسرح الأحداث العصرية ، والحياة الخاصة بهم، وهذا عمل يقتضيه الذوق الأدبي وتطلبه حياة العصر ، ويســـتلزمه الحســـي الشعري لدى الشاعر، حتى يتلاءم مع حياة الشاعر الخاصة بكل جوانبها.

كانت الحياة العباسية الجديدة بكل جوانبها مثيراً قوياً للشعراء ، فصـــوّرا مظاهرها وجوانبها في أشعارهم ، سواء فـــي الحيـــاة السياســـية و الاجتماعيـــة والثقافية فخرجوا بموضوعات شعرية من وحي البيئة والواقع الاجتماعي، فجـــاء شعرهم مرتبطاً بواقعهم أقوي ارتباط وأصدقه. فقد كان هناك جماعة من شـــعراء العصر تذهب مذهباً متحرراً في الحياة ، وتري جعل الشعر أداة للتعبير عن الحياة الجديدة، كبشار و أبي نواس ومطيع بن أياس، والحسين بن الضحاك ومسلم بـــن الوليد ، وغيرهم. وكانت الحياة العباسية وما لازمها من ترف ونعيم و بذخ، تتمثل في القصور الواسعة المترفة المتزينة بالذهب والفضة والبساتين الخضراء أثرهـــا علي الشعراء لأنهم أصابوا من ذلك الترف بنصيب وافر أنعكس ذلك في شـــعرهم، كما أن الخلفاء العباسيين عرفوا بإكرام الشعراء والأدباء ومنحهم العطـــاء غيـــر المحدود، كما ساعد علي ذلك ظهور طبقة الرقيق،[2] والحواري وكثـــرة مجـــالس الغناء وتعددت دور المجانة واللهو والشراب ، وكل ذلك أدي إلـــي نتـــاج أنـــواع جديدة من أغراض الشعر لم تكن مألوفة من قبل. مثل: وصف الخمر ، والزندقة ، والزهد، والغزل بالغلمان، وغير ذلك نتيجة للحياة اللاهية في المجتمع العباسي.

٢- تحدي رواة الشعر القديم والنقاد المحافظين:-

حيث عمل التجديد علي اتخاذ اتجاه معاكس لرواة الشعر القـــديم والنقـــاد والمحافظين عناداً وتحدياً، وربما كان هذا السبب، أقوي الأسباب التـــي دفعـــت

---

(١) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٩١.

(٢) د. يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ، ص ٦٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعراء دفعاً، إلي التجديد، إذ راحوا يتحدون رواة الشعر والمحافظين من النقاد، ويظهر ذلك واضحاً عند أبي نواس فهو يقول متحدياً عامة الناس فيما يراه من مذهب في قول الشعر محابها دعوة النقاد إلي احتذاء القديم يقول:

عَدّ عن رَسْمٍ وَعَنْ كَثَبٍ والهُ عنْه يابْنَةِ العِنبِ

ويقول:

صِفة الطلولِ بلاغة القوم فاجعل صفاتك لابنه الكرم

وهكذا جعل الشاعر من القدم والحداثة طرفي نقيض[1]، حيث يعلن تحديه لأنصار القديم، واستحفافه بمنهجهم " وما لبث أن شئت حملته علي التقليد جملة، في عدد غير يسير من قصائده ومقطوعاته، عاقداً في ذلك الموازنة بين الوقوف علي الأطلال ووصفها والبكاء عندها، وبين البديل الغريب من نفسه، المرتبط بتجربته المباشرة وحياته اليومية وهو يصف الشراب ومجلسه وما يتصل به فيقول:

أحسن من منزل بذي قارٍ منزلُ خمـــارةٍ بالأنبارِ
شمُّ ريحانةٍ ونرجســـه أحســنُ من أنيق بأكوارِ
وعُشرةِ للغيان في دعــة مع رشـــأ عاقد لزنارِ
ألذّ من مهمـــةٍ أكدّ به ومِنْ سرابِ أجوب عرار
أحسن عندي من أم ناجية وأم عمـــرو وأم عمارِ

فأبو نواس يفضل الخمارة في الأنبار علي منزل بذي قار، وشم الريحانة والنرجس أحس من شم عرار النوق الذي كان محبا للشاعر القديم، وحياة الإقامة في رحاب القيد الحسان ألذّ من حياة الرحلة القاسية في الصحارى والغفار.

والاستماع إلي الموسيقي والغناء من القيان الناعمات أحسن من الحديث عن نساء لم يعرفهن، وهكذا كان أبو نواس يقدّم المبررات لمذهبه الجديد وينبذ تلك التقاليد المعنوية الشعرية القديمة.

---

(١) حسن ورويش أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر ، ص٢٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- الثقافات الجديدة:-

وهي من الدوافع الأساسية التي دفعت الشعراء إلي التجديد، حين اطلعوا علي ثقافات جديدة وافدة ، وأفادوا منها كثيراً، وظهر أثرها في شعرهم شكلاً ومضموناً ، وإطلاع الشعراء علي هذه الثقافات علي اختلاف أنواعها ، والإفادة من نتاج العلوم والمعارف الجديدة ومن جدل المتكلمين، وقف بهم على ألوان من الثقافات والعلوم والمعارف لم يعهدوا مثلها من قبل ذلك، ففتح أمامهم، آفاقاً جديدة للقول وميادين فسيحة للتعبير والوصف ، فجاء شعرهم وحياً من نبض هذه الثقافات ، وباعد بينهم وبين نتائج أسلافهم.

ونحن نعلم أن العصر العباسي قد شهد حركة ثقافية واسعة ونشاطاً علمياً مزدهراً في كل أنواع العلوم والمعرفة، وأطلع الشعراء علي نتاج هذه الحركة بكل جوانبها وعلومها الجديدة ، فتأثروا بها، ودفعتهم إلي التجديد بما يناسب هذا التقدم العلمي والرقي الثقافي.

فطبيعي أن يكون لهذه العلاقات الثقافية الجديدة أثرها في عقلية العباسيين عامة وفي شعراءهم خاصة ، لأنهم كانوا يتصلون بها اتصالاً وثيقاً.

ويروي عن العتابي التغلبي أنه كان يتقن الفارسية، وأنه رحل إلي [مرو] فكتب كتب العجم ، ولما سئل في ذلك قال وهل المعاني إلا في كتب العجم والبلاغة، اللغة لنا والمعاني لهم[١].

ومن يرجع إلي ترجمته في كتاب الأغاني يجدله ضرباً من الشعر القصير الذي يشبه الأمثال، كقوله في مديح عبد الله بن طاهر[٢]:

ودُّك يكفينك في حاجتي ورؤيتي كافيةُ عن سؤالي
وكيف أخشى الفقر ما عستُ لي وإنما كفاكَ لي بيتُ مالْ

وقوله[٣]:

هيبة الأخوان فاطعةٌ لأخى الحاجات عن طَلَبهْ

---

(١) طيفور أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر-بغداد جـ ٦ ص ١٥٧.
(٢) أبو الفرج – الاغاني ط دار الكتب ١١٧/١٣.
(٣) الأغاني ١١٦/١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا ما هبتَ ذا أمـــــــلٍ مات ما أمَّلْتَ من سَيبهِ

وأكبر الظن أن العتابي كان يتأثر في هذه القطع القصيرة بمعان فارسية، وكـــان يتأثر هذه المعاني أبناء الفرس أنفسهم، فهم أصحابهم، وهي كنوز كانـــت تحـــت أعينهم(١).

ولم تكن الثقافة الفارسية وحدها هي التي دفعت الشعراء إلي التجديد، ولكن كان بجانبها الثقافة الهندية، والثقافة اليونانية، ولكن كان للثقافة الفارسية نصـــيب الأسد في ذلك، لأن أصحابها رجال الدولة الذين قامت دولة العباسيين علي أكتافهم ، كما كانت ثقافتهم أقرب للذوق العربي من الثقافات الأخرى.

٤- عدم ملاءمة المنهج القديم للحياة الجديدة:-

الذي لا شك فيه أن شعراء العصر العباسي كان لديهم شعور قـــوي بعـــدم ملاءمة النمط القديم بخصائصه المضمونية، وســـماته الأســـلوبية لحيـــاة اللهـــو والمجون، والغناء، والعربدة التي سادت المجتمع في هذا العصر، ولذلك كان لابـــد من ابتداع بعض المضامين ، الشعرية التي تنبع من هذه الحياة الجديدة، وابتداع نوع من الأسلوب الشعري يناسب تلك المضامين الجديدة رقة ورهافة.

وهل تري الأسلوب القديم الذي يقوم في هـــذا العصـــر علـــي " الصـــنعة والتقليد، واستخدام اللغة القديمة، والصور البدوية ، والجنوح إلي القرابة اللفظية، والحرص علي القوالب العروضية التي كان القدماء يكثرون منها، وسلوك مســـلك القدماء في افتتاح القصائد بمقدمات تقليدية والخروج منها أحياناً إلي وصف الناقة أو الرحلة(٢). هل تري هذا الأسلوب يتناسب مع حياة من مالوا فى اللهو والترف، وذاع فيهم العبث والمجون، ووهنت عقائدهم فظهر فـــيهم التزنـــدق ، والإلحـــاد ، وتفننوا في طرائق اللهو ، وعقدوا مجالس الشراب وتعاطوا الكؤوس علي أنغـــام الغيان ودقات الطبول وعزف الأوتار ، وتأثروا بالحيـــاة الفارســـية فـــي وســـائل المعيشة فنصبوا الموائد ، وافترشوا الأرائك ، وتفننوا في اتخاذ الزينـــة واقتنـــاء

---

(١)د/ شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص ١٣٢-١٣٣.

(١) د/ يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ، ص ٦٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثياب الطريفة الموشاة ، وغير ذلك مما ساد في المجتمع العباسي من مظاهر اللهو والمجون، لذلك لم يكن هذا الأسلوب القديم بخصائصه وسماته يتفق مع هذه الحياة الجديدة ، فكان لابد من ابتداع أسلوب جديد يمتاز بكل عناصر اللغة والرشاقة ليناسب تلك الحياة بمظاهرها.

فكان هذا الأسلوب الجديد الذي تميز بحرية التعبير والصراحة في عرض الفكرة، والبعد عن التكلف والتصنع ، واجتناب الغرابة اللفظية ، واستخدام اللغة الشعبية التي يفهمها أفراد الطبقة الشعبية في سهولة ويسر ، والاعتماد علي الصور الشعبية التي يستسيغها أفراد هذه الطبقة ويتذوقونها والإكثار من الارتجال والحرص علي الوحدة الموضوعية والتحرر من القوالب العروضية التي كان يميل إليها القدماء ، سواء أظهر هذا التحرر في صورة ميل إلى الأوزان القصيرة والبحور المجزوءة أم ظهر في صورة خروج علي عروض الخليل. ثم ظهور [المزدوجة] لأول مرة في الشعر العربي(١)

ومن هذا الأسلوب ما نجده عند أبي العتاهية في سهولة لغته ، واقترابه من الشعبية أحياناً كثيرة في شعره، ورشاقه أوزانه وخفتها وربما كان لسبب في ذلك الزهد الذي غلب علي شعره، فلجأ إلي تلك السهولة الشعبية اقترابا من ذوق العامة للتأثير، فيهم يقول في إحدى زهدياته(٢)

أفنيت عُمرك باغتراك ... ومناك فيه بانتظارك
ونسيت ما لابد منه ... وكان أولى بأدكارك
وإن اعتبرت بماتري ... فكفاك علماً باعتبارك
لك ساعةُ تأتيك من ... ساعات ليلك أو نهارك
بادر بجدك قبل أن ... تُقضي وتزعج من قرارك
من قبل أن يتثاقل الـ ... ـزوار عنك وعن مزارك
من قبل أن تلقي وليـ ... ـس النأي إلا ناي دراك
أأخي فادخر ما استطعـ ... ـت ليوم بؤسك وافتقارك

(٢) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة ، ص٦٩٢-٦٩٣.

(٣) ديوان أبي العتاهية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلتنزلــن بمنـــــــزل تحتاج منه إلي ادخــارك

٥- المظاهر الحضارية الجديدة (الطبيعة المصنوعة):-

وهذا واقع آخر دفع شعراء العصر العباسي إلي التجديد بما يتناســب مــع ذوقهم وذوق العصر الذي يعيشون فيه ، وبما يتلاءم مع مظاهر البيئــة الجديــدة والحضارة الجديدة. فالمظاهر الحضارية الجديدة التي تبــدت فــي ذلــك العصــر، كالعصور والرياض والبساتين والبرك والنافورات والجسور وغير ذلك فتح أمــام الشعراء مجالاً للقول وميدانا للوصف، لم يحظ به شعراء العصور السابقة، فدفعهم إلي التفنن والابتكار في مجال الموضوعي لاستيعاب المظاهر الحضارية الجديــدة في شعرهم ، بل أبعدوا في ذلك فبدءوا قصائدهم بمقدمات تتناول تلك المظــاهر ، كما دفعتهم تلك المظاهر إلي رقة الأسلوب وسهولة في اللغة تناســب رقــة هــذه المظاهر ورشاقتها.

تلك هي الدوافع التي دفعت شعراء العصر العباســي الأول إلــي التجديــد والخروج علي التقاليد الشعرية القديمة شكلاً ومضموناً ، فاصطدموا بالقدماء وكان هذا الاصطدام بدء الخصومة بين القدماء والمحدثين.

السمات الفنيَة التي أثمرتها الحياة الثقافية والعقلية لدى الشعراء العباسيين:-

كان للحياة العقلية الثقافيات المترجمة التي انتقلت إلي العربية، ولتــأثيرات الحياة الاجتماعية في النفوس والأذواق والعقول، وللمدارس العلميــة والمــذاهب الفكرية وللنحل والعقائد آثراها البعيدة المدي في الأدب العباسي بصفة عامة، ومن أوضح أبرز السمات التي نتجت في الشعر في العصر العباسي الأول:

أ- شاع في هذا العصر الجدل في مباحث الكلام وقد تأثر الشعراء بهذا اللون مــن الجدل وبالتفكير الفلسفى، وكان بشار بن برد يعد من أصحاب علم الكــلام، وكــان كثير الترجمان إلي مجالس واصل من عطاء رأس جماعة المعتزلة، وكان من أهم المشكلات التي يثور حولها الجدل فكرة الجبر والاختيار، وكان واصل برفض فكرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجبر، ولكن بشار مضي في بعض أشعاره يعارض (واصلاً) ويصوّر أن الإنسان مسير لا مخير وفي ذلك يقول[١]

طُبِعت علي ما فيَّ غير مُخيَّر هواي ولو خُبِّرت كُنتُ المُهَذَّبا
أرِيدُ فلا أعطي وأعطي ولا أردُ ويقصُرُ عِلمي أنْ أنال المغيبا
فأصرف عن قصدي وعلمي مقصر وأمسي وما أعقبت إلا التعجبا

وربما النظام كان ينكر فكرة الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ ، وتجادل في ذلك طويلاً مع المعتزلة ، وقد ألم أبو نواس بأساس هذه الفكرة في أبيات غزله يقول متغزلا[٢]

يا عاقد القلب عني هلا تَذكرتَ حلا
تَركتَ مني قليلاً من القليل أقلا
يكاد لا يتجزأ أقلَّ في اللفظ من "لا"

ويقول أبونواس أيضا في شخص كان يبغضه وقد استخدم في قوله الإشارة إلي فكرة الكُمُون.

كَمُنَ الشنآن فيه لنا ككِمُون النارِ في حَجْرِهِ

ونظرية الكمون إحدى النظريات التي تحاور فيها النظام مع بعض معاصريه طويلاً. حيث يري أن الله سبحانه وتعالي خلق الموجودات دفعة واحدة ، ثم جعل بعضها كامناً في بعض علي نحو ما أكمن في أدم أبناءه.

وكان أبو نواس أيضاً يؤمن بفكرة المرجئة في أن الله من حقه أن يترك وعيده العاصي الذي أرتكب جرماً وأن يغمره بعفوه، وكان المعتزلة يرون وجوب صدق الميعاد والوعيد لأن ذلك لازم لصفة العدل ، ورد عليهم أبونواس متابعاً فكر النظام وهو شيخ المرجئة يقول في إحدي خمرياته[٣]

فقل من يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء
لا تحظر العفو أن كنت أمرءاً حرجاً فإن حظركه بالدين إزراء

---

(١) الأغاني : دار الكتب ، ج٣، ص٢٢٧.
(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ، ج١، ص ١٤١.
(٣) أبو نواس : الديوان ، ص٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر في كلام الشعراء كثير من مصطلحات المنطق وغيره من العلوم مما يدل علي أن ثقافة العصر المتنوعة قد أثرت تأثيراً مباشرا في المادة الفكرية للشعراء وقد وضح ذلك في كثير من أشعارهم وقد كان للثقافة الهندية والفرسية واليونانية تأثيرها الواضح عن طريق ما ترجم عنها، حيث عكف الشعراء علي الفلسفة اليونانية عكوفا جعلهم يقفون علي كل مناهجها في الفكر الدقيق ، ولم يلبثوا أن استكشفوا لأنفسهم عالمهم العقلي الذي يموج بطرائف الذهن في جميع المعاني الحسية والعقلية، وكانوا يتحاورون مع بعضهم البعض في غوامض الفلسفة محللين ومستنبطين كأروع ما يكون التحليل والاستنباط، وكثيراً ما ردوا علي فلاسفة اليونان واشتقوا لهم آراء جديدة يدعمها العقل الذي شغفوا به وبأدلته وبراهينه وهذا الشغف صوره بشر بن المعتمر تصويراً طريفاً، إذ يقول[1]

لله درُ العقلِ من رائدٍ وصاحبٍ في العُسرِ واليُسرِ
وحاكمٍ يَقضي علي غائبٍ قَضيَّة الشاهدِ للأمرِ
وإن شيئاً بعضُ أفعَالِه أن يفصل الخير من الشرِ
لذو قوي قد خصَّه ربُّه بخالصِ التقديس والطهرِ

وقد سخَّر بشر عقله في الرد علي أصحاب المقالات والنحل وفي نظم قصائد تدخل في التاريخ الطبيعي يتحدث فيها عن مشاهد الطبيعة ودلالتها علي قدرة الصانع الأكبر.

(ب) توليد المعاني نتيجة التأمل العقلي:-

نظراً لأتساع الحياة الفكرية والثقافية وشيوع الثقافات ذات الطابع الفكري والفلسفي ونتيجة لإقبال الشعراء علي فمنهم وعنايتهم بتجويده والابتكار فيه، نلاحظ شيوع سمة التوليد للمعاني نتيجة للتأمل العقلي وشيوع الثقافة والرغبة في الابتكار، وقد أكثر أبو تمام في العصر الثاني من استخدام التأمل العقلي في أشعاره حيث كان ديوانه يمثل هذا النوع من التوليد والمعاني، والتأمل العقلي كانت بدايته

(١) الحاجظ: الديوان ، ج٦، ص ٢٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في العصر الثاني من هذا النوع من الشعر وكذلك أبن الرومي في كثير من قصائده ، ولكن هذا التوليد والمعاني والتأمل العقلي كانت بدايته في العصر العباسي الأول. حيث بدأ عند بشار، وفتح له باب التجديد في المعاني والأخيلة والنسيج الفني، إذ نجد لديه في كل ذلك المذاق المحدث يمثل الحياة الجديدة في أبعادها الثقافية والإجتماعية ، ويتضح ذلك في مدخه للقواد والولاة حيث يستخدم الوصف الدقيق ويستنبط المعاني الدقيقة مستلهما لطائف عقله ودقائق تصويره، علي مثل قوله في مديح عقبة بن سلم والي البصرة[١]

أنما لذَّةُ الجوادُ ابنِّ سلْـــــم في عَطَاءٍ ومَرْكَبٍ للقـاء
كِخراجُ السَّماء سَيـــبُ يديه لقريبٍ ونازح الدَّار ناءِ[٢]
ليس يعطيك للرجاء ولا للخوِ ف ولكن يلذ طعـم العطاءِ
يسقط الطيرُ حَيثُ ينثرُ الحـ ـبُّ وتُغشَى منازلُ الكُرماءِ
لا يهاب الوغى ولا يعبد الما ل ولكن يهينـه للثـــناءِ
أريحيَّ له يدٌ تُمطِرُ النيـــ ل وأخرى سُمٌّ علي الأعداءِ

واضح أنه يجعل لذته في الكرم والشجاعة ، ويصور كرمه واسترسال فيه الغيث الذي لا مغر من سقوطه علي القريبين والنائيين .

(ج) اتِّساع الخيال وإبداع التصوير:-

نتيجة لاتساع الثقافة وتبعاً للقدرة علي التأهل الفكري والنفسي الذي يساعد علي توليد المعاني وتركيب الصور من عناصر غير متداولة، وتبعاً لمواهبهم المتنوعة فإن اتساع الخيال كان سمة واضحة في الشعر العباسي ، وقد ساعد ذلك علي بناء صور فنية جديدة مبتكرة ومن أمثلة ذلك بأتيه بشار بن برد التي يمدح فيها يزيد بن عمر بن هبيرة وفي رواية أنه مدح بها مروان بن محمد ، يقول في مطلعها[٣]

---

(٢) بشار : الديوان ١١١/١ والأغاني ، ١٩٨/٣. الديوان ص ٢٣-٢٤ ط دار الكتب العلمية.

(٢) خراج السماء، الغيث ، السبب: العطاء

(٣) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني١٩٧/٣ ، أو الديوان ٣٠٥/١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتبـــاً صدقيك لم تلقَ الــذي لا تعاتبــه
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنـــه مُفارِقٌ ذنبٍ مـــرة ومجانبـــه
إذا أنت لم تشرب مراراً علي الغذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

بلي أن يأتي التصوير الرائع الدقيق والخيال البديع يصف في المعركة التي حدثت بين الممدوح وجيش الخوارج.

وجيش كجنح الليل يَزْحَفْ بالحصي وبالشوك والخطي حُمر ثعالبه[١]
غدونا له والشمسُ في خِـدر أمهـا تطالعنا والطّلُّ لم يجـرُ ذائبـه
بضربٍ يذوقُ الموتِ من ذاق طَعمُه وتُدرك من نجى الفرار مثالبه[٢]
كأنَّ مثار النقع فوق رؤوســـنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبــه[٣]

حيث أبدع الشاعر في تصويره الدقيق لوقائع المعركة حيث استخدم وسيلة التشبيه التمثيل في قوة المعركة، ومن قبلها صورة الشمس الرائعة مستخدماً الكناية في الزحف مبكراً مما يدل على الخيال الخصب الرائع، والتصوير البديع.

(د) المبالغة الشديدة والتهويل الزائد:

هذه السمة من طباع الفرس ونظام حياتهم الاجتماعية وقـد ظهـرت فـي العصر العباسي في الشعر والكتابة، ومن آثاره في الحياة الإجتمعيـة والسياسـية المبالغة في تخيير الألقاب والنعوت والصفات، ومن أمثلة ذلك قول منصور النمرى في الرشيد قولاً خرج به للمبالغة المرزولة.

خليفةُ الله إن الجودَ أوديـــــةٌ أجلَّك الله منها حيثُ تَجْتمـــعُ
من لم يكن ببنى العباسُ معتصماً فليس بالصلواتِ الخَمس ينتفعُ
إن أخلف القطرُ لم تخلفْ مخايلهُ أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتبـــعُ

---

(١) يزيق: يهجم، الشوك: السلاح، الخطى: الرج: تعالبه: أطراقه
(٢) مثالبه : معايبه.
(٣) النقع: غبار الحرب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقول محمد بن وهيب يمدح المعتصم:

ثلاثةٌ تُشــرقُ الــدينا ببهجتهـــا شمسُ الضُّحى وأبو اسحق والقمــرُ
فالشمسُ تحكيه في الاشراق طالعة إذا انقطع لمن أدركها النظـــــرُ
والبدر يحكيه في الظلماءِ مُبتسمــاً إذا استنارت لياليه بــه العـــرر

إلى أن يقول :

فالخلقُ جسمٌ له رأس يديرُ وأنت جارحتاه السَّمعُ والبصرُ

وفي المبالغة الزائدة حدّ المعقول والمقبول قول أبى نواس يمدح الرشيد[1].

وأخفت أهل الشرْكِ حتى أنه لتخافك النطف التى لم تخلقُ

(هـ) الإكثار من الحكمة وتعمد استقصائها:

وهذه الظاهرة تتصل اتصالاً مباشراً وقويــاً بــالعمق الثقــافي مــن جهــة وبظاهرة توليد المعاني وتأملها وإدمان التفكير فيها وقدرة الشــاعر علــى تأمــل الحياة وفهمتجاربهامن جهة أخرى، وهى من هذا المنطلق معين خصــب للشــاعر المقتدر على تلقى وحيها والارتفاع إلى مستواها الخالد في تاريخ الكلمــة الفنيــة، وقد عظمت الحكمة لدى كثير من الشعراء العباسيين منذ بشار حتى بلغت قمتهــا عند أبى تمام والمتنبي والمعرى فيما بعد، ومعلوم أن الحكمة ظاهرة قديمــة فــي الشعر العربي، ولكن في العصر العباسى الأول تحولت إلى آفاق جديــدة تناســب عمق الثقافة وتنوع التجارب ودقة التأمل ومما قاله بشار في ذلك[2]:

إذا بُلِغَ الرايُ المشورة فاستعــــن برأيٍ نصيحٍ أو نصيحة حــازم
ولا تحفل الشورى عليك غضاضة مكان الخوافى قــوة للقــــوادم[3]
وما خير كفٍّ أمسك الغــلَّ أختهــا وما خير سيف لم يؤيــد بقــائم
وخلّ الهُوين للضعيــف ولا تكــنْ نؤوماً فإن الحر ليــس بنائـــم

---

(1) الديوان ص ٦٢.

(2) أبو الفرج – الأغاني ١٥٦/٣ وانظر ٢٢٤.

(3) القوادم : الريش الطويل، الخوافى : الريش القصير في جناح الطائر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل هذه السمات كانت ثمرة للحياة العقلية والثقافية في العصـــر العباســـي الأول، وكانت إضافة حقيقية لمسيرة الشعر في هذا العصر وادخال بعض المعـــانى الجديدة فيه تبعاً للتفسير الواضح في الحياة الإجتماعية ومواكبة التطور في الحياة الجديدة في مجال الادب بصفةعامة والشعر بصفة خاصة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: التطور في الموضوعات القديمة في العصر الأول

ظل العباسيون ينظمون في الموضوعات القديمة من المديح وغيره مما كان ينظم الجاهليونوالإسلاميون ولذلك أبقوا الشعر العربي على شخصيته الموروثــه، وقد مضوا يدعمونها دعماً بما لاءموا بينها وبين حياتهم العقلية الخصبة وأذواقهم المتحضرة المرهفة، فإذا هى تتجددمن جميع أطرافها تجدداً لا يقوم على التفاضــل بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة، بل يقوم علــى التواصــل الوثيق. ومن الموضوعات التى نقف عندها في البدء.

المديح :

معلوم أن الشاعر الجاهلي والإسلامى كان كلاهمــا يرســم فــي ممدوحــه المثالية الخلقية الرفيعة التى تقدرها الجماعة ويشترك فــي ذلــك الخليفــةوالوالى والقائد، وفي العصر العباسي اختلفت الغايــة للمدحــة. حيــث أصــبح الشــعراء يصورون المثل الخلقية تصويراً حياً ناطقاً ويجسمون هــذه المعــانى المســتنبطة الدالة على السماحة والكرم والحلم والحزم والمروءة والعفة وشرف النفس وعلو الهمة والبأس تجسيماً قوياً، حتى كأنها لتصبح تماثيل فــي أعــين النــاس كــي يحتزوها ويحوذوا لأنفسهم مجامع الحمد والثناء، ولذلك أصبحت المدحة تبث فــي الأمة التربية الخلقية الرشيدة، والفضائل والمكارم، وقدأشعل الشعراء العباســيون جذوتها في النفوس بما رفدوها به من عقولهم الخصبة وأخيلتهم البارعة، وأخــذ المديح في الخلفاء والولاة يعمل على تبصيرهم بالأخذ بدستور الشــريعة وتقــوى الله، والعدل بما ينعكس ذلك على سلوكهم كقول أبى العتاهية في هارون الرشيد[1].

وراعٍ يُراعي الله في حِفْــظ أمــةٍ يُدافع عنها الشَّر غير رقــود
تجافى عن الدنيــا وأيقــن أنهــــا مفارقةٌ ليست بــدار خلــــودِ

وقول مروان بن أبىحفصه في مطلع قصيدة للمهدى[2]

---

(1) الأغاني – ١٠٤/٤.

(2) الأغانيى – ٨٩/١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحيا أمير المؤمنين محمـــــدٌ سُنَنَ النبيّ حَرامُها وحلالهـــا

ويقول منصور النمرى في الرشيد[١]

بُورك هـــارون من إمـــام بطاعة الله ذى اعتصام

له إلى ذى الجـــلال قُرْبَى ليســت لعدلٍ ولا إمـــام

وقد يكون الخليفة سيئ السلوك ولكن الشعراء يمدحونه بنفس هذه المثالية الكريمة للخلفاء، لأنهم لا يمدحونه من حيث هو إنما يمدحونه خليفـــة للمســـلمين وموضع آمالهم. وقد صوَّر الشعراء الأحداث التى حدثت فـــي عصـــور الخلفـــاء وخاصة الفتن الداخلية، ولم يكتف الشعراء بهذا التصوير بل عنو بتســـجيل كلمـــا يستطيعون من تفاصيل المعارك الحربية، كما في تصوير علي بن جبله لبطولة أبى دُلف العُجلى قائد المأمون المشهور إذ يقول في قصـــيدة طويلـــة يصـــف بعـــض وقائعه[٢]

المنايـــــا فـــــي مَقانيـــــه والعطايا فـــي ذَرَا حُجـــرهْ[٣]

وزُحـــوفٍ فـــي صَواهِلِـــهِ كَصياحِ الحَشْر في أمـــرَه[٤]

قُوتُه والمـــــوتُ مكتمـــنٌ في مذاكيه ومُشتَجـــــــرِه[٥]

فرمتْ جيلـــوه منـــــه يـــدٌ طوتِ المنثورَ من بَطـــرَه[٦]

زُرتَـــهُ والخيـــل عابســـةٌ تحملُ البؤس إلـــى عُقـــرِه

صاغـــك الله أبـــا دُلـــــفٍ صَيقة في الخلق في خيـــره

كلُ مَنْ في الأرض من عرب بين بادية إلـــى حَضَـــــره

مستعيـــرٌ منك مَكْرَمـــةً يكتسيهـــا يـــوم مُفتخَـــرِه

---

(١) الأغاني – ١٣٩/١٣.

(٢) ابن المعتز – طبقاتالشعراء ص ١٧٥ – الاغاني ١٠٣/١٨ ساس.

(٣) المقاني : جماعات الخيل، ذرا الحجر : فناؤها.

(٤) زحوف: صيغة مبالغة في الزحف.

(٥) المزاكى : الخيل، الممشتجر : القنا

(٦) جيلوه: من ثوار آزربيجان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث جسَّد الشاعر بطولة الممدوح المتمثلة في شجاعته وبسالته كما وصف أيضاً قوته النادرة بتجسيد الموت وهو مكتمن في خيله وسلاحه. فكانت المدحة قديماً تشتمل على مقدمات تصف الأطلال وعهود الهوى بها ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراء وما يركبه من بعير أو فرس وما يراه من حيوانات وحشية وغيرها كما هو حال الشعر الجاهلى، وكل ذلك استبقاه شاعر المدحة العباسي ولكن مع إضافات تلائم بيته وبيت عصره، وهذه الاضافات تعبر عن خيال الشاعر العباسي وحياته العقلية، وقد يعجب الإنسان لاستبقاء هؤلاء الشعراء المتحضرن لعناصر الأطلال ورحلة الصحراء البدوية، غير أنهم اتحذوها رمزاً، فالأطلال تعنى حبهم الداثر، ورحلة الصحراء ترمز لرحلة الإنسان في حياته، وقد استغلوا ما كان يصحب الأطلال من حنين وذكريات حبهم ومعاهده، ولا يزال يترقرق في أشعارهم من مثل قول مسلم بن الوليد[١]:

هلا بكيت ظعائناً وحُمولا ترك الفؤادَ فراقُهم مَخْبولا[٢]
فإذا زَجرتُ القلبَ زادَ وجبُهُ وإذا حبستُ الدمع زاد هُمولا
وإذا كتمتُ جوَى الأسى بعث الهوى نفساً يكون على الضمير دليلا[٣]
واهاً لأيام الصِّبا وزمانه لو كانَ أمتَع بالمُقَام قليلا

وقد حاول بعض الشعراء أن يترك الحديث عن الأطلال المهجورة إلى حديث الحاضرة المأنوسة حينئذ كان لا يسترسل في وصف حبيبته فاستبدال الوقوف على الأطلال بوصف القصور يعد نوعاً من التطور في الشعر وانعكاساً لتأثير الحضارة التى لازمت العصر العباسي الأول، فالشاعر أشجع بن عمر السلمى يستهل إحدى قصائده بقوله[٤]:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ نشرت عليه جَمَالها الأيامُ

---

(١) ديوان مسلم بن الوليد ص ٢٣ ط دار المعارف.
(٢) الظعائن : النساء في الهوادج، الحمول: ما يحمله معهن.
(٣) جوى الأسى: ناره.
(٤) ابن المعتز ص ٢٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتحول الشاعر العباسي في أحايين كثيرة عن وصف الصحراء ومسالكها إلى وصف الرياض في الحاضرة ومناظرها الجميلة البهيجة في الربيع، واتخذوا أحياناً من وصف السُّفن ورحلتها في الأنهار صورة مقابلة لرحلة البعير في الصحراء، وكأنهم أى الشعراء يحاولون في بطء وحذر تحديد الموضوعات القديمة بما يلائم العصر أو على شاكلته ونلحظ ذلك في قول بشار بن برد في وصف السفينة ورحلتها في مدحه للخليفة المهدى[1].

وعذراء لا تجرى بلحمٍ ولا دمٍ قليلةُ شكوى الأيْنِ مُلجمةُ الدُّبر[2]
إذا ظعنتْ فيها الفُلول تشخَّصتْ بفرسانها لا في وُعوثٍ ولا وُعرْ[3]
تُلاعب تيار البحور وربَّما رأيتَ نُفوسَ القومِ من جريانها تجرى

وجعلهم موجة المجون الحادة في العصر يصفون في مقدمات مدائحهم الخمر أحياناً واستهلَّ ذلك بشار وتوسع فيه مسلم بن الوليد وأبونواس وأبوالعتاهية سعة شديدة وأضافوا له بعض التأملات العقلية في الحياة والطباع.

الهجـــاء

فقد تطور تطوراً واسعاً أكثر من المديح، إذ كان يتصل بحياة الشعب والعامة اتصالاً أدق من اتصال المديح، لأنه لم يضعف بسبب التنافس الشديد بين الشعراء، وقد عمت فيه روح جديدة إذ أخذوا يرسلونه سهاماً معمية، وأن الشعراء لم يتركوا مثلية خلقية أو نفسية في شخص إلا صوروها، وكأنما يريدون أن يطهروا المجتمع منها، ولم يتورعوا من هجاء الخلفاء والوزراء بتصوير المثالب الخلقية والنفسية كلما رأوهم ينحرفون عن الجادة كما كان يفعل دعبل الخزاعى، ولذلك اصبح الهجاء الصحيفة التربوية المقابلة للمديح، فالمديح يرسم المثالية لهذه التربية، والهجاء يرسم المساوئ الفردية والاجتماعية التى ينبغي أن يتخلص منها

---

(1) الأغاني ٢٤٢/٣. ط دار الكتب الديوان ص ٥٠٧ – ٥٠٨.
(2) الأين : الإعياء.
(3) الفلول : الجماعا. ووعوث جمع وعث وهو المكان السهل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجتمع الرشيد. وقد تبارى الشعراء في رسم معانيه، تارة يخذون وخـذ الإبـر، وتارة يطعنون طعنات قاتلة، من ذلك قول بشار في هجاء ابن قزعه بشحه[١]

فلا تَبخلا بخلَ ابن قَزعةَ فإنه مَخَافَةَ أن يُرجى نَداهَ حَزِينُ

إذا جئته للعُرف أغلق بابه فلم تلقه إلا وأنت كمينُ

وأهم ميدان غمس فيه الشعراء هجاءهم هو جانب الاستخفاف والتهوين والتحقير ويظهر ذلك في هجاء حماد عجرد لبشار عندما اشتد الهجاء بينه وبين بشار في مثل قوله[٢]:

وأعمى يشبَهُ القِـرْد إذا مـا عَمِيَ القِـرْد

دنئ لم يَـرُحْ يومـاً إلى منجد ولم يَغـدُ

ولم يَحْفضر مع الحضار في خيرٍ ولـم يَبْـدُ

الحفَّا ولـم يُخْـشَ لـه ذمٌّ ولم يُرْجَ لـه حمـدُ

هذه الأبيات يقال إنَّها هزّت بشار حتى بكى عندما سمعها لشدة وقعها عليه، فهجاه بشعر من نفس الحضارة الجديدة وكان أشدَّ إيلاماً منه. يقول بشار[٣]

نهارُه أخبث مـن ليلـهِ ويومه أخبثُ مِـن أمسِـه

وليس بالمُقلع عن غيِّـه حتى يوارى في ثرى رمسِهِ

ما خَلق الله شبيهـاً لـه من جنة طُرَّاً ومِـنْ أنسـه

والله ما الخنزيرُ في نتنِه برُبعه في النَتْنِ أو خُمسـهِ

بل ريحَه أطيب مِنْ ريحه ومَسِّه ألينْ مـن مَسِّـهِ

ووجهُه أحسنْ من وجهِه ونفسه أنبلُ مـن نفسـه

وَعُودُه أكرمُ من عُـودِه وجنسُـه أكرَمُ من جنسِـه

---

[١]) ابن المعتز، ص ٢٦.

[٢]) أبو الفرج – الأغاني، (طبع دار الكتب) ٣٢٩/١٤

[٣]) الجاحظ – الحيوان ٢٤٠/١. والأغانى ٢٣٠/١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد وصفه بشار بالخنزير في نتنه وهو هجاء مقزع. يقول الجاحظ: (وأنا – حفظك الله – استظرف وضعه والخنزير بهذا المكان في هذا الموضع حيث يقول: (وعودُه أكرم من عوده) وأى عود للخنزير قبحه الله وقبح من يشتهى (أكله) وحماد يضيف إلى قذارة الجسد قذارة الخلق، مع أنَّ بشار كان في الذروة الرخيصة من صنع الشِّعر ونظمه وكان حماد في السَّفح البعيد فإنَّ حماد كان يستعلى عليه في الهجاء. ويكثر من هجاء بشار هتك الأعراض. وربما كان لشيوع المجون والفحش أثر في ذلك.

الفخر

ظل محتفظاً بحيويته القديمة، وإن كان ضعف فيه الفخر القبلى رغم تمسك بعض الشعراء به وفي مقدمتهم أبو نواس إذ كان يتعصب إلى مواليه من سعد العشيرة والقحطانيين وينظم فيه أشعاراً كثيرة، كما كان بشار يتعصب أيضاً لمواليه القيسيين تعصباً حاداً، حتى إذا نجحت الثورة العباسية أظهر ما كان يستره من كراهية للإسلام والعرب.

والجديد حقاً في الفخر لهذا العصر إنَّ كثيراً من الشعراء صوروا في فخرهم عن شعور لماح بالمروءة والكرامة والشيم الرفيعة مثل قول عوف بن محلّم الخزاعى[1]:

وإنى لذو حلم على أنْ سورتى ... إذا هزَّنى قومٌ حميتُ بها عِرْضى[2]
وإنى لأجزى بالكرامة أهلها ... وبالحقدِ حقداً في الشدائدِ والخفض

وقول بكر بن النطاح[3]

ومَنْ يفتخرْ منا يعيش بحِسامه ... وَمَنْ يفتخرْ منْ سائر الناس يسأل
وإنا لنلهو بالسيوفِ كما لهتْ ... يسأل فتاةٌ بعِقدٍ أو سخابُ قرنْفُلِ[4]

---

[1]) ابن المعتز ص ١٩٢.

[2]) السوره : السطوة وشدة الغضب.

[3]) الأغاني (طبعة الساس) ١٥٥/١٧.

[4]) السخاب: القلاده – القرنفل : نوع من الطيب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرثـــــاء

فقد نشط الشعراء فيه نشاطاً واسعاً، إذ لم يمت خليفة ولا وزيراً ولا قائداً مشهوراً إلا أبنوه تأبيناً رائعاً وقد صوروا في الفؤاد بطولاتهم ومحنة الأمة والجيوش عند وفاتهم، وكان رثاؤهم لهم يفيض بالحزن واللوعة ويكتظ أيضاً بالحماسة وتمجيد بطولاتهم تمجيداً يقدم الحمية في نفوس الشباب.

والجديد في الرثاء في هذا العصر هو أنَّ الشعراء صوَّروا المعانى الدقيقة والصفات الحميدة التى كان يتصف بها المرثى، حيث أنها فقدت بفقده على شاكلة قول مسلم بن الوليد في رثاء يزيد بن مزيد[١]:

نفضت بك الآمال احلاس الغنى واسترجعت نزالها الأمصار[٢]

أجل تنافسه الحمام وحفرةُ نقشت عليها وجهك الأحفارُ[٣]

فاذهب كما ذهبت غوادِى مُزْنةٍ أثنى عليها السَّهل والادعارُ[٤]

فالصورة في البيت الأول دقيقة، فقد أراد أن يصور قعود المستضعفين والسائلين عن الرحلة في طلب نواله، فقال أن الآمال نفضت أحلاس الفتى أي انها لم تعد تهيئ الإبل للارتحال نحو، وجعل في البيت الثاني الموت والقبر يتنافسان عليه، كل يريد أن يضمه إليه، ولم يلبث أن جعل كل القبور تتنافس على قبره ملقي وجسده الغالى. ودعا له متمثلاً جوده الذي به عم الناس كما تعمُّ السحابة بوابلها السهل والوعر، وهذا تصوير رقيق واختيار رائع للمعانى الدقيقة في الرثاء. والجديد في هذه المراثي أيضاً رثاء المدن حيث تنزل بها كوارث النهب والحرق على نحو ما حدث لبغداد عندما رماها جيش الأعداء بالمنجنيق قبل مقتل الأمين حيث اندلعت فيها النيران وأضرمت بعض الأحياء، مما جعل كثير من الشعراء يبكونها وقد غمرهم الحزن والأسى في مثل بعضهم[٥].

---

[١]) ابن المعتز ص ٢٣٦.

[٢]) احلاس: جمع ملس وهو الكساء على ظهر البعير.

[٣]) الحمام: الموت.

[٤]) المزنة : السحابه الممطرة.

[٥]) المسعودى، مروج الذهب ٣١٣/٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألا أبك الاحراق وهَدْمَ منـــازلٍ وقتلٍ ونهابٍ للنهى والذخائر[١]
وإبراز ربات الخدور حواسراً خرجن بلا خمر ولا بمآزر

فإن لم تكن بغداد أحسن منظراً وملهى رأته عين لاه وناظر

ومن المراثى الجديدة الموضوع مراثـــي الطيـــر الصـــادق مثـــل القمـــرى والحيوانات المستأنسة كذلك رثاء البساتين، في مثل قول ابن الزيات يرثى فرســـاً أشهب لم يُر مثله حسناً، طلبه المعتصم ولم يرد طلبه، وعندما بـــان عنـــه رثـــاه بقصيدة طويلة يقول فيها[٢].

كيف العزاءُ وقد مضى لسبيلـــه عنَّا فودعنا الأحم الأشهب[٣]
منع الرقاد جوى تضمنه الحشـــا وهوىً أكابرُ وهمٌّ مُنصبُ[٤]

وقد أكثر الشعراء في هذا العصر من العتاب والاعتذار متخذين لهما مسالك دقيقة تدل على رهافة الحس وخصوبة الذهن مثل قول أبى دلف معاتباً[٥].

ومَنْ لى بالعين التى كنت مرَّة إلى بها في سالفِ الدهر تنظُرُ

كما نجد أن الرثاء والعتاب أخذ مكانة الحقيقة عند أبى تمام بمراثه المعروفة التى ذاع صيتها لما لها من تصوير رائع وأختيار للمعانى الدقيقة التى تعبر بصدق وحرارة على فراق المرثي، ولذلك نجد أنَّ الرثاء قد دخل مرحلة جديدة في أسلوبه خاصة المعانى والألفاظ.

الغـــزل :

لقد وجد الغزل أكثر اهتماماً وعناية في هذا العصر من غيره من الموضوعات، وذلك لأنه تصوير لعاطفة الحب الإنسانية التى كانت تحقق بأغانيها العيدان

---

[١]) النهى والذخائر: الأموال.
[٢]) ديوان ابن الزيات ص ٦.
[٣]) الاحم: الأسود، الأشهب: سواد مع بياض.
[٤]) الجوى: هرقة الهوى، منصب : متعب.
[٥]) ابن عبد ربه – العقد الفريد ١٦٥/٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدفوف والمعازف بأشكال مختلفة وبأصوات المغنيين والمغنيات صباح ومساء، وكانت المغنيات أو الغيان يعبثن بقلب الشاعر ومن حولهن الجوارى والإماء، وكان يتصل بهن اتصالاً غير مقطوع وكل غانية تعرف لو استحوذت على قلبي مشاعر وبادلته حباً بحب وهياماً بهيام، وكاد أن يكون بكل شاعر طائفة من الجوارى يحففن به، وكان منهن كثيرات يكتبن الشعر، حيث كنَّ يكتبن أبيات الغزل المثيرة على ثيابهن، وقد يطارحن بعض الشعراء أبيات العشق والصبابة[١]، ومن المؤكد إنَّ هؤلاء الجوارى والغيان هن اللائى رفضن المجتمع العباسي إلى الفساد الخلقى، إذ كن يعشن في بيوت النجاسة، وكانت دوراً كبيرة للعبث واللهو ولم يكن يستمعن فيها إلى ما يقول فيهن إلى السيرة السويه، إنما كن يستمعن إلى أحاديث العشق والصبوة، ومن حولهن الشياطين الذين يستعينون بكل شئ، بل كان منهم من ينكر أصول الدين غارقاً في اللذة والمجون من أمثال بشار وأبى نواس، ولذلك كان من الطبيعى أن يفتح الباب للغزل الإباحى الذي يدفع إليه الجشع الجسدى وهو غزل لم يكن معروفاً من قبل، كذلك كان طبيعياً أن يشيع الغزل الماجن في هذا العصر وخاصة الغزل الشاذ بالغلمان الذي كُبح في التراث القديم، كقول أبو نواس يصف غلاماً[٢]

يا ذا الذي يخطر في مشيته ... قد صفَّف الشعر على جبهتهْ
وسرَّح المئزر من خلفـــه ... ودقق البان على وفْرتـــهْ[٣]
مبتلٌّ تثنيـــه أعطافُـــهُ ... أمْيسُ خلق الله في خطرتهْ[٤]
مهفهفٌ ترتـــجُّ أردافـــه ... يتيه بالحسنِ على جيرتـــهْ

وكان هؤلاء الشعراء يستظهرون هذا الغزل ويرون فيه إكبار للمرأة وإعزازها، بل كان يرون فيه حباً عذرياً عفيفاً ومع ذلك الجو الصاخب بالغزل

---

[١]) شوقي ضيف، العصر العباسيى الأول ص ١٧٦.
[٢]) ابو نواس – الديوان ص ١٠٦ طبعة دار الكتب العلميه بيروت.
[٣]) الوفرة : الشعر الكثير.
[٤]) المبتل : الضامر البطن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الماجن نجد بعض الإشارات إلى الغزل النقي والحب العذري البرئ الذى ورثوه عن أسلافهم خاصة شعراء نجد العذريين، ويظهر ذلك فيما رواه المسعودى إذ أورد مجلساً ليحي البرمكى تناظر فيه نفر من المعتزلة والمتكلمين وبعض أهل الملل والنحل في العشق وحقائقه وظواهره وعذابه ودارته، ولطافة اصحبه ورقته ورهافة شعوره[١]، كل هذه المناظرة دارت حول الحب العفيف الطاهر، ولعلَّ ذلك يكون ناتجاً من التأثير اليوناني فيما ترجم عن الحب الافلاطونى وأخذه فلاسفة العرب عنه، وأخذوا يتحدثون عن العشق أحاديث فيها كثير من السمر والسعة والعمق، وكذلك تأثر بشار وأبو نواس وغيرهما من المجان بالحب الإفلاطونى أو الحب العفيف البرئ الذي يرتفع عن المادة والحس في مثل قول بشار[٢]:

دعا بفراق من تهوى أبانُ ففاض الدَّمعُ واحترق الجنان
كأن شرارة وقعت بقلبى لما في مقلتي ودمى استبانُ[٣]
إذا انشدت أو نسمت عليهـــا رياح الصيف هاج لها دُخـــانُ

وكان الشعراء العباسيون يختارون المعانى الدقيقة اختياراً سلباً يعبر عن خيالهم الخصب ومقدرتهم الفائقة في التصوير مثل قول بشار[٤]

أتتنى الشمس زائرةٌ ولم تك تبرح الفلكا

وقول أبى نواس[٥]

كـــأن ثيابـــه أطلعْـــ ـــنَ من أزراره قمرا
يزيدك وجهـــه حُسْـــناً إذا ما زرته نظـــــرا
بعين خالـــط التفتـــ ـــيرا من أجفانها الحَوَرا

---

١) المسعودى ، مروج الذهب ٢٨٦/٣.
٢) الأغاني طبعة دار الكتب ٢٠٦/٣.
٣) استبان، جرى شديد.
٤) المختار من شعر بشار للخالديين ص ٦٤.
٥) الديوان طبعة آصاف ص ١٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخدٍّ سابـــريّ لـــو تصوَّب مـــاؤه قطـــر

وقد اشتهر بهذا الغزل العفيف العباس بن الاحنف الذي استطاع أن يسمو بهذا الفن إلى درجة عالية وقد برع فيه لما تفسره من قصائد غزلية عفيفة نقية، تجد فيها النفوس غذاءاً روحياً ممتعاً، لانه يرتفع عن الحب والمادة ارتفاع الشعر العذرى الاموى، بما يصف من حب لا يخمد أواره، من مثل قوله[1]:

الحبُّ أول ما يكـون لجاجـــة تأتى به وتسوقه الأقـدارُ
حتى إذا سلك الفتى لجج الهوى جاءت إمورٌ لاتطاق كِبـارُ
نزف البكاءُ دُموع عينيك فاستقر عيناً لغيرك ومعها مـدرارُ
مـن ذا يعيـرك عينـه تبكـى أرأيت عينا للبكاء تُعـارُ بهـا

وقوله أيضاً[2]

إنك لا تعرفين ما الهمُّ والغـمُّ ولا تعرفيـن مـا الأرقُ
أنا الذي لا تنام عينى ولا تر قا دموعى ما دام بى وَمَقُ
أحَرَم منكم بما أقـول وقـد نال العاشقون مَنْ عشِـقوا
صِرتُ كأنى ذبالة نُصِبـتْ تضئ للناس وهى تحتـرق

وقوله :

زارك في البستان طيف طـروقُ ألمَّ من فَوْ فنفسي تتـوقُ
يا بأبي الزور الـذي زارنـا بات رفيقاً لي فنعم الرفيـق
يا فوز قد طالت بكم شقوتـي يا فوز قد حُملت ما لا أطيقُ

وصف الخمر

لقد اتسع هذا الفن وانتشر نتيجة لاتساع موجة المجون في هـذا العصـر، وكان القدماء يصفونها كما هو معروف عند الأعشى وعدى بن يزيد، وأخذ وصفها يكثر في أواخر عصر بنى امية وخاصة عند الوليد بن يزيد، وكانت ما نالتها فـي

---

[1]) الاغاني ، ج٥ ص ٢٦.

[2]) ديوان العباس ص ١١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكرخ وغيرها من المدن التى تكثر فيها دور النخاسة والأديرة المنثورة في ضواحى الكوفة والبصرة وبغداد، فأمها كل المجان والفساق من الشعراء، وقد أخذ كثير من الناس يتعاطون الخمر باختلاف مذاهبهم وخاصة الشعراء المجان من مثل مطيع بن إياس، ووالبة، وحماد عجرد وغيرهم يصبون الخمر أرطالاً ويتغزلون الغزل المكشوف الماجن بالحوارى والغزل الشاذ بالغلمان متمردين من كل عرف ودين وفي ذلك يقول مطيع بن إياس[١]:

أخلعْ عذارك في الهوى ... واشرب معتقة الدّنانِ
وصل القبيح مجاهراً ... فالعيشُ في وصل الغيان
لا يلهينك غير ما ... تهوى فإن العمر فان

وتبلغ ذروة هذه الموجة في عهد الأمين حيث اتخذ أبا نواس نديمه، وكان يعكف على الخمر عكوفاً يقترن بهجيج وضجيج وهجوم على مقدمة الأطلال القديمة طالباً من الشعراء أن يضعوا مكانها وصف الخمر المعتقة في مثل قوله[٢]:

قل لمن يبكى على رسم درسْ ... واقفاً ما ضرَّ لو كان جلسْ
نصفُ الرَّبع ومن كان به ... مثلُ سَلْمى ولُبنى وخَنَسْ
أترك الربع وسلمى جانباً ... واصطبح كرخيةً مثل القبش

شعر الزهد

انتشر في هذا العصر شعر الزهد وكان أكثر اتصالاً بحياة الجماهير في شعر الخمر والمجون، فإنها لم تكن تعرف ترفاً ولا ما يشبه الترف، وكانت حياة الجماهير حياة دينية مستقيمة يشيع في جوانبها النسك والعبادة، فإذا كان الكلام المكتوب عن حياة المجون كثيراً، فإن الاخبار أكثر عن حياة العباد والزهاد الذين رفضوا الدنيا وشهواتها وملاذها وآثروا ما يبقى على ما يفنى، وأشيع في هذه الأخبار كثير من الأشعار التى تصور زهد هؤلاء الناسكين وانصرافهم عن متاع

---

١) الشابشتى – الديارات ص ١١٦.
٢) الديوان طبعة آصاف ص ٢٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدنيا الزائل والإقبال على الآخرة بالتقوى والتوكل على الله والعمل الصالح، وقد تبعهم كثير من الشعراء يرددون نفس النغم، حتى شعراء المجون أنفسهم فإنَّ منهم من كان يتوب إلى نفسه فيعاض ما تروّى فيه من فسق ومجون، وحينئذ إما أن يقلع غيِّه إلى الأبد على نحو ما أقلع محمد بن حازم الباهلى[١]، وإما إلى حيث يطول أو يقصر على نحو ما يلقانا عند أبى نواس في قوله[٢]

ألا ربَّ وجهٍ في التراب عتيق ... ويا ربَّ حُسن في التراب رقيق
فقُل لقريب الدار إنك راحلٌ ... إلى منزلٍ نائى لا لمحل سيق
وما الناس إلا هالكٌ وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

كما ظهر في هذا العصر مبادئ للشعر الصوفى حيث نظم بعض الشعراء قصائد في الشعر الصوفى الذي يسمو بحياة الفرد إلى غايات أرحب وأسمى.

كذلك قول أبى العتاهية في استغفار المرء عن ذنوبه يقول[٣]

إلهى لا تعذبنى فإنني ... مقرٌّ بالذي قد كان منّى
وما لى حيلةٌ إلا رجائي ... وعفوك إن عَفوت وحسن
فكمْ مِنْ زلة لى فى البرايا[٤] ... وانت على ذو فضل ومنّ

إذا فكرت في قُدُمى عليها ... عضضت أناملى وقرعتُ سنّى
يظن الناس بى خيراً وأنى ... لشرٌّ الناس إن لم تعف عنِّى

---

[١] أبو الفرج – الأغاني – طبعة دار الكتب ١٠٥/١٤.

[٢] الديوان ص ٣٩٤ ط دار الكتب العلمية بيروت.

[٣] الديوان ص ٢٢٣ ط دار الكتب العلمية بيروت.

[٤] البرايا: الخطايا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن القول بأن الموضوعات التقليدي التى تعرضنا لها في الدراسة قد طرأ عليها تغيير يمكن أن يكون نواة لشعر جديد لكنه ليس بالجديد صرفاً، لأن القصيدة العربية حافظت على كثير من سماتها وأن هناك بعض التغييرات طرأت في بعض جوانبها، ويجوز القول بأن موضوعات الشعر القديمة أخذت تتجدد تجدداً واسعاً في معانيها، وأخذت تدخل عليها إضافات كثيرة في العصر العباسي الأول، حيث شكلت هذه الاضافات أثراً واضحاً في التحول في نظام بناء القصيدة العربية في كثير من جوانبها، وسوف نتطرق إلى أثر هذا التطور والتجدد في نهضة الشعر ونتلمس مواطن التجديد في القصيدة في موضوعاتها ومقدمتها، وفي مجال الصياغة، وفي مجال الأوزان والقوافى في الفصل التالى لنبين إن كان هناك جديد حقاً في الشعر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الثـــاني

أثر التجديد في نهضة الشعر

المبحث الأول: أثر النهضة علي القصيدة العربية

المبحث الثاني : آراء النقاد في ظاهرة التجديد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

أثر التجديد في نهضة الشعر

المبحث الأول: أثر النهضة في القصيدة

١/ الأغراض والموضوعات

لقد نهض الشعر في العصر العباسي، نهضة واضحة وتطور تطوراً ملحوظاً شكلا ومضمونا، مما جعل القصيدة العربية يعتريها بعض التغيير سواء في معانيها أو ألفاظها، وأصبحت أغراض الشعر وموضوعات تتجه نحو التطور، لكنه تطور محدود، وإزدهار فيه شيء من التحفظ بالقديم والالتزام بالقديمة.

ولو أننا استقرينا جميع أغراض الشعر في النصف الأخير من القرن الثاني، لم نجد فيها جديدا بالمعني الصحيح فالشعر ظل غنائيا لم يتغير نوعه، وأغراضه ظلت مديحا وهجاءا ورثاءا وتحزبا ووصفاً. صحيح أن الحياة الجديدة جاءت بالأكثار من شعر اللهو والمجون والاستهتار بالشراب، وجاءت بالغزل بالمذكر ووصف القصور والرياض، ولكن لذلك كله أثر في الشعر الجاهلي والإسلامي، وما هو جديد محض كالغزل بالمذكر ليس شيئا ذا بال وكل هذا ليس بجديد في الحقيقية، وإنما هو مسايرة الشعر للحياة الجديدة ، وتمشي معها في بعض صورها، وإن ظل كنهه وجوهره علي ما كان عليه من قبل.

"ليس إذن من غرض جديد ، ولا نوع جديد في الشعر العباسي، فالمحدثون اجتذوا القدماء في نوع الشعر، وفي آفاقه ومراميه : مدحوا، وهجو، ورثو، وانتصروا للعصبية، وتشيعوا للاحزاب، وقالوا في االلهو والخمر وتلك كلها أمور قديمة[١]

---

(١) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار العلمية ، بيروت: لبنان ، ١٩٨٢، ص٩١-٩٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكنه وبرغم ذلك يمكن لنا أن نحصر الموضوعات التي نهضت وإزدهـرت والتي أبدعتها قرائح العباسيين وهي:

أ/ الشعر التعليمي:-

هذا لون من الشعر العربي الجديد ظهر في العصر العباسي نتيجة موجـة التيار التجديدي الذي أثر في الساحة العباسية ، ولم تكن له جـذور فـي ماضـي الشعر، وإنما ظهر استجابة لمتطلبات الحياة العقلية الجديدة التي شـهدها العصـر العباسي ، من تنوع االثقافات الوافدة ، وتنوع العلوم العربية واللغويـة والدينيـة والتاريخية التي شهدتها الحركة العلمية في ذلك العصر أيضا. وبمـرور الوقـت تشتد الحاجة إلي التزوُّد من ثقافات وعلوم العصر ، فيلجأ بعض الشعراء إلي نظم العلوم والمعارف والقصص والتاريخ في قصائد شعرية تعرف بـالأراجيز تيسـيراً علي طالب العلم والمعرفة ، فنشأ بذلك لون من الشـعر الجديـد يعـرف بالشـعر التعليمي.

وخلال العصر العباسي كله شهد هذا اللون من الشعر نظم النحو والصـرف والعروض والأحكام التجويدية ، وغير ذلك من العلوم في أراجيز شعرية ، لا تمت للشعر بصلة لخلوها من العواطف والمشاعر ، وقد كان من الممكن أن يزدهر هذا اللون من الفن الأدبي ، وذلك عندما راح المشتغلون بفروع العلم المختلفة ينظمون المادة العلمية في أراجيز ممزوجة من هذا الظراز تكن بمثابـة متـون يحفظهـا الآخذون في تحصيل هذه العلوم[١].

وما هذه روح الشعر، وما ينبقي أن يكون الشعر كـذلك، وإلا أصـبح فنـاً جامدا، تصب فيه العلوم علي هيئة قوالب موزونة ، دون أن يكون هنـاك مجـال لعاطفة الشاعر أو شعوره ، دون أن يكون هناك مجال للخيال والتصوير.

ومن هذا اللون أرجوزة أبى العتاهية الطويلة " ذات الأمثال" التـي ضـمنها كثير من الحكم والمواعظ وفيها يقول[٢]

---

(١) د. عز الدين إسماعيل : في الشعر العباسي الرؤية والفن ، ص٤٠٦

(٢) ديوان أبي العتاهية : مطبعة بيروت ، ص ٣٨٥-٣٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حسبك مما تبتغيه القــوت ما أكثر القوت لمن يمـــوت
لكل ما يؤذي وإن قل ألم ما أطول الليل علي من لم ينم
من جعل التمـــام عيناً هلكا مبلغك الشر كباعية لكـــــا
ما انتفع المرء بمثل عقله وخيرُ زخرُ المرء حُسن وفعله[1]
أنّ الفساد ضده الصلاح ورب جدٍ جـــره المـــزاح

وهذه الأرجوزة تعتبر من أهم الأعمال الفنية عند أبي العتاهيــة فــي الجانــب الأخلاقي ، وهي أثر واضح من آثار التجديد في شعره ، من نوع الشعر التعليمى.

ب/ رثاء المدن:-

شهد العصر العبايسي تقدما ملموسا في مجال العمران والحضارة ، فبنيت المدن وشيدت القصور ، وأقيمت الحدائق والبساتين ، وانتشرت البرك والرياض ، ولم تلبث بغداد أن صارت معرضاً للحياة علي النمط الفارسي في الملبس والمسكن وألوان الأطعمة والأشربة، وفي الحفلات الأعياد.

وبدأ العرب يتأثرون بهذه الألوان الجديدة ويصنعونها ، ومن هنا نشأ تعلق الشعراء بهذه الحياة الجديدة ، وبمظاهرها الحضارية، فأحبوا مدنهم حبــا يفــوق الخيال، لأن نمو المدينة في العصر العباسي جعلها تتضمن في وقت واحد عوامــل جذب وتغير. وهذه في الحقيقة صفة طبيعية لكل مدينة كبيرة تستوعب قطاعــات وشرائح مختلفة ومتفاوتة في المجتمع ، كما تستوعب كل وسائل الثقافة وألوانها، وكل أسباب الحضارة والتحدث. ومن ثم رأينا كيف أقبل بعض الناس علي مدحها، وكيف ذهب بعضهم إلي هجائها.

ومهما يكن من أمر المدح والهجاء . فإن المدينة كانت في العصر العباسي قد صارت تمثل كيانا له معني ووجود في نفوس أهلها ، فإن أهلهــا قــد صــاروا تربطهم بها روابط كثيرة مادية ومعنوية ، ولقد تولد نتيجة لذلك شــعور إنســاني

[1]) الذخر : ما يخره المرء عند الحاجة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نبيل تجاه المدينة، عبروا عنه في صدق وحرارة عندما رأوا الخراب والدمار يحل بها، كأنهم فقدوا لها عزيزا لديهم.

وهكذا برز في العصر العباسي إطار جديد للرثاء هو رثاء المدن، وقد كان جديدا نهض بسرعة ، وذلك لأن علاقة الإنسان بالمدينة من قبل لم تتوطد بالشكل الذي توطدت به في العصر العباسي ، كما أن المدن الإسلامية لم تشهد دمارا وخراباً كما شهدته بعض مدن العراق في هذه العصر[١]

وهكذا يتبين لنا أن هذا الموضوع الشعري جديد، ابتدعه الشعراء في العصر العباسي الأول فهو أثر من آثار النهضة والتقدم الحضاري العمراني الذي يشهده العصر ، وأرتباط الشعراء ببيئيتهم الجديدة ، بكل مظاهر التحضر فيها.

ومن هذا اللون ما قاله عمرو بن عبد الملك العتري الوراق، يصورما حلّ ببغداد في أثناء الصراع الدائر بين الأمين والمأمون من الدمار والحريق والخراب، بعد أن كانت موطنا آمنا لكل قاصد ، وموضع نعمة وخبرة لكل طالب يقول[٢]:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين	لم تكوني زمانا قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم	وكان قربهم زينا من الزين
صلع القراب بهم بالبين فاترقوا	ماذا لقيت بهم من لوعة البين
استودع الله قوم ما ذكرتهم	الا تحدّر ماء العين من عيني
كانوا ففرقهم دهرُ وصدعهم	والدهر يصدع ما بين الفريقين

ج/ رثاء الحيوان والطير:

وهذا اللون من الشعر يعتبر أثرا من آثار التجديد في نهضة الشعر، حيث يكشف لنا عن معني إنساني فيه نوع من الحضارة، حيث تتولد العاطفة التي تربط بين الإنسان وهذا النوع من الحيوان ، والتي تغدوا قوية في نفس الإنسان حتى أن فقده للحيوان الأليف لديه يبعث في نفسه الأسي والحزن[٣]

---

(٣) د. عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي ، مرجع سابق ، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج١٠ ، ص١٧٥

(٢) تاريخ الطبري: ج١٠ ، ص١٧٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشعر العربي علي مدي عصور الأدب السابقة للعصر العباسي قد قدم لنا نماذج رائعة في وصف الحيوان والطير وصفاً وجدانيا ، وذلك ليس غريبا أن ينهض هذا الفن ويتطور لدي شعراء العصر العباسي ويزداد ارتباطهم بحيوان البيئة فيرثونه عند فقده وموته.

وهذ ا أبو القاسم بن يوسف يجعل أكثر شعره في هذا اللون حتى يقول عنه الصولي: (أنه أشعر في فنه الذي أعجبه من مراثي الباهائم من جميع المحدثين، حتى أنه لرأس فيه متقدم جميع من نحاة [١]

ومن هذا اللون عنده قصيدته التي يرثي فيها عنزاً له سوداء[٢] وفيها يقول متمنيا أن لو استطاع أن يفدي السوداء من الموت بأي فداء ، رخيصا كان أو بغلاء

ولكن أنى يَكونُ ذلك ونحنُ نَعيشُ من دارٍ كُتِبَ لها الفناءُ
لو فِدي الحيّ ميتاً لَفَدَينا كِ رَخيصًا إنْ كان أو بِغَلاءِ
حَبذا أنتِ يا سويداءُ لونَمـ ـتْ لنا فيكِ مُطْمِعات الرَجاءِ
أي حِبى يَبقي فتَبقِي لنا الـ سوداءُ هيهات ما لنا من بقاءُ
كيف يَرجُو البَقاءَ سكانُ دارٍ خَلَقَ اللهُ أهلَها للفناءِ
ولهمْ بَعدهَا معاد إلي داً ر خُلودِ إقامةٍ وجزاءِ

د/ الغزل بالمذكر:

ربما كان هذا اللون من الشعر أبرز الموضوعات الجديدة في هذا العصر، وأكثرها شيوعاً في شعر الشعراء، وخصوصا المجان، وكان أثراً واضحا من آثار الحضارة العباسية الجديدة، والمجتمع العباسي الذي تشكل من أجناس مختلفة، وحياة اللهو والمجون التي كانت غالية علي العصر العباسي الأول ، والترف والنعيم اللذين نعم بهما شعراء هذا العصر، والحانات والخمارات والأدبرة التي

(١) الأوراق: للصولي ص١٦٤
(٢) نفسة ،ص١٦٤-١٦٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت مفعلاً للفسق والفساق، كما ذكرنا من قبل، كل ذلك كان له أثره في وجود هذا اللون في الشعر وتطوره.

ولا شك في أن هذا اللون من الغزل بعد إنحرافا بالغزل عن مساره الطبيعي الفطري، إلي ضرب من الشذوذ والغزل بالذكر، قادهم إليه عكوفهم علي الشراب وإختلاطهم بالغلمان، الذين كانوا يديرون عليهم الكؤوس فيعبثون بهم علي مائدة الشراب، ويتغزلون في محاسنهم ويخلعون عليهم كثيرا من أوصاف الفتنة والحسن والإغراء ، ويتناولون أموراً أخري بعف اللسان عن ذكرها، مما يعتبر ضرباً من الإنحراف بالغزل عن مساره الطبيعي وتشويها لحقيقته الجميلة، ولقد بيّنا ذلك عند أبي نواس كما انتشر ذلك الغزل الشاذ عند مطيع بن إياس وغيره من شعراء اللهو والمجون يقول مطيع متغزلاً في غلام[1]:

وليس يُعتِـــمُ إلا سكرانَ مع سكران
يسقيه كلُّ غــلامٍ كأنه غُصْنُ بــان
من خندريس عُقارٍ كحُمرةِ الأرجُوان

يقول ذلك من غير أن يتحرج من إثم وهو من أوائل المجان الذين قالوا هذا النوع من الغزل الشاذ ولعلَّ ذلك ناتج عن موجة الفجور والفساد الذي عمَّ المجتمع العباسى في الكوفه والبصره وما وصل إليه الحال في تلك الفترة.

هـ/ وصف وسائل الثقافة:

انصهر شعراء العصر في يوتقة الثقافات المتعددة في عصرهم، في محاولة صادقة منهم للتأثر ببيئتهم والقرب منها، واستمداد موضوعات شعرية منها، حتى يكونوا أصدق تعبير عن واقعهم وحياتهم، ومظاهر بيئاتهم، وكان من ذلك وصفهم لوسائل الثقافة المختلفة لعصرهم، وهو لون من شعر الوصف لم يكن معهودا في العصور السابقة، نشأ بتأثير التقدم العلمي، والتطور الثقافي والإزدهار الفكري الذي تجلي في أبرز صوره وأدق معانيه في العصر العباسي.

---

[1]) الأغاني ٢٩٣/١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك ما يقوله كلثوم بن عمر العتابي في وصف الكتب [1]

لنا ندماء ما نمـــل حديثهـــم أمينون مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضي ورأيا وتأديبا وأمرا مســددا

بلا علة نخشي ولا خوف ريبة ولا نبتقي منهم بنانا ولا يــدا

فإن قلت هم أحياء لست بكاذب وإن قلت هم موتي فلست مفندا

هذه أبرز الموضوعات الجديدة وأثر هذا التجديد في تطورهــا ونهضــتها فــي العصر العباسي الأول، وهي تمثل نزوح الشعراء العباســيين إلــي التجديــد فــي موضوعات شعرهم بما يناسب ذوقهم وحياتهم ورغبتهم الصادقة في التعبير عــن حياتهم اليومية، وجعلها مادة ثرية لشعرهم بما فيها من لهو مجون.

ورغم ذلك التطور و النهضة لهذا الشعر الجديــد وأثــره علــي الســاحة العباسية. إلا أن الشعراء يدورون في فلك الأغراض الشعرية القديمة التــي نظــم فيها القدماء، لهذا لم يهتم النقاد كثيرا بهذا الجانب التجديدي في الشعر العباسي.

٢/ أثر التجديد في المقدمة:

إذا أفتتح الجاهلي أو الإسلامي مديحه بالنسيب ، والوقوف بــالأطلال فــإن ذلك كان من بيئته ومن طبعه، فإذا ما وصف الناقة وصف ما لقاه فــي الصــحراء من عناء وتعب وما صادفه من حيوان ونبات، فإن ذلك مقبول منه، لأنــه يفصــح فيه عن أمر واقعي ، ويصور فيه حاله نفسية قامت به.

هذه الديباجة سائقة من الجاهليين و الإسلاميين ، لأنها تصور كثيــرا مــن حالاتهم ، ولأنها صادقة التصوير ، ولكن أيصح من شاعر كأبي نواس يقــيم فــي بغداد مع الرشيد والأمين أن يستهل مدائحه بأطلال يقف بها ، وناقــة لعلــه لــم يركبها؟ أيصح أن تكون الديباجة التي أخذت عناصــرها مــن مشــاهد الصــحراء صالحة لمن يقيم علي ضفاف دجلة بين ترف ولهو وقصور وريــاض؟ وكمــا أن

(١) أبن النديم: الفهرست ، ص١٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الديباجة الجاهلية صادقة لأنها تصور الحياة الجاهلية البدوية، كذلك يجب أن تكون ديباجة الشعر الحديث صادقة تصور الحياة الحضرية الناعمة.

لذلك لابد من الإنصراف من هذه المطالع القديمة والتفكير في شيء جديد ملائم. فكان أن مال ابو نواس إلي أقرب الأشياء إلي حياته فأستمد منها ديباجة شعره الخمر الندامة ومجالس الشراب [١] ولذلك نراه يقول كما ذكرنا نابذا المقدمات الطللية داعيا إلي تركها[٢]

دع الإطلال تسفيها الجنوبُ وتُبلي عهدَ جدتها الخطوبُ[٣]
وخلِّ لراكب الوجناء أرضاً تخُبُّ بها النجيبةُ والنجيبُ[٤]
بلاد نبتها عشرٌ وطلحٌ وأكثر صَيدُها ضبع وذئبُ
ولا تأخذ عن الأعراب لهوا ولا عيشا فعيشهم جديبُ
دع الألبان بِشرَ بها رجالُ ولا تحرج فما في ذاك حوبُ[٥]
فأطيب منه صافية شَمول يَطُوف بِكأسِها ساقي أدِيبُ

وهنا تتجلي شعوبية أبي نواس الحانقة حيث راح (يصف حياة العرب بالخشونة، وأن المتحضرين المنعمين لا مكان لهم فيها ، فهي حياة حرب وشقاء وترحال لا ينتهي علي ظهور الجمال في الفيافي والفقار، وليس فيها مجال للهو والمتعة، واقصى ما يستطيعه العرب فيها أن يشرب اللبن حليبا أو يصيبه رائباً حامضا، فيكون بديلا لديهم من الخمر. وهو يدعو نفسه أو يدعو غيره إلي نبذ هذا كله، السعي إلي مجلس اللهو والشراب الحقيقي حيث يدور الساقي علي الشراب بالكؤوس[٦] وكثير من الشعراء يستبدل الوقوف على الأطلال بالوقوف علي

---

(١) تاريخ النقد العربي عند العرب ، ص٩٢-٩٣

(٢) ديوان أبي نواس ، دار صادر بيروت: ص٣٥-٣٦.

٣) تسفيها: تذرى ترابها – الجنوب : الريح الجنوبية.

٤) الوجباء: الناقة القوية: تخب : الخبب نوع من عدو الجمل.

٥) الحوب: الإثم.

(٣) د.عز الدين إسماعيل : في الشعر العباسي الرؤية والنص ، ٨٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القصور التي أنتشرت في هذا العصر ، أو أطلالها، ووصفها وأفتتاح قصائدهم بها علي نحو ما نجده عند محمد بن يسير قصر حزب[١]

ألا يا قصرُ قصرُ النوشجاني أرى بك بعد أهلك ما شجاني

فلو أعفي البلاء ديارَ قـــومٍ لفضلِ منْهم ولعظـــم ْ شأني

لما كانت تُري بك بيَّنـــاتٍ تلوح عليك آثار الزمـــان

وهكذا تجد أن الشعر الجديد ظهر أثره واضحا في مجال المقدمـة وقـد نهـض وإزدهر حتى اصبحت الأفتتاحية بذكر القصور والرياض والورود ومظاهر الطبيعة وكل ذلك بعد نهضة واسعة بفعل التجديد في مقدمة الشعر.

٣/ أثر التجديد في صياغة الشعر:

لقد عرفنا المثل الأعلي للشعر عند القدماء: كلام يجـري علـي السـليقة والفطرة ، ومعاني توحي إليهم بها حياتهم ، أهم خصائصها الوضوح، وعبـارات قوية ، رصينة جزلة لا يقصد بها إلا إبراز المعني وجديده.

وأما المثل الأعلي للشعر عند المحدثين فكان شيئا آخـر فقـد أرادوا أن يكتبوا شعراً جميلا وفهموا من جمال الشعر غير ما فهمه القدماء ، فالجمال القديم هو الفطرة ، والقوة والإبانة والوضوح ، وارسال الكلام أرسالا كمـا يـوحي بـه الطبع.

أما المجددون فقد اعتقد كثير منهم أن المعاني نضبت ولا ملكيـة فيهـا ولا فضل ، وإن أهم شيئ في الشعر هو الصياغة ، وليس المهم أذن شيئاً يقال ، وإنما أن يقال هذا الشيء في بيان جميل. وكيف يتأتي هذا البيان الجميل؟ بالزخرف فـي العبارة والتنسيق ، فأخذوا يفتشون في العبارات القديمة عمـا يظنونـه جمـيلاً ، وتتبعوه، ووشحوا به شعرهم ، وأكثروا منه ، فأجتمع لهـم مـن ذلـك الجنـاس والطباق والإستعارة وغيرها من الأنواع التي وقع عليها أسم البديع[٢]

---

(٤) الأغاني ،ط١ دار الكتب ، ج١٤ ، ص٣٩

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، طه ابراهيم ، ص٩٣- ٩٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١) البديع:

وجد العباسيون بعض فنون البديع " التي جاء بها الجاهليون والإسلاميون عفواً ، وبدون تلمس ، ومن غير أن يعرفوا لها أسماء ، فأخذوها وأدخلوها في أشعارهم، فجاءت منهم طبقة : تفننت في فن البديع وأحدثت فيه فنوناً " [١]

وأكثروا منه في أشعارهم حتى أثقل الشعر بالصبغة وأصبح غثاً ممجوجاً.

وتزعم هذه المدرسة: بشار وتبعه أبن هرمة ، والعتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وكلهم من أصحاب الاتجاه التجديدي في العصر الأول ثم تبعهم أبوتمام في العصر الثاني وغيرهم.

"ويبدو أن الشعراء بعد بشار كانوا قد استكشفوا بعض وسائل الأداء الشعري الذي ارتبط بالبديع فراحوا يفرضونها أحيانا علي معانيهم فرضا حتى تبدوا جديدة مبتكرة ، متصورين أن الأداء الجديد يعكس الجدة علي المعني كذلك وكان الأصل العكس، أي أن المعني البديع هو الذي يستجلب الأداء الشعري المبتكر[٢]

ويتضح ذلك جلياً في شعر مسلم أبن الوليد في غزله حيث يقول: [٣]

أجررت حبل خليعٍ في الصبا غزل وشمرتُ همم العذال في العذل

هاج البكاءُ علي العين الطموحِ هوي مفرق بين توديع ومحتمل

كيف السلو لقلب راح مختبلا يهذي بصاحبِ قلبِ غيرَ مختبل

والجهد واضح في هذه الأبيات سواء من حيث اختيار الألفاظ ومن حيث إضافة رخارف الجناس والطباق فهو يجانس بين العذال والعذل ، ويطابق بين المختبل وغير المختبل

ب/رقة الأسلوب:

لقد أدي التطور الذي حدث إلي شيء من التغيير في أختيار الألفاظ السهلة الرقيقة ، والتراكيب اللينة ، والأبتعاد عن الحوسي والقريب ، ومن غير المعقول

---

(٢) نفسه ، ص٩٣-٩٤

(١)د. عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي الرؤية والفن ،ص٤٢٧

(٢) ديون مسلم ، ج١ ص ٢٣، دار المعارف مصر، تحقيق د. سامى الدهان، الطبعة الثالثة ١٩٧٠ ، ص٢٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألا يترك البعد الزمني بين العصر العباسي وأبدايات الشعر العربي ، ومن غير المعقول ألا يترك التطور الحضاري والعمراني والثقافي وشيوع الغناء واللهو في هذا العصر أثراً في لغة الشعر وصوره بما يتواءم مع طبيعة العصر وطبيعة الناس فيه، وطبيعة البيئة الجديدة.

والذي لا شك فيه أنه قد أظهر نهضة كبيرة وأثر أثراً في لغة الشعر وألفاظه وتراكيبه ، فرأينا نمطين من الأسلوب في مجال التجديد.

أولهما: أسلوب وسط يلائم ذوقهم الحضري وحياتهم الجديدة ، هذا الأسلوب الوسط يقوم علي "عتاد من القديم وعدة من الذوق الحضري والحياة الجديدة، أسلوب يحافظ علي مادة اللغة ومقوماتها التصريفية النحوية ، ويلائم بينها وبين حياة العباسيين المتحضرة بحيث تنفي عنه ألفاظ العامة المبتذلة كما تنفي ألفاظ البدو الحوشية[١]. ويظهر ذلك الأسلوب عند أبي نواس في قوله: [٢]

وخمَّارٌ أنخت إليه رحلي ... أناخه قاطنٍ والليلُ داجِ

فقلت: له أسقني صهباء صرفا ... إذا مُزِجت تُوقِدُ كالسراجِ

فقال: فإن عندي نبتُ عُشر ... فقلت له مقالة من يناجي

إذ قنيها لأعلم ذاك منها ... فأبرز قهوة ذات ارتجاجِ

كأن بنان ممسكها أشيمت ... خضابا حين تلمعُ في الزجاجِ[٣]

فتلحظ هنا إن أبا نواس قد خرج علي طريقة القدماء التقليدية في وصف الأطلال إلي وصف الخمر ، فإن أسلوبه لم يبتذل ، بل حافظ علي قوة آسرة وفخامة ألفاظه، مع سهولة العبارة ووضوحها.

الأسلوب الثاني: هو ذلك الأسلوب السلس السهل اللين الذي تكثر فيه الرقة المفرطة، والليونة الزائدة ، والذي يقترب من اللغة الشعبية.

---

(٣) د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ، ص١٤٦

(٤) ديوان أبي نواس ، ص١٣٧

٣) أشيمت : خُضبتْ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعدّ أبو العتاهية رائد هذا الاتجاه في الأسلوب، ينظم به في المدح، والهجاء، والرثاء ، والغزل والزهد ، كما رأينا في المبحث السابق، وعلي طريقه سار كثير من شعراء اللهو والمجون ، الذين كانوا يتقارضون الشعرعلي موائد الشراب، وفي الحانات والخمّارات والأديرة ، وفي مجالس الغناء واللهو.

"وأبو العتاهية يعدُّ من أول شعراء القرن الثاني الذين أدخلوا بساطة التعبير وشعبيته في قصائد المديح التي كانت تلتزم فيها فخامة التعبير وأرستقراطية[١] .وهو يبيّن لنا منهجه في الشعر فيقول: (فالصواب أن تكون ألفاظه مما لا يخفي علي جمهور الناس مثل شعري ،ولا سيما الأشعار التي في الزهد ، وهو موهوب أشقف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء والعامة، وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه[٢]

ومن هذه الألوان عنده قوله في مدح المهدي[٣]

أتته الخلافة منقادة	إليه تجرّ أذيالها
ولم تك تصلح إلا له	ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره	لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم نطعه بنات القلوب	لما قبل الله أعمالها

حيث نجد ألفاظاً سهلة ، وعبارات رشيقة واضحة ، ولغة يسيرة تقرب من لغة الحياة اليومية ، بالإضافة إلي الوزن الرشيق القصير ، علي الرغم من أن القصيدة في المدح ، ومن هنا يتضح لنا مدي النهضة التي وصل إليها الأسلوب بسبب التجديد الذي لازم الشعر في كثير من جوانبه.

٤/ أثر التجديد في أوزان الشعر:

لقد أثرت موجة التجديد في الشعر في أوزانه مما أدي إلي النهضة فيها باستخدام أوزان مختلفة قصيرة كانت أو مجزوءة، كما سبق أن تحدثنا من قبل في الفصول السابقة.

---

(١) د/ هدارة : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص٣٩٩.

(٢) الأغاني ج٣ ، ص١٦١ ط بولاق

(٣) ديوان أبي العتاهية ص ٣١١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(ولم يقف تجديد المحدثين عند الديباجة ونبذ الصياغة ، بل حاولوا كذلك في أعاريض الشعر وأوزانه، فأهتدي بشار إلي أوزان جديدة نظم فيها تطرفا، واستعمل أبو العتاهية أوزاناً غير التي نظم فيها القدماء [١]. وكان أثر التجديد يتمثل في الآتي:

١- أكثر بعض الشعراء من استخدام الأوزان الحقيقة المجزوءة لمناسبة تلك الأوزان لإيقاع العصر ، وانغماس الناس في اللهو، والمجون، حتى لم يدع لهم ذلك – في بعض الأحيان –، فرصة لسماع الأوزان، الطويلة.

وهذا يعني أن الشعر في العصر العباسي تغلبت عليه الأوزان القصيرة والمجزوءة، وذلك بعكس الشعر القديم الذي غلبت عليه ــ كما قلنا ــ الأوزان الطويلة.

ومهما يكن من أمر فأن ظاهرة تقصير الأوزان لم تكن جديدة في العصر العباسي. ولكن الجديد هو إكثار الشعراء من استخدام الأوزان المجزوءة ، ومبالغتهم في اختزالها إلي حد أن صار البيت أحياناً من تفعيلتين. كل تفعيلة تكون شطرة[٢]

وقد شاعت هذه الأوزان من الشعر الذي يناسب الغناء كشعر الغزل والمجون وغيرها، كما شاعت كذلك في الفنون التقليدية كالمدح والهجاء، والرثاء، والوصف، وغيرها.

ومن هذا اللون قول مسلم الخامر في مدح المهدي [٣]

موسى المطر غيث بكرْ ثم انهمر ألوي المرر

---

(١) تاريخ النقد العربي ص٩٦

(٢) د./ عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي الرؤية والفن ، ص ٤٤١

(٣) أبو رشيق القيرواني: العمدة ج١ ، دار الجيل، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص ١٨٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كم اعتسر وكم قـــدر ثم غفر عدل السيـــر
باقي الأثر خيرٌ وشرْ نقعٌ وفيرٌ خيرُ البشـــرْ
فرعٌ مفُرْ بدرٌ بَـــدَر لمن نظرْ هُوَ الورر
لمن حفـــر والمفتخر لمـــــن عبـــــرْ

وهذه القصيدة مبنية علي" مستفعلن واحدة في كل شطر ، ولكنها كتبت مرتين في الشطر تقريبا للمعني، وهو وزن أبتكره سلم الخاسر.

٢- ابتداع بعض الأوزان الجديدة. التي لم تكن موجودة مـــن الشـــعر القـــديم وسجلها الخليل بن أحمد في بحوره.

وهذه البحور ــ كما ذكرناها هي: المقتضـــب، والمضـــارع، واكتشـــفها الخليـــل، والمدارك ، وأكتشفه تلميذه الأخفش.

فمن المقتضب قول أبي نواس:

حامل الهوي تعِبُ يستخفهُ الطَربُ
أن بكي يَحِقَ له ليس ما به لعِب [١]

ومن المضارع قول أبي العتاهية : [٢]

أيا عتبُ ما يـــضـــزُ كِ أن تَطلقِي صَفادي

وبحر المقتضب أكثر شيوعاً من المضارع، وأكثر تداولاً علي ألسنة الشعراء، وربما لخفته ورشاقته وسهولة النظم عليه.

غير أن هذين البحرين تقل نماذجهما كثيراً في الشعر العربي، ولهذا رفضهما الأخفش ، لأنهما لم يردا إلا في صورة بيت أو بيتين. ومثلهما كذلك الوزن الذي اكتشفه الأخفش وهو وزن المتدارك ، فلم يرو كذلك إلا في صورة بيت أو بيتين.

٣- محاولة بعض الشعراء استنباط أوزان جديدة من الدوائر العروضية التي وضعها الخليل بن أحمد ، كما جاء في مقلوب بعض البحور.

منها المستطيل: وهو مقلوب البحر الطويل (مفاعيلن فعولن مفعالين فعولن)

---

(١) ديوان أبي نواس : ط ١ ، بيروت: ص٥١

(٢) أبي العلاء المعري: الفصول والغايات ، مطبعة حجازي ، القاهرة: ١٩٣٨م ، ص١٣٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الممتد: وهو مقلوب المديد (فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن). ومنها أيضاً المتوفر والمتئد والمتسرد، والمطرد[١] مثل قول ابى العتاهية في عتبة فيما روى عنه ابن قتيبة يقول[٢]

عُتبُ ما للخيالِ خَبِّريني ومالى لا أرَاه أتاني زائراً مُذ ليالى

فهذا البيت وزنه (فاعلن فاعلاتن) مرتين على عكس وزن المديد وهو من الاوزان المهمله.

وهذه البحور في اصطلاح العروضيين تسمي بالبحور المهملة لندرة نماذجها، والجهل بقائليها، وللتعسف الشديد الذي يبدو في تركيب تفعيلات البحر، ولأن نماذجها في أغلبها بيت واحد، ويبدو أنها أثر من آثار الصنعة عند المتأخرين من أهل العروض[٣]

٥/ التجديد وأثره في القوافي:

رأينا عند القدماء التزام القافية الموحدة في الشعر ، ولم نعهد عندهم خروجاً علي نمط تلك القافية.

أما عند المحدثين في العصر العباسي الأول، فإذا كان العصر بواقعه الاجتماعي، وما ساد فيه من اللهو والمجون، وما شاع فيه من الغناء، قد أدي إلي محاولات التجديد في الأوزان، فقد أدى كل ذلك إلي الخروج عن النمط التقليدي للقافية وعدم الالتزام بقافية واحدة في القصيدة الواحدة ، فرأينا أنماطاً مختلفة من القافية. ولقد كان للتجديد أثره الواضح في مجال القافية حيث ظهر لونان من القافية في هذا العصر فهما:

أ- المزدوج:

وهو الذي لا تطرد قافيته في الأبيات ، بل يستقل كل بيت فيه بقافيـــة مـــع اتفاق الشطرين في القافية ، ولكن دون التزام بتكرارها في سائر أبيات القصيدة،

---

[١]) إبراهيم انيس: موسيقي الشعر، ص ٢٠٩ -٢١٠

(١) ابن قتيبة – الشعر والشعراء ص ٧٦٦.

(١) إبراهيم انيس: موسيقي الشعر، ص ٢٠٩ -٢١٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد شاع هذا اللون في العصر العباسي الأول ، كمحاولة أولي للتخلص من نظام القافية التقليدي ، كما في أرجوزة أبي العتاهية (ذات الأمثال). التي تحدثنا عنها في المباحث السابقة، وكما في نظم أبان اللاحق كليلة ودمنة ، ويقول أبن النديم عن أبان: إن أكثر شعره مزدوج ومسّمط. وبشر أبن المعتمر إن أكثر شعره مزدوج ، ونجد من أوائل الذين كتبوا في هذا الضرب الجديد من القوافي محمد أبن إبراهيم الغزاري في نظمه التعليمي لعلم الفلك)) [١]

شاع المزدوج في العصر العباسي، حتى نظم فيه غالبية شعراء العصر.

ومن المزدوج منظومة أبان اللاحق كتاب كليلة ودمنة ، وفيها يقول:

هذا كتابُ أدبٍ ومحنـــة وهو الذي يدعي كليلة ودمنة
فيه دَلالات وفيه رُشـــدٌ وهو كتابُ وضعته الهنـــدُ
فوصفوا آدابَ كلِ عالـــمٍ حكاية عن ألسن البهائـــمِ
فالحكماء يعرفون فضلَـــه والسخفاءُ يشتهون هزلـــه
وهو علي ذلك يسير الحفظ لذٌّ علي اللسان عند اللفـظ
يا نفسُ لا تشارك الجهـلاء في حبِ مذمومٍ كان قد زالا
يا نفسي لا تشقي ولا تغنـــي في طلب الدنيا ولا تمنـــي

شاع هذا اللون في الشعر التعليمي الذي سبق الحديث عنه وفي فن الحكمة، وفي الغزل، وفي الوصف ، وفي الخمر وغير ذلك.

وتطور الشعراء بالمزدوج إلي الرباعيات ، وهي تتكون من أربعة أشطر يتفق أولها وثانيها ورابعها في قافية واحدة ، مع اختلاف المصراع الثالث عنها في قافية ، وقيل أن هذا اللون من القافية يقرن ببشار بن برد، كما ذهب إلي ذلك (بوهات فك) في كتابه " العربية" ومثل له هذا الرباعي لبشار[٢]

ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت
لها عشرٌ دجاجات وديك حسنٌ الصـوت

---

(٢) د/ محمد المصطفي هدارة: اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري ، ص٥٧٥

(٢) يوحان فك: العربية ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط القاهر: ١٩٥١م ، ص٩٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيه أيضاً قول بشار:[1]

خاط لي عمرو قبا ليث عينيه سوا

قلن بيتاً ليس يدري أمديح أم هجاء

ب) المسمّط:

وهو عبارة عن قصائد تتكون من أدوار ، كل دور يتكون من أربعة أشطر أو خمسة، تتفق في قافية ما عدا الأخير منها ، وهو بمثابة عمود المسمط وخطبه الذي يدور عليه ويتفق كل دور في المسمط أو العمود مع الأعمدة الأخرى في القافية:

ومنه هذه الخمرية لأبي نواس وهي من المسمطات المربعة [2]

سُلافُ دنَّ كشمسي دَجَنّ

كد مع جفن كخمر عدن

طبيخ شمسي كلون ورسي

ربيب خرس حليف سجن

يستقيك ساق علي اشتياق

إلي تلاق بماء مزن

يا منْ لحاني علي زماني

اللهو شأني فلا تلمُني

التجديد وأثره في أساليب الشعر:

لقد أصبح الشعر العربي في العصر العباسي يؤدى بأسلوبين متناقضين ، لكل منهما أنصاره ومريدوه، وهي حلقة من سلسلة حلقات الصراع بين القديم والجديد الذي شهده ذلك العصر.[2]

---

(١) د/ محمد طاهر منصور : مقدمة ديوان بسار ، ج١ ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،١٩٥٠م ، ص١٤.

(١) يوحان فك: العربية ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط القاهر: ١٩٥١م ، ص٩٨

[2] ديوان ابو نواس ص ٣٤٦ ، ط اسكندو اصافي المطبعة العمومية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ/ الأسلوب الأول: (يتميز بحرية التعبير ، والصراحة في عرض الفكرة، والبعد عن التكلف والتصنيع ، واجتناب الغرابة اللفظية ، واستخدام اللغة الشعبية أو اللغة: التي يتفهمها أفراد الطبقة الشعبية في سهولة ويسر، والاعتماد علي الصور الشخصية التي يستقيما أفراد هذه الطبقة ويتذوقونها، والإكثار من الارتجال وانتشار المقطوعات، والحرص علي الوحدة الموضوعية، والتحرر من القوالب العروضية التي كان يميل إليها القدماء ، سواء أظهر هذا التجديد في صورة ميل إلي الأوزان لقصيرة والبحور المجزوءة أم أظهر في صورة خروج علي عروض الخليل، ثم ظهور [المزدوجة] لأول مرة في الشعر العربي عند حماد عجرد وعند أبي العتاهية.

ب/ أما الأسلوب الآخر: فإن أوضح خصائصه هي الصنعة والتقليد ، واستخدام اللغة: القديمة والصور البدوية ، والجنوح إلي الغرابة اللفظية ، والحرص علي القوالب العروضية التي كان القدماء يكثرون منها، واختفاء المقطوعة وظهور القصيدة الطويلة، وسلوك مسلك القدماء في افتتاح القصائد بمقدمات تقليدية والخروج منها أحياناً إلي وصف الناقة أو الرحلة ، ثم خلع الصفات القديمة علي الممدوح ، أو بعبارة أخرى ، الرجوع بالفن إلي المثل القديمة التي لا يصدر فيها الشاعر عن نفسه وإنما يصدر فيها عن الصنعة والمحاكاة"[١] ويكفى أن ننظر في هذه القصيدة لمطيع بن إياس التى مدح أحد أحفاد خالد القسري في عصر المنصور[٢] لنتبين صورة من هذه الخصائص:

أمن آل ليلى عزمت البكورا ولم تلق ليلى فتشفى الضميرا
وقد كنت دهرك فيما خلا لليلى ولجارات ليلى زؤورا
ليالى أنت بها معجبٌ تهيم إليها وتعصى الأميرا
وإذا هى حوراء مثل الغزا ل تبصرث في الطرف منها فتورا

حيث نجده يبدوها بمقدمة غزلية يقلد فيها القدماء حين يستهلون قصائدهم بالنسيب.

---

(١) د/ يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة ، ص٦٩٢-٦٩٣.

٢) الأغاني ٨٩/١٢ (الساسى) نقلا عن يوسف خليف – تاريخ الشعر في الكوفة ص ٦٩٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونشير بوجه عام إلي أن الأساليب جنحت إلي السلاسة والرقة وتخلصت من الخشونة والوعورة ، وكاد هذا اللين يميل بها إلي الضعف، ويهوي بها إلي الابتذال وهذا ما زهد العلماء من رجال اللغة والمحافظين في نتاج المحدثين، فأصبحوا لا يرونه إلا في خشية وحذر، ولا يرون فيه موضعاً لاحتجاج، واستشهاد، لولا أن تنبه أولئك المحدثون إلي ذلك الزهد في آدابهم فالتمسوا له الحلي والزينة التي يبدوا فيها كلامهم في هيئة فاتنة ، ومظهر خلاب يسحر الناس، ويدعوا إلي البحث في مظاهر الجدة والافتنان في هذا الكلام(١).

وهكذا تبيّن لنا أيضاً أنَّ التطور الذي أصاب العصر العباسي في كل جوانب الحياة ، وما ناله هذا العصر من الحظ الوفير والقسط الكبير في التحضر والعمران والثقافة والعلوم، كان لكل ذلك أثره في نهضة الشعر في أسلوبه وصياغته ، حيث اندفع الشعراء إلي التجديد في شكل القصيدة بما يناسب ذوقهم وذوق العصر الذي يعيشون فيه ، كما اخذوا يبتكرون في مجال المعاني والأخيلة، مما يستخدمونه من بيئتهم و واقعهم، حتى ظهر تغيير كبير في شكل القصيدة العباسية وفي كل عناصرها، كما بيّنا هنا، مما دفع أنصار القديم إلي الوقوف بشدة ضد هذا التيار الجديد الجارف.

وبهذا يحق أن يكون العصر العباسي هو العصر الذهبي للشعر العربي ، حيث بلغ فيه الشعر قمة ازدهاره ورقية أسلوبا وفكراً وصياغة. كما كان الشعراء مرآه تعكس صورة المجتمع العباسي بخيره وشره ، وجده وهزله. فأدي ذلك إلي وجود موضوعات جديدة في الشعر العباسي تواكب الحياة الجديدة وتعبر عنها أصدق تعبير ، كما أنه من خلال هذا البحث يتضح وبالنظر إلي خصائص الشعر الجديد التي عرضها لها ، والنظر في نتاج الشعراء في ذلك العصر ، نجد أن الشعر صار مذهبين متميزين وصار الشعراء طائفتين.

١- طائفة تحتذي القدماء ولا تجدد إلا بمقدار ما يتلائم مع الروح العربية ، فظلوا علي المنهج القديم والصياغة . القديمة ، ومن هؤلاء ، مروان ابن

---

(٢) د/ بدوي طبانة : دراسات في نقد الأدب العربي ، ض٢٣٧-٢٣٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبي حفصة وأشجع السلمي ، وعلي بن الجهم ، ودعبل الخزاعي ، وابـــن الرومي والمتنبي في العصر العباسي الثاني:

٢- طائفة مالت إلي التجديد ، كبشار بن برد ، وابن هرمة ، والعتابي ، و أبي نواس ، ومسلم بن الوليد وغيرهم ممن تلاهم في العصر العباسي الثاني.

وأظهر ذلك التميز في القرن الثالث وما بعده ، فالسابقون من المحدثون قريبون من القدماء ، وهؤلاء هم التيار التجديدي في العصر العباسي الأول. وأما الـــذين جاءوا بعدهم ، كأبي تمام وابن المعتز ، فقد بعدوا كثيراً من الصياغة التي جـــري الشعراء عليها في الجاهلية والإسلام(١).

قيمة الجديد:

تكمن قيمة هذا الشعر الجديد في تأثيره في المجتمع ، وفي إمكانية انتشاره ووجود مساحة له في تلك الفترة التي كان الشعر القديم هو المسيطر في الساحة ، ومن خلال هذا البحث نلحظ شيئاً من التطور والتغيير في شكل القصيدة ومضمونها ولكنه تطور فيه شيء من التقيد بأصول الشعر القديم، ولا يمكن أن يكـــون لهـــذا الشعر قيمة ما لم يكن مقبولاً في المجتمع وارتضاه الناس وتأثروا به، وهـــذا مـــا ينبغي أن نوضحه من خلال آراء النقاد في هذا الشعر الجديد وفي الشعراء الـــذين سلكوا هذا الطريق.

إن انتقال الشعر من البادية إلي الحاضرة لا بد أن يحدث هوة بين القدماء والمحدثين، وتأثر الشعر تأثراً طبيعياً بالبيئة كان لابد أن يزيد في تلك الهوة. فلـــم يكن بد من وجود بعض فروق بين الشعرين ، فروق فقط لا خلق جديد.

فإذا نقلنا شعر نجد والحجاز إلي شواطئ دجلـــة ، واحتفظنـــا بأغراضـــه، ومناحيه، واختصر جهدنا علي تغيير بعض مظاهره، لم يكن لنا أن نعد هذا الشعر الحديث شعراً جديداً.

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،طه ابراهيم ، ص٩٦-٩٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا غالينا في المعاني وكان العرب يقتصدون، وأبعدنا في الاستعارة وكان العرب لا يقربون، وزخرفنا في الصياغة وكان العرب لا يزخرفون، فليس لنا أن نعدُّ أنفسنا مجددين. فما التجديد إلا في الجوهر وما التجديد إلا في استبدال أصول الشعر القديم بأصول غيرها، فأما أن تحتفظ بالجوهر ونبذل في العرض فليس ذلك بشيء.

كان المحدثون يذمون القدماء وهم قدماء يحتذون أسلافهم في الأسلوب والأغراض الشعرية.

فالفن هو الفن، والأغراض والتشبيهات والاستعارات، كل أولئك مكرر معاد. لم يخلق المحدثون شيئا، وإذا كانت هنالك فروق بينهم وبين القدماء فإنما ترجع إلي الألفاظ وحدها، لأنّ المحدثين غيروا ظاهر الشعر ليضعوا الأفكار القديمة في صياغة جديدة [١].

في المقدمة الشعرية:

" هم في الديباجة لم يزيدوا علي أن وضعوا في افتتاح قصائدهم شيئاً حضرياً مكان آخر بدوي ، ففكرة التقليد موجودة وإن كانت مستترة ، فاستبدالهم ديباجة أخرى ، وارتحال الشاعر راجلاً إلي الممدوح ليس شيء جليل الخطر، وكثير من الشعراء لم يرقهم هذا التبديل في نهج الشعر فظلوا كأنما يعيشون في البادية، وظلوا علي مذهب الأسلاف في ديباجتهم". فالديباجة القديمة لم تكن ملائمة، والديباجة الحديثة لم تكن لازمة وكلتاهما لم يكن فيه نفع وجدوى، ولا سير بالشعر إلي الصالح المقبول[٢].

في الصياغة الشعرية:

"غيَّر المجددون بصياغتهم صورة الجديد ، وهذا التغيير في الصياغة، كان يستدعى تغييراً في الأفكار، غير أن هؤلاء أخذوا أفكار القدماء ومعانيهم وصاغوها صياغة تأباها السليقة ويمجها المنطق.

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ١٠٠-١٠١

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص١٠١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا البديع الذي أخذ يستهويهم شيئاً فشيئاً ، مشي بالشعر إلـــي التعقيـــد، وإلي جمود الطبع، وانحباس النفس، وإلي خضوع المعاني للألفـــاظ ، وأصـــبحت الأفكار أسري الجناس ، والإختباس والطباق وعشرات المحسنات ، ولـــذلك فـــإن التكلف أول ظاهرة في شعر المحدثين.

ويمكن لنا القول بأن الشعر العربي أصيب بشيء من السقم والهزال، حيـــث ظهر المحدثون ، وتستطيع أن تري عند بشار وأبي نواس والحسين بن الضحاك، نماذج من ضعف الشعر، ونماذج من ضعف الأخلاق. فالمديح غداً فاتراً، والهجاء أصبح مرزولاً كقول بشار في هجاء بني زيد[١]:

شهدت على الزّيْدىَّ أنَّ نساءه ضياع إلى إير العقيلىّ تزفـــرُ[٢]
بلوتُ بنى زيد فما في كبارهم حُلومٌ ولا في الأصغرين مُطهَرُ[٣]
فابلغ بنى زيد وقل لسُراتهـــم وأن لم يكنْ فيهم سُراةٌ تُوقـــــرُ
لأمكم الويلاتُ إن قصائـــدى صواعِقٌ منها مُنجد ومُغـــــورُ[٤]

كما نجد النسيب خبث ومجن شعر اللهو والخمر علته ليونة واسفاف.

لم يوفق الشعر العربي إلي تبدل في الكنه والجـــوهر، فمنـــذ نضـــج قبـــل الإسلام، وتجدد حاليه ظل أسير هذا القالب ، ولم يستطع أن يتخلص منه مهما جدَّ فيه من الصور والأشكال.

وغني عن البيان ما كان في الحياة الاجتماعية في القرن الثاني مـــن تنـــوع وتعقد، واختلاف طبائع وأمزجة ، وغزارة فن وعلم، ومتانة جدل وحـــوار ، ومـــن شأن ذلك أن يؤثر في الأدب تأثيراً بالغاً ، وأن يغير منحى الشعر ، فيتحلل من طابع

---

[١]) الأغاني ٣/١٩٨-١٩٩ – الديوان ص ٣٤-٣٦ دار الكتب العلمية بيروت.
[٢]) تذخر : تشهق من شدة الشوق – العقيلى بشار.
[٣]) الحلوم : جمع حليم أوالراجح العقل
[٤]) المنجد : الذي يسكن أعلى الجبل – الغور – هو الوادي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القديم، ومن الشخصية ومن الروح الغنائية ، ويجاري الحياة الجديدة مجاراة حقيقية ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، وكانت ثورة أبي نواس علي القديم أخر ثورة وأخـر إحساس بضرورة التجديد في الشعر ، وأخر مدي وصل إليه المجددون، وهى الثورة الوحيدة علي أصول الفن الشعري في كل عصور الأدب العربي ، ولم يكن من طبقات المحدثين فحولاً وضعافاً إلا أن يذلوا لطابع القديم، ويجمدوا علي ما كان[١].

في الموضوع الشعري:

" لو أننا استقرينا جميع أغراض الشعر في العصر العباسي الأول لـم نجـد فيها جديداً بالمعني الصحيح ، فالشعر ظل غنائياً لم يتغير نوعه، وأغراضه ظلـت مديحاً وهجاءً ورثاءً وتحزباً ووصفاً. نعم إن الحياة الجديدة جاءت بالإكثـار مـن شعر اللهو، والمجون والاستهتار بالشراب، وجاءت بـالغزل بالمـذكر، ووصـف القصور والرياض، ولكن لذلك كله أصلاً في الشعر الجاهلي والإسلامي، وما هـو جديد محض كالغزل بالمذكر ليس شيئاً ذا بال. وكل هذا ليس بجديد في الحقيقـة ، وإنّما هو مسايرة الشعر للحياة الجديدة وتمشٍ معها في بعض صورها، وأن ظـل في كنهه وجوهره علي ما كان عليه من قبل.

ليس إذا من غرض جديد ، ولا نوع جديد في الشعر العباسي، فالمحـدثون احتذوا القدماء في نوع الشعر، وفي آفاقه ومراميـه، مـدحوا، وهجـوا، ورثـوا وانتصروا للعصبية، وتشبعوا للأحزاب، وقالوا في اللهو والخمر، وتلك كلها أمـور قديمة[٢].

يتبين من هذا أن جوهر الشعر في العصر العباسي لم يتغير، وأنه ظل علي موضوعاته وأغراضه التي عرفت عند القدماء، وأن التغييرات التي حـدثت فـي ديباجة القصيدة ، وفي الصياغة وفي الموضوعات، لم تكن تغييرات كبيـرة، ولـم يكن معظمها بشيء ذي بال ، كما أنها لم تستطع أن تنسخ تقاليد الشـعر القـديم وخصائصه، فظلت موجودة في قلب العصر العباسي ، وظل كثيـر مـن الشـعراء يحافظون عليها، ويتمسكون بها في أشعارهم ، وينسجون علي منوالهـا ، بينمـا

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص١٠١-١٠٣

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٩١-٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان المتوقع أن يحدث تغيير كبير في مجال الشعر ، بحكم التغيير الكبير الذي شهده العصر العباسي في جوانب الحياة المختلفة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن.

وعلي الرغم من أن الشعر الحديث شعر الصنعة، والقديم شعر الطبع، وأن الشعر الحديث شعر الحضارة والقديم شعر البداوة ، وأن الحديث شعر الرقة والسهولة والقديم شعر الجزالة والقوة والضخامة ، وأن الحديث شعر التأني والتثقيف والقديم شعر البديهة والارتحال علي الرغم من ذلك كله إلا أنها تغييرات شكلية يسيرة لا تمس جوهر الشعر ، ولم تغير من كنهه أو تحيله إلي كنه جديد.

وهذا الذي ذهبنا إليه في بيان قيمة الجديد، الذي أتي به المحدثون في العصر العباسي ، لسنا بدعا فيه، فقد سبقنا إليه نقاد كثيرون من العرب وغيرهم ، شككوا في قيمة الجديد ، وانتهوا إلي أنه تجديد ظاهري انتهي بالمحدثين في العصر العباسي إلي البديع تارة ، ودقة الأسلوب تارة ثانية ، والمبالغات الشعرية تارة ثالثة، والإفراط في الصنعة تارة رابعة ، وكلها ظواهر فنية موجودة في شعر القدماء ، ولكن المحدثين توسعوا فيها وأكثروا منها ، فكل ما أتوا به من تغيير في الشكل له أصل في شعر القدماء ، وإذن فلا تجديد جوهري ، وإنما هو تطوير لما ظهر في شعر القدماء ، وتوسع فيه.

فهذا (فيليب حتى) ينتهي إلي هذا الرأي نفسه ، فيقول: (كانت أشعار الجاهلية ــ وهي تمثل عصر البطولة في الشعر العربي ــ نموذجاً لشعراء العصر الأموي ، ثم قام شعراء العصر العباسي فاعتبروا الشعر الأموي من الأدب الكلاسيكي ، ولكن ظهرت في العصر العباسي بواعث جديدة حملت أرباب الشعر عن الانحراف عن هذا الأسلوب العرفي المدرسي ، فسلكوا في أشعارهم طرقاً جديدةً ، ومن هذه البواعث الحركة الدينية التي نشطها العصر العباسي ، والمؤثرات الثقافية والروحية والاجتماعية المنبعثة بالإكثار من حياة الفرس ، ثم الرعاية التي خص الخلفاء بها الشعراء، والصلات والعطايا التي انعموها عليهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومع ذلك فقد ظل فن العريض أشدّ الفنون محافظة علي القديم، واستمر يفيض بروح البادية طوال العصور التي مر بها [١].

وهذا الرأي نجده عند الدكتور طه حسين أيضاً ، إذ يقول:

" كل ما عرف العرب من إختلاف في الشعر بين القدماء والمحدثين إختلاف اللفظ نشأة عنه مدرسة مسلم بن الوليد وغيره من أصحاب البديع، وإختلاف في المعني نشأت عنه مدرسة أبي نواس وغيره من الذين آثروا اللفظ القديم والمعني الجديد ولم يتكلفوا بديعاً ..... وهو علي خطره لم يتغير الشعر في موضوعه ولا في صوره ولا في نوعه، ولم يتغير في لفظه ومعناه إلا تغييراً قليلاً جداً. بقيت القصيدة كما كانت معتمدة علي وحدة القافية والوزن غير معينة بوحده المعني. وبقي موضوع الشعر كما كان مدحاً وهجاءاً ورثاءاً ووصفاً وغزلاً ، وإنما تجددت هذه الموضوعات دون أن تتغير، ولم يكن تجددها جوهرياً ولا مطرداً [٢].

وإلي مثل هذا الرأي ذهب الدكتور أحمد أمين ، فقال : (نعم حدث تغييرمن دخول بعض الفنون الشعرية واصطباغها بصبغة الحياة الاجتماعية ونحو ذلك ، ولكنه تغيير خفيف لا يكاد يري بالمجهر [٣])).

وأنيس المقدسي يري أن المولدين ((لم يبتدعوا أساليب جديدة أو مواضيع جديدة تجوز لنا أن نقول : ((إن الشعر طرأ عليه في أزمانهم تطور كبير[٤]))

و بالرغم ما يشبه الإجماع علي هذا الراي بين النقاد والدارسين ، إلا أن الدكتور محمد مصطفي هدارة ، له رأي مخالف لهذا الرأي ، حيث راح يشكك في صحة هذا الرأي ، ويضعفه مستدلاً علي موقفه هذا بأدلة متعسفة ، لا تقوى حجته، ولا تدعم رأيه أن لم تنقضه من أساسه .

فقد راح يستشهد ببعض الشعراء الذين نزعوا إلي التجديد ، وبعض النماذج الشعرية علي التجديد ، ولم يغب هذا عن ذهننا ولا عن أذهان غيرنا، بالإضافة

---

(١) نقلا عن : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د/ هدارة ، ص١٧٢-١٧٣.

(١) د/ طه حسين ، حديث الأربعاء ج٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٥م ، ص٨ .

(٢) د/ أحمد أمين: ضحي الإسلام ، ج١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١م، ٣٩٩.

(٣) د/ أنيس المقدسي : أمراء السعر في العصر العباسي ، المطبعة الأمريكية بيروت ، ص ٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلي أنها نماذج تؤكد ما ذهبنا إليه ، وهو أن التغيير الذي حدث في الشعر العباسي في العصر الأول بالذات وما تلاه تغيير شكلي ظاهري طفيف لا أثر له في جوهر الشعر، ولا في كنهه.

كما أن الدكتور ناقض نفسه حتى انتهى إلي القول بأن التيار المحافظ كان قوياً وغالباً علي الشعر والشعراء في العصر العباسي ، وإن شعراءه كانوا كثيرين جداً ، لأنهم المحافظون والمجددون أيضاً ، الذين كانوا يعودون إلي المحافظة في كثير من نماذج شعرهم ، وراح يستدل علي قوة هذا التيار بأدلة مقنعة ، لا أدري كيف غابت عنه حين راح يؤكد علي التغير الجوهري الذي حدث في شعر العصر العباسي. يقول: ((ونحن مع إيماننا بقوة حركة التجديد التي ظهرت في القرن الثاني لا نستطيع أن نغفل قوة الشعر القديم ونفوذه في ذلك العصر، فقد ظل مسيطراً علي جانب من الحياة الأدبية فيه، ولعل السبب في ذلك يرجع إلي تقدم الحركة العلمية في الرواية والتدوين، وخاصة في اللغة وعلومها، وظهور علماء كبار مثل الأصمعي وابي عبيدة، وأبي زيد والفراء، والكسائي ومن وليهم. ولعلّ السبب أيضاً يرجع إلي التأثير القوى الذي كان لبيئة الكوفة العلمية، تلك التي كانت تعتمد علي الرواية والنقل، وقد جاءها هذا التأثير من ميل الخلفاء إلي منحاها العلمي وإيثارهم علماء علي علماء البصرة حتى في تعليم أولادهم. يضاف إلي ذلك أن حركة الشعوبية في القرن الثاني استلزمت وجود حركة عربية مناوئة لها ، كان من أهم أسلحتها تأبيد التراث الأدبي القديم والحفاظ عليه[1].

ثم راح بعد ذلك يثبت أن قوة التيار المحافظ في هذا العصر تتمثل في مظهرين : (الأول خضوع الشعراء المجددين لهذا التيار في بعض أشعارهم وبخاصة شعر المديح ، لإرضاء الممدوح أولاً وإرضاء العلماء والرواة ثانية، ولإثبات تمثلهم القوى للثقافة العربية القديمة ، وقدراتهم علي مجاراة النهج القديم في بعض الأحيان)).

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري ، ص ١٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وراح يمثل لهذا المظهر ببشار وأبي نواس، أما المظهر الآخر لقوة تيار الشعر التقليدي فيتضح في وجود شعراء محافظين يلتزمون عمود الشعر القديم ، ونهج القصيدة العربية القديمة في جميع شعرهم، ولا ينساقون وراء أي تجديد. وراح يمثل لهذا المظهر ببعض الشعراء المحافظين.

وينتهى الدكتور من هذا القول مرة أخرى بقوة التيار المجدد ، والتغيير الجوهري الذي أحدثه شعراء العصر العباسي من تجديد في موضوعات الشعر، وفي شكله ، والذي أشار إليه في كتابه، عند حديثه عن الأغراض الشعرية، وشكل القصيدة وما حدث فيها من تغيير(١).

والموضوعات الجديدة التي أشار إليها ، والتجديد الذي حدث في الصياغة والمضمون والأوزان ، وأشار إليه هو أيضاً ، كل ذلك لا يسمح له ولا لنا بالقول بأنه تغيير جوهري في الشعر علي نحو ما بينا هنا.

هذا بالإضافة إلي التناقض الواضح في رأيه ، مما يضعف هذا الرأي وينقضه من أساسه، وأن النماذج الشعرية التى أستشهد بها لشعراء التجديد تبدو فيها خصائص قديمة في بعض عناصرها.

ولذلك يمكن لنا القول بأن التغيير الجوهري المنشود الواضح في الشعر العربي لم يحدث في أي عصر حتى في عصرنا الحديث، فالألفاظ، والعبارات، والصور، والمعاني، والأوزان ، والقوافي، والموضوعات، لا تزال تتردد وتعاد وتتكرر عند الشعراء العرب في كل عصر من العصور من عصرنا الحديث، وكل الذي حدث إنما تغييرات طفيفة في بعض خصائص هذه العناصر لم تتغير من جوهر الشعر ولا حتى من شكله ، يعني ليس هنالك استبدال لأصول الشعر القديم باصول جديدة.

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري ، ص ١٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن ذلك لا يمنع من أن نثبت لشعراء العصر العباسي دورهم الرائد في مجال التجديد ، ولم ننسي لهم ما أحدثوه في الشعر من تغيير ثم محاولتهم في النهضة بالشعر من خلال ما أتيح لهم من بيئة صالحة لهذا الفن ، حيث عبروا عن واقعهم وعن مدى ارتباطهم بهذا الواقع والبيئة التي كانوا فيها، والصدور عنها في شعرهم شكلاً ومضموناً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: آراء النقاد وموقفهم من التجديد:

من خلال حديثنا عن التجديد ومظاهره ، وأسبابه في العصر العباسي الأول. يتبين لنا أن الشعر في العصر العباسي تطور وتجدد ، نتيجة المؤثرات والمتسجدات في الحياة العباسية ، والتي نتج عنها شعراء قالوا شعراً مواكبا للعصر الذي هم فيه مبتعدين عن الشعر التقليدي الذي ظل سائداً فترة من الزمن، أي أن الشعراء العباسيين واكبوا الحضارة ومتطلبات العصر وتركوا حياة البداوة والصحراء في اشعارهم. كما سنري ذلك عند بشار وأبي نواس وأبي العتاهية كنماذج للمجددين في العصر الأول.

ولكن هذا التجديد في الشعر أعني في نمط القصيدة العربية لم يقابل بالقبول منذ الوهلة الأولي في المجتمع ، بل لابد أن يجد من يرفضوه ويقفون ضده كما كان في العصور التالية للعصر الأول ((القرن الثاني للهجرة)) كذلك هناك من ارتضاه وقبله ، ولذلك انقسم النقاد إلي قسمين أي مذهبين كل منهما له رأيه وموقفه ، مذهب محافظ علي القديم متمسك به وبخصائصه ، وآخر مجدد مرتبط ببيئته وواقعه ، وصار في الأدب العربي نوعان من الشعر. بينهما تفاوت غير قليل في الصياغة والمعاني.

ولذلك كان لابد من وجود إختلاف بين النقاد منهم من آثر الجديد وارتضاه وأصبح يتمثله ، ومنهم من رفضه رفضاً شديداً ولم يقره ابداً بل عمل علي التقليل من شأنه وعدم إستحسانه ، وكان الإختلاف بين النقاد يتمثل في أيهما أحسن: الشعر القديم الجزل أم الشعر الحديث اللين؟ أشعر السليقة والوضوح أم شعر الصنعة والتعمل، وأخيراً أيهما أحسن ، أشعر البداوة والفطرة أم شعر الحضارة والتوليد؟

هذا الإنقسام الواضح في الشعر في العصر العباسي قابله أيضاً إنقسام في الحركة النقدية ، فوجدنا النقاد ، ومنهم علماء اللغة والنحو. وهم أكثرية النقاد يتعصبون للشعر القديم، ولم يمنعهم التعصب من أن تكون لهم بعض المواقف المنصفة ، التي أجبرهم عليها الجديد الجيد ، فراحوا يعترفون بالجيد لقديم كان أو محدث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الإنقسام في الحركة النقدية أمام الشعر القديم والشعر الجديد كان سبباً من أسباب إزدهار وتطور النقد في العصر العباسي ، حيث بلور أسسه وقواعده ووضح الرؤية فيه.

أولاً: المتعصبون للشعر القديم:

نتناول هنا أولاً مواقف النقاد الذين تعصبوا للقديم بشدة، وازدروا الشعر الحديث، واستهجنوه، علي الرغم من جودة كثير من نماذجه، وهؤلاء فئات عدة، يأتي في مقدمتهم، الذين كانوا السبب الأول والمباشر في إثارة الخصومة وهم اللغويون والنحويون، ثم الفئة الثانية ويمثلها مجموعة من الشعراء الذين أظهروا تعصباً شديداً للقديم وسخروا من المجددين ، ثم الفئة الثالثة ، ومثلها بعض م يطلق عليهم لقب النقاد بدقة، وأظهروا أيضاً تعصباً للقديم.

١- علماء اللغة والنحو:

" اخص الناس الذين كانوا يتعصبون للقدماء ، ولا يكادون يقرون بإحسان لمحدث هم النحويون واللغويون، لقد عرفنا أن هؤلاء كانوا يأخذون اللغة عن فصحاء الأعراب من البادية ، وكانوا مشغولين بجمع الشعر الجاهلي والإسلامي ، فحفظوه وألقوه وتمرنوا عليه منذ الشباب ن وأثر ذلك في أذواقهم ، فلم يحفلوا كثيراً باشعار المحدثين، كما كانوا مقتنعين بأن اللغة: العربية لغة صحراوية تزدهر في البداوة ، وتكمل بالجيرة العربية، وإن الإقامة في الحضر تفسد الملكة وتنقص البيان العربي منذ أن خرج العرب من شبه الجزيرة ، فهذا الشعر المحدث وليد الحضارة ولا يمكن أن يتمشي في كل شيء مع الروح العربية ، ولا مع الصياغة العربية، كما لا يمكن أن يخلو من اللحن في إعراب أو إشتقاق أو وزن، أضف إلي ذلك أمراً مهماً لديهم ، وهو حاجتهم إلي الشاهد في التدوين ، وقلة ثقتهم بما ياتي به المحدث[١].

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٩٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(أ) أبو عمرو بن العلاء[١]:

" شيخ العلماء وأسنهم ، كانت ذهنيته جاهلية ، وتعصبه شديداً للجاهليين، فلا يري الشعر إلا لهم. ولا يري من بعدهم شيئاً ن وغالي في ذلك مغالاة صرفته إلي النظر إلي المتقدم بعين الجلالة، لا لسبب إلا لأنه متأخر، وحتى أقام الموازنة علي العصر لا علي الشعر فقال:" لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً". وحتى قال في أشعار كبار الإسلاميين : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته).

ومن كان هذا شأنه مع الإسلاميين ، فأحري به الا يسلم بفضل لمولد[٢].

كان أبو عمر بن العلاء إمام اللغويين في التعصب للقديم الجاهلي ، ورفض الإعتراف حتى بأشعار كبار الإسلاميين ، ومع أن الحياة أمتدت به إلي منتصف القرن الثاني الهجري وأدرك الطبقة الأولي من المحدثين ، فقد ظلّ ولائه للشعر الجاهلي وتفصيله إياه.

ب) الأصمعي[٣]:

كان في الغالب يتعصب للقديم ويرفع من شأنه، رغم أنه عاصر المجددين في العصر العباسي الأول ووقف علي أشعارهم ، وأنصفهم في بعض آرائه النقدية.

" حكي عن اسحق بن إبراهيم الموصلي أنه قال منشداً الأصمعي:

هل إلي نظرة إليك سبيل فيُبلُ الصّدى ويشفي الغليلُ

إن ماقل منك يكثر عندي وكثيرٌ ممن تحبُ القليل

فقال: والله هذا الديباج الخسرواني، لمن تنشدني؟ فقلت إنهما لليلتهما فقال: لا جرم والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر[١].

---

[١]) عمرو بنعلة من جلد بنى مالك من بنى أدد من يشجب جدّ جاهلى، بنوه ،كعب، وعامرن وجسر – الأعلام – الزركلى ج٥ ص ٢٥٣، جمهرة الأنساب ص ٣٨٩.

(٢) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبى عند العرب، ص٩٨

[٣]) هو أبو سعيد عبداللمك بن غريب الأصمعى أسد الشعر والغريب والمعاني كما وصفه المبرد : توفى سنة ٢١٦ عن نحو ٨٨ سنة– الشعر والشعراء ابن قتيبة ص ٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يكن للحكم بفسادهما من علة سوى أن الأصمعي عرف أنهما لشاعر محدث ، ويويد ذلك حكمه ، بجودتهما قبل أن يعرف أنهما لإسحاق.

كان الأصمعي كأبي عمرو بن العلاء يتعصب للجاهليين، ومما يروى في ذلك ما قاله أبو حاتم السجستاني ، أنه سأل الأصمعي " عن جرير والفرزدق والأخطل، فقال: هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن، ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم اسلاميون ففضل جريرا علي الفررزدق كثيراً غير مرة، فما تقول فيهما وفي الأخطل؟ فأطرق ساعة ثم أنشد بيتاً من قصيدته:

لعمري لقد أسريتُ لا ليلُ عاجزٍ بساهمةِ الخدَّين طاويةِ القربِ

فأنشد أبياتا زهاء العشرة ، ثم قال: من قال لك إن في الدنيا من قال مثلها قبله ولا بعده فلا تصدقه ، ثم قال:

أبو عمرو بن العلاء كان يفضله، سمعت أبا عمر بن العلاء يقول: (لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوماً واحداً. ما قدمت عليه جاهلياً ولا إسلامياً. ثم قال أنشدت أبا عمرو بن العلاء شعراً له، فقال: ما يطيق هذا من الإسلاميين أحد إلا الأخطل[٢].

هذا يؤيد أن نظرة الأصمعي للشاعر الجيد نظرة مرتبطة بالإطار التاريخي الذي ولد فيه ، وعلي هذا الأساس لا يكون الشاعر فحلاً إلا إذا عاش فترة في الجاهلية ، ولذلك حرم الأخطل من التربع علي عرش الشعر العربي كله لمجرد أنه تخلف عن شهود حتى يوم واحد في الجاهلية ، فتلك نظرة ضيقة رفضها النقد العربي الذي تواتر مدة الأصمعي ، حيث أقام فلسفته في هذا العدد علي أساس من النظر إلي كل جوانب الظاهرة الإبداعية الفنية والتاريخية والبيئية ، ولم تقتصر علي الزمن التاريخي الذي ولد فيه الشاعر وبلا إختيار من اي لون.

---

(١) القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٥٠، تحقيق أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسي إلياس الحلي، القاهرة.

(٢) الأصمعي : فحولة الشعراء ،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، ص٢٣-٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي مقولة أخرى للأصمعي مما يرويه عنه أبو حاتم السجستاني يتعصب تعصباً شديداً للجاهليين ، فقد قال أبو حاتم (وسألت الأصمعي: من أشعر؟ الراعي أم أبن مقبل؟ قال: ما أقربهما وقلت: لا يقنعنا هذا ، قال: الراعي أشبه شعراً بالقديم، وبالأول[١]).

فهو في البداية حاول أن يضرب بهما صفحاً، أو فلنقل أنه حاول أن يومئ إلي أنهما معاً يقعان في منطقة خلف الفحولة بلا تمييز ، ولكنه تحت إلحاح أبي حاتم يقدم الأكثر إنتماءً منهما إلي صبغة شعر التراث القديم ، والأكثر مشابهة منها للأول. وهذا ما يؤكد إنتماء الأصمعي نفسه إلي الحس القديم ، ورفضه الإعتراف بغيره.

(ج) خلف الأحمر[٢]:

أحد رواة الشعر القديم المتعصبين له ، الذين لا يرون فضيلة. لمحدث ، ويؤكد هذا موقعه من أبن مناذر ، أحد الشعراء العباسيين المتعصبين والمقلدين له، ورغم ذلك لم يسلم من نقد علماء اللغة ، لأنه لم يستطع ارضائهم بشعره والحصول علي حكمهم بجودة شعره ، ولم يستطع الإندماج في عصره ، ومعايشة واقعه الحضاري الجديد.

كان ابن مناذر من الشعراء الذين وجدوا أنفسهم مشدودين إلي الماضي يعيشون في تراثه أكثر مما يعيشون في حاضرهم ويستخدمون نفس وسائل التعبير التي استخدمها أسلافهم فكان معجب بالشعر القديم وفحول الشعراء القدامى.

حكي عنه الاصمعي قال: حضرنا مأدبة وابو محرز خلف الأحمر وأبن مناذر معنا ، فقال ابن مناذر لخلف: يا أبا محرز ، إن يكن أمرؤ القيس والنابغة وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة ، فقس شعري إلي شعرهم وأحكم فيه بالحق

---

(١) الأصمعي : فحولة الشعراء ،مرجع سابق، ص٢٣-٢٤.

٢) هو خلف بن حيان الاحمر، قال أبوعبيدة: خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة مات في حدود سنة ١٨٠هـ ، الشعر والشعراء ص ٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

،قال الأصمعي: فغضب يعني ابا محرز خلف، وأخذ صفحة مملوءة مرقا فرمي بها عليه.

وهذا الصنيع من أبي محرز يعني أنه كان ينكر علي أبي مناذر أن يتطلع إلي أولئك الفحول ، لأنه كان لا شك دونهم [١]. ويعني تعصب خلف الأحمر للقديم حتى أنه لم يعتمد بشعر شاعر كاتب مناذر الذي كان يسير علي سنن القدماء وينتهج نهجهم ، وهذا يؤكد أن التعصب كان ضد المجددين في الشعر والمحدثين عامة: سواء في ذلك الذين مالوا إلي التجديد أو الذين حافظوا علي القديم.

د- أبن الإعرابي[٢] المتوفى سنة ٢٣١هـ:

أحد المتعصبين للقديم الذين كانوا يستهجنون الشعر الجديد ولو كان جيداً . ويعبر عن تعصبه للقديم فيقول: إنما أشعار هؤلاء المحدثين ، مثل ابي نواس وغيره. مثل المسك والعنبر كلما حركته إزداد طيباً. وأنشده رجل شعر لأبي نواس، وغيره مثل الريحان يعتم يوماً ويذوى فيلقى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا أنشده رجل شعراً لابي نواس احسن فيه فسكت فقال له الرجل أما هذا من أحسن الشعر؟ قال :بلي ولكن القديم أحب إليّ منه[٣].

وهذا موقف أخر لابن الإعرابي يدل علي تعصبه للقديم و استهجانه للشعر الجديد ، وعلي وجه الخصوص شعر أبي العتاهية الذي نزع فيه إلي السهولة. والين والقرب من الشعبية والعامية.

" فقد سأل أبن الأعرابي الراوية العلامة ابا برزة الأعرابي أحد بني قيس بن ثعلبة : أيعجبك قول أبي العتاهية

الا يا عُتبة الساعة أموت الساعة الساعة

---

(١) د. عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي ، الرؤية والفن ، ص٣٢٢-٣٢٤.

(٢) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، أبو عبدالله: راوية وناسب، علامة باللغة، من أهل الكوفة، كان أحول. قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرى عليه فيجيب من غير كتاب، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. مات بسامراء. وله تصانيف كثيرة منها أسماء الخيل: وفرسانها و"تاريخ القبائل" و "النوادر .. الخ" في الأدب وتفسير الأمثال. الزركلى – الأعلام ج٦ ص ٣٦٥ الطبعة الثانية.

(٢) طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،ص٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال: واليبه ما يعجبني. وفي رواية أخرى قال: الأعرابي لا والله ولكنه يغمني[١].

ولقد بلغ تسلط علماء اللغة وتعصبهم للقديم ، وتاثيرهم في ذوق الشعراء في هذا العصر حداً كبيراً ، مما دفع الخليل بن أحمد إلي مقولته المشهورة التي يتحدي بها الشعراء ، وهي قوله لا بن مناذر الشاعر: " إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة إن قرطتكم ورضيت قولكم نفعتم وإلا كسدتم[٢].

وهذه المقولة تؤكد لنا إلي أي مدي كان تحكم علماء اللغة في حركة الإبداع الشعري في ذلك العصر ، وفي أشتهار الشارع وذيوع شعره أو خموله.

٢- الشعراء:

من شعراء العصر العباسي نفر تعصبوا للقديم تعصباً شديداً ونسجوا على منوالهم في شعره، وبرغم هذا فلم يحوذوا رضاء العلماء اللغة: عن شعرهم واستجابتهم له، ومن هؤلاء:

أ- إسحق بن إبراهيم الموصلي[٣]:

كان يري أن بشار بن برد رائد التجديد في الشعر العباسي ، كثير التخليط، وأن شعره متفاون ، وإن مروان بن أبي حفصة ، أحد أنصار مذهب الأوائل في الشعر العباسي أفضل منه لأستواء شعره ، ولأن مذهبه بشبه مذاهب العرب.

ولم يكن إسمحق الموصلي يطعن علي بشار وحده ، بل كان كارهاً للمذهب كله ، كارهاً لشعر اصحابه ، ناصراً في كل أحواله الأوائل. لم يكن يعد أبا نواس شيئاً ، وكان يقول: (هو كثير الأخطأ ، ليس علي طريق الشعراء ، وكلمه الرشيد

---

(٣) المرزباني : الموشح ، ص٣٩٦

(١) الهيئة العامة المصيرية العامة والكتاب : الأغاني ، ص١٨، ص١٨٤

٣) اسحق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلى، أبو محمد بن النديم: من أشهر ندماء الخلفاء، تفرد بالغناء وكان عالماً في اللغة والموسيقى والتاريخ، وعلوم الدين وعلمالكلام، راوياً للشعر حافظاً للاخبار شاعراً فارسي الأصل مولده ووفاته ببغداد عمى قبل موته بسنتين، خير الدين الزركلى – جـ١ ص ٢٨٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في طعنه علي ابي العتاهية فقال: يا أمير المؤمنين هو أطبع الناس ، ولكن ربما تحرف أي شيء من الشعر قوله:

هو الله هو الله ولكن يغفرُ الله.

هذا يعني أن اسحق الموصلي يسخر من سهولة شعر أبي العتاهية رغم أن هذه السهولة تعد من مظاهر التجديد في شعره الذي يميل إلي الشعبية في اللفظ.

فأسحق أذن يظهر تعصبه للشعر القديم ومناهضته للشعر الجديد ، فقد كان شعره لا يرضي ذوق علماء اللغة: ولا يستحبونه كما مر بنا موفق الأصمعي من شعره.

(هـ) محمد بن مناذر (... ١٩٨هـ/ ... ٨١٣م)[١]:

شاعر عباسي كان من المتعصبين للقديم المقلدين له ، وبرغم ذلك لم يسلم من نقد علماء اللغة: وذلك اوقع نفسه بين التاريخ والواقع وقوعاً لا يحسد عليه ، فلم يستطع أرضاء علماء اللغة: بشعره ، والحصول علي الحكم بجودة شعره ، ولم يستطع الإندماج في عصره، ومعايشه واقعه الحضاري الجديد.

فابن مناذر كان من الشعراء المتشدودين إلي الماضي الذين يعيشون في تراثه أكثر مما يعيشون حاضرهم ، فأشعاره وما روي عنه من أخبار تدل علي أنه كان ينظر دائماً إلي الوراء ، إلي فحول الشعراء القدامي كأمرئ القيس وزهير والنابغة وغيرهم، فيري في أولئك الفحول من شعراء الجاهلية مثله الأعلي في الشعر، فيجتهد في محاكاتهم في شعره، والتوقيع علي أوتارهم، وكان الخطأ الكبير من ابن مناذر، أنه تصور انه بمحاكاته أولئك الفحول يستطيع أن يصبح مثلهم ، وما كان في وسعه ذلك كما أنه لم يستطع أن يندمج في تجربة عصره وواقعه الحضاري الجديد.

---

[١] محمد بن مناذر اليربوعي بالولاء، أبو جعفر، شاعر كثير الأخبار والنوادر، كان من العلماء بالأدب واللغة، تفقه وروى الحديث، وتزندق، فغلب عليه اللهو والمجون، أصله من "عدن"، أو من "البصرة" ومنشأه وشهرته في الثانية، اتصل بالبرامكه ومدحهم ورآه الرشيدد بعد نكبتهم، فأمر به أن يلطم ويسحب وأخرج من البصرة لهجائه أهلها. وذهب إلى مكة فتنسك ثم مات فيها. الزركلى – الأعلام ج٧ ٣٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكد لنا الحقيقة : ما جري من حوار بين الشاعر أبـــي العتاهيـــة وابـــن مناذر، إذ يقول له أبو العتاهية، إن كنت أردت بشعرك العجاج ورؤية فما صـــنعت شيئاً وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما آخذت مآخذهم. أرأيت قولك:

ومن عاداك لاقي المُرْمَرِيا

(أي شيء المرمريسي؟) ففي تعليق ابي العتاهية هذا علي منحى ابن مناذر الشعري أدراك سليم لحقيقة أن محاكاة الأقدمين لن تضيف شـــيئاً ، وإن العصـــر يتطلب من الشاعر الذي يعيش فيه الأخلاص له ، لا إلي أي عصر مضى[١]

ويؤكد تعصب ابن المناذر للقديم هذا الحوار الـــذي دار بينـــه وبـــين ابـــي العتاهية حول شعر كل منهما.

" لقي ابن مناذر ابا العتاهية ، فقال له أبو العتاهية: وكم تقول في اليـــوم؟ قال ربما قلت العشرين وأكثر ، وربما اقول خمسة أو ستة.

فقال له أبو العتاهية : لكن لو أشاء أن أقول ألف بيت لقلـــت ، قـــال ابـــن المناذر لأبي العتاهية: أنا أقول مثل قولي:

هل لشيءٍ فَاتَ من مردودُ أو لحَيِ مؤمّلٍ مِنْ خلود[٢]

حتى أنشده القصيدة: وأنت تقول:

الا ياعُتبةَ الساعـــــــة أموت الساعةَ الساعـــةَ

وتقول:

إن الدُنيا قد غَرَّتنَـــــا واستَعلَتنا واستلهتنـــــا

لسنا ندري ما فرطنا فيهـــــا إلا ما قدمنـــا

ولو رضيت أن اقول مثل ذلك لأكثرت[٣]

ورغم تعصب ابن مناذر للقديم وعدم رضاءه بالجديد من الشعر، فإن شعره لم يرض ذوق علماء اللغة ورواة الشعر القديم ولا يستجيدونه كما مر بنا موقف خلف الأحمر منه.

---

(١) د. عز الدين إسماعيل :في الشعر العباسي الرؤية والفن ، ص٣٢٢ ، ٣٢٤.

٢) مردود : فيه كسر.

(١) المرزباني : الموشح ، مرجع سابق ، ص٣٩٦-٣٩٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(و) عقبة بن رؤبة بن العجاج (.... ١٤٥هـ/ .... ٧٦٢م)[١]:

أحد أنصار القديم الذين كانوا ينحون باللائمة علي المجددين لأنهم لم يستطيعوا مجاراتهم في إجادة الأغراض التقليدية ، ولذلك لم يستطيعوا مجاراتهم في فن الرجز الذي أجاده عقبة وابوه وجده.

ومما يري في ذلك: (أنَّ بشاراً حضر يوماً مجلس عقبة بن سلم الهنائي وحضر المجلس عقبة بن رؤية بن العجاج ، الذي أنشد عقبة بن سلم أرجوزة بمدحه فيها ، فأحسن بشار محضره ، واقبل يستحسن بأرجوزته ، فلما فرغ من الشعر ألتفت إلي بشار وقال: يا أبا معاذ ، هذا طراز لا تحسنه أنت ولا نظراؤك، فغضب بشار وقال: إليّ تقول هذا؟ والله إني لأرجز منك ومن أبيك ومن جدك، ثم غدا علي عقبة بن سلم بأرجوزته الدالية التي يقول في مستهلها:

يا طللُ الحيَّ بذّات الضمدِ بالله خبرِّ كيف كنت يعدي

وفيها يقول:

الحرْ يُلحى والعصا للعبد وليس للملْحِف مثل الرّد

وصاحبٍ كالدملِ الممدد أرقَبُ منه مثل يوم الوَردِ

حملته في رقعة من جلدي صبراً وتنزيها لما يؤدي

فأعجب به عقبة ، وقال لأبن رؤبة: "والله ما قلت أنت ولا أبوك ولا جدك مثل هذا. ووصل بشاراً وأجزل له العطية"[٢]

هكذا كانت الأوضاع تسير في العصر العباسي حيث، يتهم أنصار القديم المجددين بالعجز عن مجاراة القديم وتقليده ، فيهب المجددون مدافعين عن أنفسهم بإظهار مقدرتهم علي الشعر التقليدي الذي ينحو منحي القدماء.

---

١) رؤبة بن عبدالله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف، أبو محمد، من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أُسن وله "ديوان رجز – ط" وفي الوفيات لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة. الزركلى – الاعلام ج٣ ص ٦٢.

(١) المرزباني : الموشح ، مرجع سابق ، ص٥٥٦ ، وطبقات أبن المعترة ، ص٢٥-٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- بعض النقاد:

كان هناك بعض النقاد في العصر العباسي يتعصبون للقديم ، ولكن كان تعصبهم أقل حدة بكثير من علماء اللغة ورواة الشعر القديم، إذ كثيراً ما كانت تعود إليهم روح الإنصاف فيقدرون الجديد.

(أ) ابن سلام الجمحى "١٥٠ – ٢٣٢هـ / ٧٦٧- ٨٤٦م"[١]:

" من أقدم الآثار النقدية التي وصلت إلينا كتاب (طبقات الشعراء) الذي ألفة ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي ، الذي عاش في البصرة ، وعاصراً كثيراً من علماء اللغة ونحاتها ورواة أدبها وأخبارها فمن عاشوا في القرن الثاني الهجري في تلك البيئة التي اشتهرت بالمحققين من العلماء في صنوف الثقافة العربية "[٢]

ويبدوا أنه تأثر بذوق هؤلاء الذين تتملذ عليهم فلم يذكر في طبقاته إلا الجاهلين والإسلاميين. فالمتأمل في كتابة يلاحظ أن أبن سلام الذي عاش في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري. لم يتصد لذكر الشعراء الذين عاصروه، كمروان بن أبي حفصة وأبي نواس وبشار ومسلم بن الوليد، وغيرهم، ولم يحاول أن يقسمهم طبقات كما فعل بالجاهليين والإسلاميين ، ولا أن يصرح برأيه في واحد منهم ، ولا تدر ما العلة في ذلك ، ولكن ربما كان في أسلوبه ما يوضح ذلك حيث إنه كان يستعين في تاليفه للطبقات ، ويستظهر علي آرائه بأراء العلماء الذين يثق بهم، ويعتمد على آرائهم في شعراء قد قضوا نحبهم، وأصبح تراثهم الشعري ملكاً للعلماء والنقاد يقولون فيه ما شاءوا ويتعصبون له ما شاء، فتاثر بهم، ووقف عندما وقفوا بالشعر القديم ، وتخير شعراء طبقاته من القدماء الذين تعصبوا لهم.

---

[١] محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبدالله إمام في الأدب، من أهل البصرة، مات ببغداد. له كتب منها "طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين" و "بيوتات العرب" و "غريب القرآن". الزركلى – الأعلام ج٧ ص ١٦ الطبعة الثانية.

(٢) د. بدوي طبانة : دراسات في النقد الأدبي العربي ، ص١٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الشعراء الذين عاصرهم أبن سلام فلم تكن الأقوال فيهم قد تبلورت بعد، بحيث يعتمد عليها[١]كما لم يحصل هؤلاء الشعراء علي رضي العلماء والنقاد الذين تاثر ابن سلام بذوقهم النقدي.

(ب) أبن قتيبة:

لأبن قتيبة مجموعة آراء في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء" تشهد بتعصبه للقديم ومطالبة المحدثين بالنسج علي منواله، من ذلك انه عرض لمنهج أهل الجاهلية في تقصيد القصيد فقال: (وسمعت[٢] بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما أبتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى، وشكى ، وخاطب الربع، وأستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين، إذ كان نازلة العمد[٣] في الحلول والظعن علي خلاف ما عليه نازلة المدرة لانتجاعهم الكلأ ، وانتقالهم عن ماء إلي ماء ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي إصغاء الأسماع ، لأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه لسبب ، فإذا استوثق من الإصغاء إليه والإستماع له، عقب بإيجاب الحقوق ، وخل في شعره ، وشكا النصب والسهر وسُري الليل وحر الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه (قد) أوجب علي صاحبه حق الرجاء، وذمامة [٤] التأهيل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه علي المكافأة ، وهزّه للسماح ، وفضله علي الأشياء، وضغّر في قدره الجزيل.

وهنا يعرض ابن قتيبة منهج أهل الجاهلية في تقصد القصيد، فيقرر أن الشاعر يبدأ بذكر الآثار والديار والدمن فيبكي عندها، ويستوقف الرفيق والركب عندها للبكاء ، بذكر أحبته وأهله النازحين عن هذه الديار ، ويصل الحديث بالوجد

---

(١) بدوي طبانة : دراسات في نقد الأدب العربي ص ١٧٨

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج١ ، المقدمة ص ٨٠-٨٢

(٣) انازك العمر : هم أصحاب الأبنية الرفيعة الذين ينتقلون بأبنيتهم

(١) الذمامة : بفتح الذال وكرها : الحق والحرمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشوق إلي هؤلاء الأحبة والأهل ليستثير في نفوس مخاطبيه العطف عليه والميل إليه. فإذا نجح في استمالتهم كانت فرصة مهيأة لأن يقدم بين يدي مديحه ما لاقاه في رحلته من تعب ونصب وسهر، وما أصاب راحلته من هزال، في سبيل لقاء الممدوح الذي ينتظر الشعراء مكافأته ويرتقبون فواضله. ومن الواضح أن أبن قتيبة يعرض منهجه قصيدة المديح فلم نعتمد في غير المديح مثل هذا المنهج، وليس الشعر كله مديحاً حتى يقال " إن نمط الشعر الجاهلي كله هو هذا النمط.

ثم نجد أن ابن قتيبة يعلل لتوالي أقسام المنهج علي هذا الترتيب بعده، إمور منها ما يتصل بالبيئة الصحراوية وظروف معيشة الناس فيها. ومنها ما يتصل بالنفس الإنسانية من مشاعر وعواطف. وبعد هذا يتني ابن قتيبة علي هذا المسلك الجاهلي في قصيدته ، ويعده جيداً وسليماً ، فيقول ((فالشاعر المجيد من سلك هذا الأساليب ، وتجول بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب علي الشعراء، ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس طمأ إلي المزيد[١].

ودعا أبن قتيبة إلي ألتزام هذا المنهج وعدم الخروج عليه ، وبطريقته التقريرية حظر علي المتأخر من الشعراء أن يقف علي بنيان مشيد ، أو يتخذ غير الناقة والبعير راحلة له ، أو يرد الماء الجاري، أو يقطع الريف دون الفلوات فيقول : " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف علي المنزل الداثر والرسم العافي ، أو يرحل علي حمار ، أو بغل ويصفهما ، لأن المتقدمين رحلوا علي الناقة والبعير ، أو يرد علي المياه العذاب الجواري ، لأن المتقدمين وردوا علي الأواجن الطوامي ، أو يقطع إلي الممدوح منابت النرجس والآسي الورد، لأن المتقدمين جروا علي قطع منابت الشيح والحنوة[٢] والعرارة[٣].

---

(٢) أبن القتيبة : الشعر والشعراء ، دار المعارف ، مرجع سابق ، ص٨٢.

(٢) الحنوة: بتفح الحاء : نبات طيب الرائحة.

(٣) العرارة نبات طيب الريح أيضاً يقال هو الذهب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأبن قتيبة يري أن نظام القصيدة الجاهلية هو النظام الأمثل والأحق أن يحتذي ، وقد فأته ، وهو الذي التصق للمحدثين ودعا إلي رواية شعرهم، وذلك لأن منهج الجاهلية كان أقرب إلي طبيعة الناس والأشياء في الجاهلية فضلاً عن أنه منهج قصيدة المديح ، وليس الشعر كله مديحاً ولذلك يجب أن تحترم طبيعة الناس في كل زمان ومكان.

فأبن قتيبة في منهجه هذا يدعو إلي التمسك بهذا المنهج القديم ، ولكن نري أن فرض منهج ثابت علي الشعر والشاعر فيه عبئ كبير عليهما ، فالشعر مرده إلي الشعور وهو لا يخضع إلي المعيار العقلي المجرد الذي يصب الشعراء في قوالب واحدة ، وهو يعيش في الجو الصافي الطلق الذي يخلو من القيود ، وذلك من الأحسن أن ندع للشعراء قسطاً من الحرية في التناول والاسلوب.

ولا نقصد التقليل من رأي هذا الناقد وهو معروف للجميع بآرائه. النقدية الصائبة ، ولكن أردنا أن نبين وجهة نظرنا في هذا الموضوع. من غير تزمت وبوضوح.

ثانياً: مواقف منصفة:

بالرغم من التشدد الذي لازم علماء اللغة والنقاد للتمسك بالقديم إلا أن هناك بعض المنصفين المعتدلين في الحكم ، المحكمين لأذواقهم في الحكم علي الشعراء العباسيين وشعرهم ، فتجدهم يعجبون بالشعر الجديد ، ويطربون له ويروونه في مجالسهم ، واصبح الجديد محل قبولهم واستحسانهم.

ومنهم من عدل عن رأيه في الجديد ، وراح يشيعه بشعرائه ويخص علي رواية شعرهم، وتناقل دواوينهم، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان معظم الشعر الحديث في هذا العصر جيداً بلا جدال، ويستحق التنوية والإشادة، ولا أدل علي ذلك من أعجابهم به ، واستجادتهم له قبل أن يعرفوا صاحبه. وسوف نعرض نماذجاً للشعراء لنوضح جودة ذلك الشعر، ونظهر مدي أهميته شكلاً وموضوعاً.

وسنقدم بعض المواقف التي تجلي فيها إنصافهم للجديد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- أبو عمر بن العلاء:

يرى ديوان ذي الرمة ، ويختم به الشعراء الذين يحتج بشعرهم في النحو والغريب.

يختم الشعراء بشاعر أحدث وهو بشار بن برد ، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ورائد من رواد التجديد في العصر العباسي الأول، وعندما سأل عن أمدح بيت قالته العرب ، فقال الذي يقول:

لمستُ بكفي كفّه أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وسئل من أهجي الناس؟ فقال الذي يقول:

رأيت السهلين استوى الجود فيهما

علي بُعد ذا مِنْ ذاك في حُكم حاكم [١].

سُهيل بنُ عثمان بجود بما له

كما جاد بالوجعا سُهيل بن سالم

وهذه الأبيات كلها لبشار، وأبوعمر بن العلاء أمتلأ إعجاباً ببشار، فهو يظهر هذا الأعجاب عندنا يسأل عن أبدع الناس بيتاً فقال الذي يقول:

لم يُطلْ ليلي ولكن لم أنم ونفي عني الكري طيفٌ ألم

روّحي عني قليلاً وأعلمي إنني يا عبد من لحم ودم

فالناقد هنا يظهر مدي إعجابه بشاعر محدث مثل بشار بن برد ويضعه في مرتبة عالية حيث وجد في شعره أمدح بيت وأهجى وأبدع بيت ، ومن هنا نحس بالإطراء والإعجاب بالشعر الجديد من أبي عمر بن العلاء وإن كنا لا نجادل في ما ذكره أبيات ناقده ، أي وازنة راجحه[٢].

٢- خلف الأحمر:

ذكر الرواة أن بشاراً أنشد خلف الأحمر قصيدته في سلم ابن قتيبة:

بكرا صاحبيّ قبل الهجير وإن ذاك النجاح في التبكير

---

(١)ديوان بشار بن برد: دار الكتب العالمية ، بيروت: ص٤٣٩

(١)د.محمد السعري : اتجاهات النقد الأدبي ، دار الطب ، المحمدية ، القاهرة :١٩٧٠م، ص٦٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلاحظ فيما إكثاره من الغريب، وسأله عن سبب ذلك ، فقال له : بلغني أن سلماً يتباصر بالغريب، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه. وقال له خلف: لو قلت مكان (إن يتباصر ذاك النجاح في التبكير) (بكراً فالنجاح في التبكير) كان أحسن. فأجابة بشارد: إنني بنيتها إعرابية وحشية فقلت: (وإن ذاك النجاح) كما يقول الأعراب البدويون ولو قلت: (بكراً فالنجاح) كان هذه من كلام المولدين لا بشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معني القصيدة ، فقام خلف، فقبله بين عينيه [١].إعجابا بقصيدته تلك ، وهذا موقف من مواقف خلف المنصفة بالرغم من أن بشار من رواد التجديد ولكنه في هذه القصيدة نحا نحو القدماء فأعجب بها خلف.

٣- خلف الأحمر ويونس بن حبيب (٩٤ – ١٨٢هـ/ ٧١٣ – ٧٩٨م)[٢]:

من مواقفهما المنصفة التي فضلا فيها شاعراً عباسياً علي شاعر قديم فحل هو الأعشي، تفضيلها قصيدة مروان في مدح الخليفة العباسي المهدي، والتي مطلعها:

طَرقتك زائرةٌ فحيِّ خيالها بيضاء تخلطُ بالجمالِ دَلالها

علي قصيدة الأعشي التي مطلعها:

رحلت سمية غدوة أجمالها

والقصة كما يلي:

" كان من أثر بيئة مروان الأديبة ، وتحكم الناقد والنحاة بالشعراء ، أن أكثر مروان في الإستئناس بآراء بعض النحاة والنقاد والشعراء ليقولوا رأيهم في

---

(٢) د. شوقي الضيف: العصر العباسي الأول ، الأغاني ، ج٣، ط: دار الكتب ، ص١٩٠.

[٢]) يونس بن حبيب الضبى بالولاء أبو عبدالرحمن ويعرف بالنحوى. علامة بالأدب، كان امام نحاة البصرة في عصره، وهو من قرية "جبل" بفتح الجيم وضم الباء المشددة على دجلة بين بغداد وواسط. أعجمى الأصل، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأمئة. قال ابن النديم: كانت حلقته بالبصرة ينتابها طلاب العلم وأهل الادب وفصحاء الاعراب ووفود البادية، وقال ابن قاضى شهبة: هو شيخ سيبويه الذى أكثر عنه النقل في كتابه. من كتبه "معان القرآن" و "النوادر" و "الامثال" و "اللغات". الزركلى – الأعلام ج٩ ص ٣٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شعره قبل أن يذيعه في الناس، " فهو حين أتم قصيدته اللامية المشهورة التي أولها:

طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

قصد خلفاً الأحمر وقال: (أنشدك الله يا أبا محرز ألا نصحتني في شعري فإن الناس يخدعون في أشعارهم ثم أنشده قصيدته التي تقدم مطلعها.

قال له خلف: أنت أشعر من الأعشي في قوله:

رحلت سمية غدوة إجمالها.

فقال له مروان : أتبلغ بي الأعشي هكذا؟ فقال الأحمر: ويحك أن الأعشي قال في قصيدته هذه:

فرميتُ غفلة عينهِ عن شأته فأصبت حبة قلبها وطحالها

والطحال ما دخل في شيء إلا أفسده، وأنت قصيدتك سليمة كلها، فقال مروان: إني إذا أردت أن أقول قصيدة رفعتها في حول: أقولها في أربعة أشهر، واتحلها في أربعة أشهر وأعرضها في أربعة أشهر.

فمروان إذن يعزو سلامة قصيدته من اللحن الغث الرديء إلا أنه كان يهذب شعره ويتفقه.

ويبدو أن مروان أراد أن يتأكد من سلامة لغة هذه القصيدة ، وعدم خروجها عن القواعد النحوية ، فقصد حلقة يونس بن حبيب وقال: أصلحك الله إني أرى أقواماً يقولون الشعر ، لأن يكشف أحدهم عن سؤته فيمشي في الطريق أحسن منه من أن يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعر أعرضه عليك ، فإن كان جيداً أظهرته وإن كان رديئاً سترته، وأنشده قصيدته السابقة، فقال يونس: يا هذا، إذهب وأظهر هذا الشعر ، فأنت والله فيه أشعر من الأعشي في قوله:

رحلت سمية غدوة إجمالها

فقال له مروان: قد سؤتني وسررتني ، فأما الذي سررتني فلارتضائك الشعر، وأما الذي سؤتني به فلتقديمك إياي علي الأعشي ، قال:

فرميت غفلة عينه عن شأته فأصبت حبة قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده ، وأنت لم تقل ذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمروان علي سروره بسلامة شعره من الفساد اللغوي والخطأ النحوي، وعلي فرحه بخلو قصيدته من اللفظ الرديء والمعني الفاسد. كان يعرف للشعراء مكانتهم الأديبة ويسوؤه أن يقدم علي شاعر كبير كالأعشي الذي حكم له مروان نفسه بأنه أشعر العرب في الجاهلية.

ولم يكتف مروان بما سمعه من رضا خلف الأحمر، واستحسان يونس النحوي لقصيدته اللامية، وإنما قصد بشار بن برد ، وأنشده إياها فقال له بشار: أحسنت أشهر فيها من الأعشي في قصيدته التي علي رويتها.

بذلك يكون مروان قد تثبت من تلاحم كلامه بعضه ببعض ، من فصاحة لغته، ووضوخ معناه، وقد حكم له بالفصاحة والكمال رآو ونحوى وشاعر[١]."

٤- الأصمعي:

قد مرّ بنا أنه كان من المتعصبين بشدة للشعر القديم ، كشيخه أبي عمرو بن العلاء ، وخاصة شعر الجاهليين ، وليس هذا بمستغرب منه كلغوي حيث اللغويين الكبار الذين كانوا يحرصون علي قوة اللغة : وفصاحتها وسلامتها ، ولكن الغريب أن يرفض الشعر الحديث الذي جاء علي هذه الخصائص أيضا وليس الذي خرج عليها فحسب.

هذا الرجل كان يعاوده أحياناً روح الناقد المنصف واللغوي المعتدل ، فيسجل إعجابه بابن هرمة، أحد مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، الذي كان يختم به الشعراء ، ويروى شعره ، ويوثقه ، حيث كان هذا الشعر يراجع علي روايته[٢].

---

(١) الموشح المرزباني ص٧٥ ، طبعة دار النهضة مصر ، الأغاني ج١ ، ص٨١-٨٢ ، دار الكتب ن خزانة الأدب ، البغدادي ج١ ، ص١٦٥ ، المطبعة اللغة ، مروان أبي حفصة وشعره ، قحطان رشيد النحيصي ، ص١٣٣-١٣٥.

(١)أبن المعتز: طبقات الشعراء ، ص٢٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يلبث أن يختم الشعراء بشاعر أحدث وهو بشار[١]. الذي تتبع الأصمعي أخباره ، ومناسبات شعره يسجلها ويرويها. ويعلن إعجابه بقدرة ذلك الشاعر علي التشبيه ، بالرغم من ظروفه الخاصة التي كانت تمنعه من رؤية لأشياء ، ويوصفه بأنه يشبه الأشياء بعضها ببعض ، فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله[٢].

مما يؤكد إنصاف الأصمعي أحياناً واستحبابه للشعر الجديد ، وبخاصة شعر بشار أحد رواد التجديد في العصر العباسي الأول ، موقفه التالي من شعر كل من مروان أبي حفصة المقلد ، وبشار بالمجدد.

فقد سأله أبو حاتم السجستاني: (عن بشارد ومروان أيهما أشعر؟ فأجاب "بشارا أشعرهما، قال : وكيف ذلك؟ قال: لأن مروان سلك طريقاً كثر سلاكه ، فلم يلحق بمن تقدمه، وشركه فيه من كان في عصره، وأن بشار سلك طريقاً لم يسلكه أحد فأنفرد به، وأحسن فيه، وهو أكثر فنون شعره، وأقوى علي التعرف، وأغزر بديعاً ، ومروان أخذ بمسلك الأوائل[٣]."

هذه نظرة موضوعية ، وتعليل أدبي مقبول لأفضلية بشار علي مروان عند الأصمعي ، بثبتان إنصاف علماء اللغة في بعض الأحيان وتشجيعهم للجديد الجيد والمجددين، فهو يفضل بشاراً زعيم المجددين علي مروان زعيم المقلدين.

وهذا علي خلاف مذهب اللغويين الذين تعصبوا للقديم علي الجديد ، ولمن هم علي طريقة القدماء ، وقد علمنا ، أن الأصمعي نفسه من الذين بعدت بهم العصبية في ذلك إلا أنه هنا ينصف الجديد ويشجع منه.

مهما يكن من شيء فقد رأينا الأصمعي يقدم بشاراً ويذكرهم من بواعث هذا التقديم تجديده، وأنه لم يذل لمذهب الأوائل، وأنه واسع البديع [٤].

هذا دليل علي تنبه بعض علماء اللغة إلي فضل الإبتكار والإبداع علي التقليد والإتباع ففضلوا الشاعر المجدد علي الشاعر المقلد ، و ذلك نقد يعد من

---

(٢)الأغاني : ج٣ ، طبعة دار الكتب ، ١٩٣٨م ، ص١٤٨.

(٣) المرجع نفسه ، ص١٤٢.

(٤) فحولة الشعراء ، الاصعمي ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة الميزية بالأزهر ، ١٩٥٣م.ص٣٧

(١) طه إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحدث وجوة النظر إلي الفن الأدبي، وهو الذي يبحث فيه عن شخصـــية الأديـــب، ألهذه الشخصية كيان مستقل؟، أم أنها سارت في طريق غيرها؟ ، حتى انقطع بها الطريق فتلاشت وفنيت[١]".

(٢) د. بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي ، ص١٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- أبن قتيبة:

وهو الذي تعصب للقديم في موقفه السابق، نراه يعود إليه الإنصاف، وينتصف للمحدثين من علماء اللغة ، ويحاول قدر استطاعته أن يرفع قدر شعرهم.

فهو يعلن في مقدمة كتابه أنه يعني بالجودة الفنية في شعر الشاعر متقدماً كان أو متأخراً ، ولذلك فهو يقدم من يستحق التقديم ولو كان من المتأخرين، ويؤخر من يستحق التأخير ولو كان من المتقدمين.

فهو يقرر أن " النص الأدبي ينبغي أن يقدر بمقدار ما حوي من عناصر الجمال التي تسمو به وتميزه من سواه، وصرف النظر عن سائر الاعتبارات الأخرى ، فلا ينظر إلي قائله ، ولا يقدر علي حسب صاحبه ، بل يكون الاستحسان والاستهجان مبنياً علي التذوق الشخصي ، وعدم التأثر بآراء الغير[١].

فهو يقول: " ولم أسلك فيما ذكرته من كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد أو استحسن غيره، ولا نظرت إلي المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلي المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل علي الفريقين وأعطيت كلاً حظه ، ووفرت عليه حقه، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنّه قيل في زمانه ، أو إنّه رأي قائله[٢].

في سبيل إنصاف المحدثين، لتجد أشعارهم طريقها إلي الرواية والحفظ وليجد لهم مكاناً لدى قومهم، يتجه ابن قتيبة وجه العدالة المجردة، حين يقرر أنّ في كل عصر وكل طبقة النابه والخامل ، فيقول: (ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة علي زمن دون زمن، ولا خص بها قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم جديداً في عصره، وكل شرف خارجياً في أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثون ، وكان ابو عمر بن العلاء يقول: " لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته، ثم صار هؤلاء قدماء عندما بعد العهد منهم. وكذلك يكون من بعدهم لمن

---

(١) د. بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي ، ص١٣٥.

(٢) الشعر والشعراء :ج١ص٦٨-٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعدنا كالحزيمي والعتابي والحسن بن هاني وأشباههم . فكل من أتي بحسن من قول أو فعل ذكرنا له ، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه، كما أنّ الرديء إذا أور د علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه "[١].

هذا الكلام كلام رجل يميل إلي التجديد ، ويدعو إلي النظرة المجردة من غير تأثر بنظرة الغير، التي اكتسبت قوامه ، حتى رددها الناس مع ما قد يكون في بعضها من أثر الجهل أو ضعف الذوق أو الصدى أو التحامل.

والذي يسمع هذا الكلام لابد أن يعجب بأبى قتيبة ويثني عليه وعلي نزعته التجديدية ورغبته في تحرير النقد في أسباب التقليد فتح باب النقد الذي ينظر بنظرة فاحصة ومستقبلية إلي ما هو جديد والتعامل معه والميل إليه لأنه واقع ينبغي التعامل معه.

وفي سبيل هذا المبدأ تراه يفنِّد آراء العلماء ، ولا يرضي منها إلا ما يستقيم مع فهمه وذوقه[٢].

فهذه المقولات التي وردت في مقدمة كتاب " الشعر والشعراء" لأبن قتيبة ، وفي إطار حديثه حول قضية القديم والحديث نثبت نظرة ابن قتيبة الصائبة والموضوعية في الحكم علي الشعر والشعراء، وتظهر ثورته علي علماء اللغة الذين يتعصبون لكل ما هو قديم ن ويقومونه ولو كان رديئاً، يرفضون الشعر الحديث ويؤخرونه ولو كان جيداُ ، وتثبت هذه المقولات أيضاً أنَّ أبن قتيبة كان ينزع في نقده أحياناً منزعاً تجديدياً في نقده واتجاهه الأدبي . لقد تناول أبن قتيبة بشيء من الإنصاف والعدل ، والاعتدال في النظرة النقدية " الخصومة بين القدماء والمحدثين ، ولكن لا من ناحية المذهب الشعري وشرحه، وتفضيل أي المذهبين علي الآخر ، بل من ناحية بلاغة القول ، وجودة الكلام ورداءته، فلابدَّ أن تعلم أنَّ كتاب الشعر والشعراء لأبن قتيبة يذكر المشهورين من الشعراء، إلي أوائل القرن الثالث يذكر مكانه وزمنه ومنزلته وقبيلته وصلة شعره بحياته، والحسن من

---

(١) المرجع نفسه: (الشعر والشعراء) ص٦٩

(٢) د. بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي ، ص١٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخباره والجيد من قوله: وما أخذه عليه العلماء من الخطأ في الألفاظ والمعاني، والمعني الذي ابتدعه والذي أخذه من غيره.

وفي هذا الكتاب بعض المحدثين ــ كبشار والعتابي والنحوي والحسن ابن هاني، و مسلم بن الوليد، وأبن مناذر، ودعبل الخزاعى، وكم لاقي هؤلاء المحدثون من الطعن والتجريح، ولكنهم عند ابن قتيبة بمأمن من الظلم، فهو يحكم بين الشعرين لا بين العصرين، يثني علي المحدث المجدد إذا جاء الحسن، ويذم القديم إذا جاء بالرديء ، فلم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة علي زمن دون زمن ، ولا خص بها قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده[1].

وهذا هو الإنصاف الذي افتقد عند اللغويين ، والحق إنه بنظرة أبن قتيبة هذه يكون ميزان الحكم في قضية القديم والحديث قد اعتدل كثيراً. وأن التجديد أصبح واقعاً لابد من الوقوف عنده حتى ولو كان في نطاق ضيق في مجال القصيدة العربية.

ولقد رأينا كيف قاوم اللغويون والنقاد والقراء الشعر الجديد في بدايته ، ورفضوه وتمسكوا بالقديم واعتبروا أنه شيءٌ مقدس يجب الحفاظ عليه ولا ينبغي الخروج عنه ، ولكن مع هذا التعصب ظهر بعض اللغويين والنقاد من وقف مع الشعر الجديد وأخذ بيد المجددين إلي أن أصبحت هذه الظاهرة جديرة بالاهتمام عند الكثير منهم.

موقف اللغويين من الشِّعر الجديد:

لقد عرفنا أن اللغويين و النحويين كانوا يأخذون اللغة عن فصحاء الأعراب ومن البادية، وكانوا مشغولين بجمع الشعر الجاهلي والإسلامي، فحفظوه وألقوه وتمرنوا عليه منذ الشباب، وأثر ذلك في أذواقهم، فلم يحفلوا كثيراً بأشعار المحدثين.

---

(١) طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص١٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكم كانوا مقتنعين بأن اللغة العربية لغة صحراوية، تزدهر في البداوة وتكمل بالجيرة العربية، وأن الإقامة في الحضر تفسد الملكة وتنقص البيان، وتجلب اللحن، وكان لديهم براهن علي ذلك مما شاب البيان العربي منذ خرج العرب من شبه الجزيرة ، وهذا الشعر المحدث وليد الحضارة ، ولا يمكن أن يتمشى في كل شيء مع الروح العربية ، كما لا يمكن أن يخلو من اللحن في إعراب أو إشتقاق أو وزن، أضف إلي ذلك أمراً مهما جداً لديهم هو حاجتهم إلي الشاهد في التدوين ، وقلة ثقتهم بما يأتي به المحدثون(١).

تلك هي الأسباب التي دفعت اللغويين والنحويين إلي أن يقفوا من الشعر الجديد هذا الموقف الرافض له.

فهو موقف " قائم علي التقدم في العصر مستند إلي أسباب لغوية دون أن ينصرف إلي الأسباب الفنية في الشعر ، وعناصره وتصويره للحياة ، فلم يستطيعوا أن يتجردوا بعض الشئ من ماضيهم ، وأن يضعوا شعر إزاء شعر، وأن يوازنوا بينهما موازنة دقيقة ، تراعي فيها عناصر الفن ، ويراعي فيها اختلاف الزمن (٢).

" إن المحدثين أرادوا أن يجلبوا الشعر بصورة للعصر فجودوا فيه، وأن اللغويين أنصار القدماء، والشعراء الذين يتخذون القدماء لم يحاسبوهم علي أنهم وقفوا أو أخفقوا، ولم يجادلوهم في كيف يكون الشعر صورة للعصر، ولم يناقشوهم في أصول الفن الشعري (٣). وإنما جادلوهم فقط في أنهم أفسدوا الصياغة، وخرجوا علي طرائق القدماء في الشعر.

مما سبق نستطيع أن نوجز أسباب موقف اللغويين من الشعر الجديد:

١- حرصهم علي فصاحة اللغة وسلامتها ، لأن هذا عملهم الأصلي الذي يقومون به ، ومن وجهة نظرهم أن هذه الخاصية تتوافر في شعر الأقدمين، ولهذا احتفلوا به وفضلوا أصحابه.

---

(١) طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٩٨

(٢) المرجع نفسه، ص٩٩

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- حاجتهم إلي الشاهد الشعري في مجالات اللغة والنحو وغيرهما ، والشعر القديم يمدهم بالشواهد اللازمة ، بينما يرون أن الشعر الحديث لا يصلح لهذا الاستشهاد.

٣- تمرسهم علي قراءة الشعر القديم وحفظه وروايته، والخوض في شعرائه، وتحديد طبقاتهم، فسهل عليهم ولذّ لهم، وارتبطوا به ارتباطاً وثيقا، فهو يتردد كثيراً في مجالسهم وفي أحاديثهم وفي علومهم، فاختفلوا به، وفضلوه، بينما شعر المحدثين لم يقل مثل تلك الأمور، فكان غريباً في بيئتهم وأذواقهم فاستهجنوه ورفضوه.

٤- شيوع اللحن والألفاظ المولدة والمعربة والألفاظ الأجنبية في شعر المحدثين، وهذا يضعفه عند قوم يمتهنون سلامة اللغة وفصاحتها، ويكرهون أن تشيع فيها هذه الظواهر التي شاعت في لغة الشعر عند المحدثين، فانصرفوا عنهم، ولم يحفلوا بشعرهم.

٥- شيوع الصنعة والبديع في شعر المحدثين، وهم قوم يميلون إلي الطبع والفطرة ، كما اعتادوا في القديم، ولهذا كان طبيعيا أن يميلوا إلي شعر القدماء ويفضلوه.

كان اللغويون يفضلون في الشعر القديم الجمال القائم علي الفطرة ، و النحو في الإبانة ، والوضوح وإرسال الكلام إرسالا كما يوحي به الطبع[١].

أما المحدثون فقد كانوا يعتقدون أن الجمال يتأتى بالزخرف في العبارة والتعميق، لذلك قاموا يفتشون في العبارات القديمة يظنون جميلا، وتتبعوه، ووشحوا به شعرهم ، وحفلوا به وأكثروا منه ، واجتمع لهم من ذلك الجناس والطباق والاستعارة وغيرها من الأنواع التي وقع عليها اسم البديع[٢].

أما الجمال في الشعر القديم من هذا الجانب ، فقد " كان الطبع قويا فيه وكانت عباراته إفصاحا واضحاً عن خواطره ، يحقق ولا يبدل إلا إذا كان المعني

---

(١) طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٩٣-٩٤

(٢) المرجع نفسه ، ص ٩٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتطلب ذلك، ولا يغير شيئاً بشيء إلا إذا كانت فكرته تقوي بهذا التغيير ، فالمعاني هي التي تأثره وتحركه وتصوره [١].

٦- اعتقادهم بأن الحضارة تعد الملكة اللغوية ، وتنقض البيان، وتجلب اللحن، والشعر الحديث في معظمه شعر حضارة ، ولهذا رفضوه، وأنّ البداوة تؤدي إلي قوة اللغة وسلامتها وفصاحتها ، والشعر القديم في معظمه شعر بداوة ، ولهذا قبلوه وفضلوه وحفلوا به .

تلك هي أبرز الأسباب التي جعلت اللغويين في العصر العباسي الأول يقفون هذا الموقف من شعر المحدثين ، ذلك الموقف الرافض لهذا الشعر، المتعصب للقديم، وهي أسباب مقنعة ووجيهة ، تضع المتأمل فيها بأن اللغويين علي حق في هذا المواقف، ولكن الإنصاف يدفعنا إلي القول بأنهم تعصبوا كثيرا في هذا الموقف حيث رفضوا كل الشعر الحديث جملة وتفصيلا ، حتى ما جاء منه محتذياَ النمط الشعري القديم، حتى ما كان جيداً منه، فلئن كان الرفض يتوجه إلي بعض الشعر الحديث ، فإن من المغالاة والتعصب الشديد الأعمى أن يتوجه الرفض التام إلي مجموع الشعر الحديث، وبهذه الصورة التي وردت في مواقف اللغويين من الشعراء المحدثين وشعرهم.

هذا ما يمكن أن نقوله عن آراء النقاد في التجديد في العصر العباسي الأول، ولقد خصصنا اللغويين بشيء من التفصيل ، لأنهم أكثر النقاد تعصباً للقديم ورفضاً للجديد والمجددين في العصر العباسي الأول ، ونأمل أن نكون قد أظهرنا بعض الشيء مما كان مخفياً في مجال هذه الدراسة. وأوضحنا بعض الشيء مما يقوي ويزيد من قيمة هذا البحث عن ما أورده النقاد عن التجديد والمجددين وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول ، حيث شعرنا بالتطور الواضح في مجال الشعر عامة وفي موضوعاته بصفة خاصة. حيث لمسنا التغير الذي طرأ علي القصيدة العربية عند بداية القرن لثاني والثالث ، في مجال الشكل والمضمون كما سنرى في شعر بشار بن برد و أبي نواس ، وأبي العتاهية هؤلاء الشعراء

---

(١) طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٩٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذين تجد التحديد واضحا في شعرهم حيث نعدهم رواد هذا الاتجاه التجديدي في هذا العصر أن هناك مسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف وأبن هرمة، والعتابي وغيرهم ممن ساهم في إضافة أي جديد في شكل أو مضمون القصيدة العربية، ولقد رأينا من خلال الدراسة كيف كان التجديد في شكل القصيدة الجاهلية وفي مقدمتها بصفة خاصة، حيث ثأر أبو نواس علي هذه الافتتاحية القديمة "الوقوف علي الأطلال" واستهل قصائده بوصف الخيل. ثم كان لبشار من قبله بصماته الواضحة في اختيار المعاني والصور الشعرية من خلال قصائده ثم مسلم بن الوليد وما أحدثه في القصيدة باستخدام البديع في كثير من قصائد ، وأبو العتاهية في أسلوبه السلس واستخدامه لأوزان شعرية جديدة ، وشمل التجديد والتطور أيضاً الموضوعات والأغراض في وصف الطبيعة الموضوعة باعتبارها من مظاهر الحضارة الجديدة ، ثم كان الرثاء للمدن والحيوان والطير ن والتجديد الواضح في الأغراض كان عند أبي نواس في الغزل بالمذكر وغيره.

ولقد تعرفنا أيضاَ إلي الأسباب التي أدت أو دعت للتجديد من قبل حيث فصلناها في عدة أسباب ، أجملناها في عاملين اثنين هما:

١- التغيير الذي طرأ علي الحياة العباسية بالانتقال من حياة البداوة إلي الحضارة ، ومن خشونة العيش إلي رخاء النعمة ، هذا التطور أدي إلي نقلة سريعة للأدب وتطور تطوراً واضحاً في الأساليب والمعاني والألفاظ والأغراض

٢- التقارب اللغوي بين الشعراء العرب والموالي في المجتمع العباسي في العصر الأول.

حيث أصبحت الفصاحة أمراً غير طبيعي في مجتمع انتشرت فيه العناصر الأجنبية وتغلغلت في مختلف ميادينه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

نماذج من المجددين

المبحث الأول: التجديد عند بشار بن برد

المبحث الثاني : التجديد عند أبي نواس

المبحث الثالث: التجديد عند أبي العتاهية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

نماذج من المجددين

المبحث الأول: التجديد عند بشار بن برد في شعره:

لعل من المفيد حقاً ونحن نتناول التجديد في شعر بشار أن نلقي الضوء علي بعض الجوانب المهمة في حياته الشاعرية ، ونتعرض لبعض المؤشرات التي كان لها كبير الأثر في تكوين شاعريته التي استطاع بها أن يضع بصماته واضحة في مسيرة الشعر العربي ، بما أضافه من جديد في موضوعاته وشكله ومعناه وخياله، حيث يعد صاحب الخيوط الأولي البارزة في تيار الشعر العربي الحديث ، الذي انتشر في العصر العباسي ، ومن ثم يكتب الدارسون علي ديوانه عبارة " أبو المحدثين[١]، من هو بشار؟.

بعض أخباره:

هو بشار بن برد بن بوجوح. كان جده من سبي المهلب أبن أبي صُفره[٢]. حيث كان والياً علي خرسان ، وأبوه " برد" كان طيّاناً يضرب اللبن. وقد هجا حماد عجرد بشاراً بصناعة أبيه[٣]، وكان أبوه هذا أول الأمر في عداد رقيق (خيمة القشيرية) وقد زوجته مولاته هذه آمة رومية مملوكة لرجل من الأزد فوُلد بشار رقيقاً ، ويقال مولي أم بشار الأزدي تزوج امرأة من بني عقيل، فقدّم الآمة الرومية أم بشاراً وولدها في صداق زوجته العقيلية، فأعتقت هذه الزوجة بشار وأمه، لأنه أثر في نفسها كون الوليد الصغير أعمي، ولذا كان ولاء بشار في بني

---

(١) أبن رشيق: العمدة ، ط١، دار الجيل لبنان ، ج١، ص ٣١

(٢) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص١٢٩

(٣) نفسه: ص ١٣١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عقيل، وكانت أمه تسمي " غزاله" وكان له أخوان ، ويفيد الجاحظ أنهما كانا أخويه لأمه، ويُقال إن أحد أخويه كان أعرج والأخر ناقص اليد فهم ذرية " مئوفة" [١].

وكان بشار ذكيا أخذ يتعلم العربية يذهب به إلي مجالس العلماء والأدباء ، علي ذلك مرباه في بني عقيل ، كما أنه بحكم عاهته التي ولد بها لم يكن مهيأ لتعليم صناعة أو حرفة غير التردد علي المساجد لطلب العلم ، وقد ظهر نبوغه في قول الشعر ، وكان المربد بالبصرة سوقا للشعر وساحة للهجاء ، فكان أول غرض من أغراض الشعر يتعلق به بشار هو الهجاء، ويبدو أن الوسط الأدبي في المربد ليس هو وحده الذي وجهه بشاراً إلي حب الهجاء والتعلق به ، بل طبيعة بشار العنيفة الغضوب المعتدية غير المحببة ، كان حب العداوات في طبعها سجية تلذّ لها ، وكان الهجاء أوفق الأسلحة التي ترضيها ، ويقال أن والده كان يضربه بسبب تعرضه للناس، وكثرة شكواهم منه، وهو يقول لأبيه إن الله يقول ((ليس علي الأعمى حرج)) [٢]. ويروي عن الأصمعي انه قال: " قال بشار الشعر وله عشر سنين، فما بلغ الحلم إلا وهو مخشي معرّة اللسان بالبصرة. قال : وكان يقول: هجوت جريراً واستصغرت وأعرض عني ، ولو أجابني لكنت أشعر أهل زماني"[٣]. وفيما يروي صاحب العمدة يقول: " ....لم أهجه لأغلبه ، ولكن ليجيبني فأكون من طبقته ولو هجاني لكنت أشعر الناس[٤].

وقد رغب بشار في أن يكون متمكناً من العربية خبيراً بها فيمم نحو البادية ليكون ذا باع في اللغة مشهوراً له بتمكنه وإقتداره. وكان بشار ضخماً عظيم الخلقة مجدور الوجه طويلاً ، جاحظ المقلتين ، يغشاهما لحم أحمر ، فكان أقبح الناس عمي ومنظراً، وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب[٥]. ويقال أن بشاراً كان نظيفاً في ملبسه ، وكان

---

(١) محمد طاهر عاشور: ديوان بشار ، ص٧-٨

(٢)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص٢٠٢-٢٠٣ – سورةالنور آية ٦١ ص ٣٥٨.

(٣) نفسه ، ص١٣٨

(٤) أبن رشيق: العمدة ، ج١، ص١١٠

(٥)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص١٣٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذا طابع خاص في اختيار لباسه ليسهل عليه ارتداؤه ، وكان أخواه كما سبق القول قصابين، وكان يدين لهما بأنهما أغنياه عن التكسب بالشعر والتعرض للملوك [١]. في مطلع حياته، ولذا كان عطوفا عليهما، وكان بدورهما يعمدان لملابسه النظيفة ويرتديانها دون إذن منه فيصيبها التلوث والاتساخ فتفوح منها رائحة كريهة، وكان يلبس ملابس متسخة فقيل له ما هذا يا أبا معاذ؟ قال : هذه صلة الرحم"[٢].

وهكذا كان بشار قبيح المنظر والأخلاق معاً حيث لم يكن مهذباً، بل كان ينقاد لكل نزعاته السيئة، كان يري الهجاء المؤلم أخذ بضبع[٣]، الشاعر من المديح الرائع، ومن أراد من الشعراء أن يكرّم في دهر اللئام علي المديح فاليستعد للفقر، و إلا فاليبالغ في الهجاء ليُخاف فيعطي [٤].

وكان بشار شديد الاعتناء بنفسه وشديد الغرور بها ، يروي أن رجلاً قال لبشار ، أني أنشدت فلانا قولك:

إذا أنت لم تشرب مراراً علي الغذي ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه؟

فقال المستمع ما كنت أظن هذا البيت إلا لرجل كبير مجرّب ، فقال بشار لمن حكي له: ويلك أما قالت له : هو والله أكبر الجن والأنس[٥]. ولما استيقظت في بشار مواهبه الشعرية أخذ بغدو علي المربد ، فيستمع للفرزدق و جرير وأضرابهما ، وتعرض لجرير يريد أن يرد عليه ليشتهر ولكنه لم يآبه له. وظل يعاني بهذا الغناء في الهجاء ، وحتى يقال إنه كان سبب حتفه [٦]. ثم أخذ بشار يجالس علماء الكلام. فكان يصحب واصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة ، واعدّة ذلك لأن يتصل بآراء الزنادقة التي كان يردُ عليها واصل وغيره من المتكلمين ، كما أعدّه لكي يعرف شيئاً عن منطق اليونان وفلسفتهم مما تسرب إلي تلك الجماعة.

---

(١) محمد طاهر عاشور: ديوان بشار ، ص٧-٨

(٢) الأغاني : ج٣ ، ص٢٠٨ ، البيان والتبيين ، ج٣، ٦١

(٣) الضبع: الكتف والناصة : يريد العضد

(٤)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص٢٠٢

(٥) نفسه ، ص ١٤٨

(٦) نفسه ، ص٢٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم أظهر بشار زندقته حتى أباح واصل دمه ، ثم هرب إلي البصرة ومدح سليمان بن هاشم بن عبد الله ، ثم مدح القيسيين لأن ولاءه كان لقيس المضربة ، ولما قامت الدولة العباسية عاد إلي البصرة ، وقد عاد تأثراً ، شاعراً كأن الدنيا أقبلت عليه ، وأخذ يمدح العباسيين وخاصة المهدي ، ولكنه كان يتغزل بشعره وفيه شيءٌ من الرفث وأنه يصرح فيه بأشياء تفسد الشباب فنهاه المهدي عن ذلك الغزل ويشكو في شعره من هذا النهي كثيراً ، ولا تلبس الأخبار أن تتواتر علي سمع المهدي بزندقته، فيأمر بقتله ، يقول أبن المعتز : " وقيل: بل قيل للمهدي إنه يهجوه فقتله ، والذي صح من الأخبار في قتل بشار أنه كان يمدح المهدي، والمهدي يُنعم عليه. فرُمي بالزندقة ، فقتله ، قيل: ضربه بسبعين سوطاً ، فمات، وقيل: بل ضرب عنقه ، وكانت وفاته سنة سبع وقيل ثمان وستين و مئة[1].

وواضح أن عوامل متشابكة أثرت في شخصية بشار الأدبية فقد كان مولي، وكان يحس بعمق أنه قِنْ بن قِنْ، وأنه من أسرة فقيرة مختلفة في المجتمع، فانطوي علي مرارة ولَّدت فيه ميلاً قوياً إلي العدوان، فقد ورث عن جنسه الفارسي مزاجا حاداً. واندفاعاً شديداً نحو المتع الحسية.

يمكن لنا أن نحصر العوامل التي أثرت في شاعريته في عاملين هما: آفة العمى التي لازمته منذ صغره والشعوبية التي عمل من أجلها وأظهرها كثيراً في شعره ، حيث يمكن أن نقول إن هذين العاملين قد أثرا في شاعريته كثيراً، حيث ولدا فيه المعاني القوية والخيال الخصب والتصوير البديع الرائع. وسوف نتعرض لهما بشيء من التفصيل لنتبيّن أثرهما في التجديد في شعره.

آفة العمى في حياة بشار وأثرها في فنه الشعري:-

من المؤكد أن كثيراً من الأدباء قد ابتلوا بعاهات مختلفة منذ ولادتهم وصغرهم فأصبحت هذه العاهة سبباً في تفوقهم في مجاله سواء كان شاعراً أو

---

(١)أبن المعتز : طبقات الشعراء ، ص ٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أدبياً كاتباً، كما كان طه حسين لذي يعتبر علماً من أعلام الفكر العربي ، حيث حوّل هذه العاهة إلي طاقة إبداعية ، ووظفها توظيفاً تلاشت عنده تماماً وأصبح يعيش حياة عادية، وكذلك بشار كان يمكن أن يوظف هذه الآفة. ويكسب بها حب الناس وعطفهم، يقول الدكتور طه حسين : " قد كان من المعقول أن تكون العاهة التي ابتلي بها بشار مصدراً لحب الناس إياه وعطفهم عليه ورفقهم به، لو أن بشاراً عرف كيف يتلقى هذه الآفة، وكيف يحتملها، وكيف يعرف مكانته منها، ولكن من البائسين من يجعل الله البؤس مصدر النغمة منهم، والسخط عليهم لأنهم يئسون احتمال هذا البؤس أو يضعونه في غير موضعه ، أصاب الله بشاراً بهذه الآفة ولكنه أساء الانتفاع بذكائه وحدة ذهنه فأصبح بغيضاً إلي الناس مذموماً عندهم ، ثقيلاً عليهم"(١).

ولم يقف الأمر ببشار عند سخطه علي آفته بل تجاوز ذلك إلي الاستعلاء والتمدح بها ومن أمثلة ذلك قوله:

عَميتُ جنيناً والذُكاء من العَمَى فجئتُ عجيبَ الظَنِ للعلمِ معقلاً

وغاضَ ضياءُ العين للقلبِ فاغتدي بقلبٍ إذا ما ضَيَّع الناس حَصَلا

وشعرٌ كَنورِ الروض لاءمت بينهُ بقولٍ إذا ما أحزَنَ الشِّعرَ أسهلا()

وأيضاً فإن هذه الآفة شكلت رؤيته الفنية والإبداعية ، لأنه كان يعمد إلي بعض الصور الفنية التي يريد أن يظهر بها براعته الفنية التي تفوق براعة المبصرين ، فيستخدم كل ما أوتي من طاقة إبداعية كامنة داخله ليعبر عن الشيء الذي يريد قوله بألفاظ ومعانٍ وخيالٍ يفوق خيال المبصرين، من ذلك:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كَواكِبه(٢).

بل أنه يكثر في شعره من حديث المبصرين ، ويستخدم خياله الخصب الذي تميز به وجعله في طليعة المجددين في الشعر في هذا العصر ، وفي ديوانه نجد أشعاراً كثيرة استخدم فيها حاسة البصر التي يفتقدها مثل قوله(٣).

---

(١) د. طه حسين : حديث الأربعاء ، ط١٢ ، ج٢ ، ص١٨٨.

(٢) الديوان ، دار الكتب للطباعة، بيروت: ص ٥٧٧-٥٧٨.

(٣) نفسه ص٢٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يا منظراً حسناً رأيتُـــــه من وجــه جاريـــةٍ فديتـــة
أبيت أرمدَ ما لم اكتحلْ بكم وفي اكتحالي بكم شاف من الرمد

وقوله[١].

واحور محسود علي حسن وجهه يزين السموط نحره وترائبه

وقوله[٢].

حوراء أن نظرت إليــ ك سقتك بالعينين خمــرا
وكأن رجع حديثهـــا قطعُ الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانهـــا هاروت ينفث فيه سحـــر

وأكثر من ذلك تراه يواجه الاعتراض علي استخدامه أسلوب المبصـرين، فـي التصوير والتخيل والإحساس، حيث يقول[٣].

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقـــة والأذن تعشق قبل العين أحيانـا
قالوا بمن تـــري تهذي؟ فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ماكانا

ويقول أيضاً متحدياً آفته [٤].

عجبتُ فطمة مـن نعتـي لهـــا وهل يجيد النعت مكفوف البصر

الذي يتأمل هذه النماذج الشعرية يجد أن بشاراً قد أبدع في نظمها مستخدماً ملكته الفطرية من خيال ودقة وحس مرهف ، ولذلك صاغ شـعراً يفـوق شـعر المبصرين. ولعل هذه الصور والمعاني التي تطرق لها والوسائل التي اسـتخدمها تدخل في باب التجديد في شعره وتعكس الحياة الاجتماعية التي كان يعيشـها فـي العصر العباسي من ترف ونعيم وتحضر في كل جوانب الحياة.

وهذه الآفة قد كان لها أكبر الأثر في شعر الهجـاء عنـده لأنهـا شـكلت شخصية الهجاء عنده، لما يحثه من سخط وتبرم ونفور في مخالطة المجتمع، في كثير من الأحيان، مما أدي به إلي الجنوح لقول الشعر الوقح الـذي يخـرج عـن

---

(١) نفسه ص٣٣٦
(٢)الديوان : ص ١٤١-١٤٨
(٣) نفسه ،ص٥٢٧-٢٥٨
(٤)نفسه ، ص٦٠٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآداب والأعراف، حيث يتناول أعراض الناس بأقبح وأحط ألفاظ السباب، وكذلك لم يكن شعر الغزل عنده إلا أوضح الأسباب في تأثير هذه الآفة عليه، حيث لجأ إلي الشعر الحسي الفاضح حيث تغزل في المرأة في أخص الأماكن فيها من غير التزام بأدنى خلق ومراعاة الشعور العام. وكل ذلك سببه شعوره بأنه خسر المرأة مرتين، الأولي حين حُرم التمتع بحسن مرآها، والثانية حين حُرم من ثنائها عليه وإعجابها بمنظره الحسن.

مع ذلك فإن له مواقف لا تخلو من طرافة ونحو من ذلك ما يرويه صاحب الأغاني ، حيث يقول علي لسان راو: " كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل يفهمه ولا يفهم ، فأخذ بيده وقام يقوده إلي منزل الرجل وهو يقول:

أعمي يقود بصيراً لا أبالكم قد ضلّ من كانت العُميان تهديه

حتى صار به إلي منزل الرجل، ثم قال له: هذا هو منزله يا أعمي[١].

ومع ذلك فأن بشار كان شديد الشعور بآفة العمى فقد حكي أنه سأل صائغاً أن يصنع له جاما[٢]. فيه صورة طيور تطير فلما وافاه الصائغ بمظلة ، سأله بشار هل رسمت فوق هذه الطيور طائراً من الجوارح كأنه يريد صيدها، فقال الرجل : لم أعلم ذلك فقال بشار: بل قد علمت، ولكن علمت أنني أعمي لا أبصر شيئاً. [٣].

من هذا يتضح لنا أن هذه الآفة التي ألمت ببشار كان لها الأثر في فنه الشعري، كما كانت أحد العوامل المهمة في تكوين ملكة الشعر عنده والتجديد فيه.

شعوبية بشار:

الذي يقرأ كتاب الأغاني وديوان بشار يجد أخباراً وأشعاراً تتصل بشعوبيته تارة وولائه للعرب ومزجه لهم تارة أخري.

---

(١)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص٢٠٢

(٢) الجام: إناء للشراب أو الطعام من فضة أو نحوها

(٣)المازن : بشار بن برد ، دار الشعب ، ص٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقضية الشعوبية في التاريخ عامة، وفي التاريخ العربي في العصور الإسلامية بعد الفتوحات الواسعة قضية إنسانية إلي جانب كونها سياسية، ولها في الدول الإسلامية جانب ديني يضاف إلي بعدها الإنساني والسياسي.

ذلك إن الشعوب التي تدخل في حوزة دولة أخري بالفتوحات لابد وأن تتطلع إلي سيادة نفسها والي الترقب لساعة الخلاص، ولا يمكن لأي فكر إنساني أن ينكر علي الأفراد والجماعات داخل الدولة المقهورة ذلك الحق ، بل إن كل فكر إنساني منصف ينكر عليها تنكرها في إخلاصها لقوميتها واستغلالها بعطفها ، حتى إذا أنخرط أبناء الدولة المغلوبة في شعب الدولة الغالبة ، واخلصوا في هذا التداخل وذلك الإندماج ، فإن ذلك لا يمثل حبهم للعنصر الجديد وتفضيله علي أصلهم ، فإذا أعتدي أحد من أفراد الشعب الغالب علي أحد من أفراد الشعب المغلوب ، فلابد للمغلوب أن يدافع عن نفسه ولا ينكر عليه أحد ثورته. لكن للمسألة بعداً، أخر في ظل الدولة الإسلامية إذا كانت هي الغالبة ، ذلك أن الإسلام كدين سماوي له شريعته الإلهية المحكمة ، التي لم تترك للبشر حكاماً أو محكومين التصرف في الأصول العامة للعلاقات الإنسانية ، بل شرَّعت لكل العلاقات تشريعات دينية ودنيوية تحكمها وهي تشريعات صالحة في كل الأزمنة والأمكنة وغير قابلة للتغيير.

والإسلام بالنسبة للدول المغلوبة تناول حقوق أهل الذمة وهم الذين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية ، وقرر تأمينهم فيما يتصل بعباداتهم وعقائدهم، وحول الدولة مسئولة عن رعايتهم في الشئون الدنيوية مثل رعاية المسلمين. وحقهم في ذمة الجماعة المسلمة ، وهذا يعني عدم ظلمهم ومساواتهم مع المسلمين، مقابل جزية يدفعونها من أجل حمايتهم من المسلمين.

وفي ظل الإسلام فإنه لا يحق لمسلم أن يفتخر علي غيره من خلق الله مسلمين كانوا أو غير مسلمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذن الإسلام قطع دابر العنصرية وتصدي لها بإغلاق الطريق عليها بوضوح وحسم بلغ العنف أحياناً في تأديب الرسول صلي الله عليه وسلم لبعض أصحابه الذين اخطاوا و لجأوا إلي العنصرية واتخذوها سلاحاً للمساس ببعض إخوانهم المسلمين مثل بلال رضي الله عنه.

من كل هذا يتضح أن دفاع فرد من الشعوب المغلوبة عن أصله وجنسه واعتزازه بها أمر لا ينكر عليه علي المستوي الإنساني ، أما علي المستوي الديني في ظل الإسلام فإنه لا يوجد أصلا فكرة العنصرية بين الجماعة المسلمة لأن القاعدة العامه يقرها القرآن في قوله تعالى: "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"(١).

من هنا يمكن أن نراجع أخبار بشار وأشعاره في سياق الشعوبية، وأخباره في مصادر كثيرة، وإذا راجعت الأغاني مثلاً ، نجدها تدل دلالة واضحة علي أنه قال أقوالاً متفرقة تدل علي نزعته الشعوبية ، ولكن له ما يبرره في أقواله وأفعاله في هذا المنحي، وأن قوله لا يدل علي كراهية العرب ونعني زوال ملكهم ، وإنما هو رد فعل مشروع أمام الموقف العام.

يروي صاحب الأغاني أن بشاراً دخل علي الخليفة ، فسأله المهدي فيمن تعتد يا بشار؟ فأجابه بقوله: (أما اللسان والزى فعربيان، وأما الأصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين(٢).

ونبئتُ قوماً بهم جنة يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلُ جاهداً لَيعرِفَني أنا أنف الكرمْ
نَمتْ في الكرامِ بني عامر فُروعي وأصلي قُريش العجمْ
فإني لأغني مقام الفتي وأصبي الفتاة فما تعتصم

هذه الأبيات تكشف لنا عن التوازن والصدق مع النفس وعدم مجاورة الحق عند بشار، بل تدل علي أن ميزان بشار في العربية أوضح من ميزانه في غيرها، حيث أجاب المهدي بقوله: (أما اللسان والزى فعربيان). واللسان ليس أمراً

---

١) سورة الحجرات الآية ٣.

(٢) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص٢١٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عارضاً في حياة الإنسان بل هو فكرة ووجدانه وعواطفه وشتي أبعاد ذاتـــه فمـــا الظن بالشاعر الأديب؟ وأما الزَّى فصدى النفس وترجمان الشخصية، وكم أنـــاس نحكم عليهم من الزى فإذا اقتربنا منهم نجد حكمنا عليهم صحيحاً ، ثـــم أضـــاف بشار (وأما الأصل فعجمي) وهو صادق كل الصدق لأن نسبه من جهتي أمه وأبيه في غير النسب العربي ولا عيب في ذلك ، ولو أن بشاراً اتجه إلي الولاء لأصـــله وتخلص من كل شيء عربي حوله لغة وزيا ويسر نفسه لذلك لما كـــان موضـــع إنكار عليه من الناحية القومية والإنسانية ، ولكن بشاراً يعيش واقعه ويخلص له ، حيث نجد منذ الوهلة الأولي أن لغته عربية فيحبها ويخلص لهـــا ويقبـــل عليهـــا ويصبح من انبغ شعرائها ، كما يعيش أيضاً حياته العربية بكل أبعادها السياســـية والاجتماعية، فيسعى إلي الخلفاء والحكام والولاة ويمدحهم ويتصل بهم، ثم يقول: " أنه كريم بل هو أنف الكرم لأن أصوله وفروعه نمت في الكرام بني عامر، وهو يرفع شأن آبائه من العجم ويجعل منزلتهم تساوي منزلة قريش في العرب فيقول: " قريشي العجم، وكأنما التكريم الأعلي الذي لا يدانيه تكريم عنده هو مقام قريش ، وفي ذلك احترام وتفضيل لقريش وسموها وهو بذلك أقرب لتكـــريم العـــرب مـــن البحتري في أخر سينيته.

وأراني من بعد أكلف بالإشـــــ راف طُراً من كل سنخ وآس

وهناك موقف أخر لبشار فيه هجوم صريح علي العرب ولكنه بكل المقـــاييس لا يحسب عليه، ولا يشكل طبيعة نزعته وعواطفه بل قاله في ســـياق الـــدفاع عـــن النفس أمام هجمة وقحة لإعرابي عنف عليه ، ويروي صاحب الأغاني فيقول: [١].

" دخل إعرابي علي مجزأة بن ثور السدوسي، وبشار عنده، وعليه بزة الشـــعراء، فقال الإعرابي: مَنْ الرجل؟ فقالوا رجل شاعر، فقال: أمولي هو أم عربي؟ قالوا بل هو مولي ، فقال الإعرابي: وما للموالي والشعر! فغضب بشار وسكت هنيهة ثـــم قال: اتأذن لي يا أبا ثور؟ قال : قل ما شئت يا أبا معاذ، فانشد بشار يقول:

خليليَّ لا أنامُ علي إقتســـار ولا أبي علي مولي وجـــــارِ

---

(١)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، ج٣ ، ص ١٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سأخبرُ فاخرَ الأعرابِ عنِّي وعنه حين تأذن بالفَخَـــــارِ
أحين كسيت بعد العُري خزاً ونادمت الكرام علي العُقـــارِ
تفاخر يا ابن راعيــةَ وراعٍ بين الأحرار حَسبُك من خسار
وكنت إذا ظمئت إلي قراح شَركتَ الكلبَ في ولَغٍ لإطار[١].
تريغ[٢].بخطبة كَسرَ الموالي ويُنسِيكَ المكارمُ صَيدَ فــأرِ
وتغدو للقنافذ تذدريهـــا[٣]. ولم تعقِلْ بدراج[٤]. الديـــارِ
وتتشح الشمال للابسيهـــا وترعي الضان بالبلد القفار
مقامك بيننا دنسُ علينـــا فليتك غائب في حر نـــار
وفخرك بين خنزير وكلب علي مثلي من الحدث الكُبار[٥].

فقال مجزاة للإعرابي: قبحك الله! فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك "

هذا النفي يدل علي أن بشار كان يدفع عن نفســه الإهانــة بــل الشــتائم والسباب والاحتقار الذي صُبّ عليه في مجلس مضيفة " مجراه بن ثور"

وفي النص دلالات يحسن أن نشير إليها ، أولاً قول الإعرابي" أمولي هو أم عربي" ففي السؤال تجريح واضح لبشار، وكأنه أراد أن يقول: أمن السادة هــو أم من العبيد؟ وكأنما عزّ علي الإعرابي تلك الهيئة الخاصة التي ظهر بها بشار وهو لا يعرفه. بل كان من الاحرى أن يتعرف عليه ويعرف ما ألم به من عاهــة حتــى يصون لسانه ولا يحرجه.

وثانيهما قول الإعرابي: "ما للموالي والشــعر؟" فــالإعرابي بــرغم تفــوق الموالي في اللغة والأدب وبرغم إقبالهم الإسلام ديناً وعلماً ، ما يزال يعيش فكــرة موهومة هي أن العرب أصحاب الشعر وأصحاب لغة الشعر وغيرهم لم يخلق لهذا ولم يؤهل.

---

(١)الإطار : يعني الإناء
(٢) تريغ: تطلب
(٣) تدربها: تختلها لتصيدها
(٤) الدراج: القنفذ
(٥) الكُبار: المفرط في الجسامه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثالثة الملاحظات تستفاد من تعليق " مجزأة بن ثور"، حيث قال للإعرابي (قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك وأمثالك) فقد دعا عليه مجزأة بأبشع ما يدعي به علي إنسان، حيث يقول له "قبحك الله " فإنما أصابك علي يد بشار خاص بك وبأمثالك.

وموقف بشار شديد الوضوح في إنه دفاع عن النفس ، والبيت الأول في قصيدته شديد الدلالة في وجوب المساواة ورفض أي تفكير عنصري أو طبقي، حيث يقول[١]:

خليليَّ لا أنام علي اقتسار[٢] ولا آبى[٣] علي مولي وجار

وبشار يوضح أنه لا يقبل الظلم والإهانة ، وأنه ليس الشخص السيئ الخلق الذي يترفع علي الناس مولي كان أو قريبا بالجوار ، وهو بذلك يمثل روح الإسلام وجوهره في الإيمان بمطلق المساواة بين الناس دون أي تمييز يرجع إلي اللون والجنس.

وبشار يقف من قضية العنصرية التي أرهق بها العرب الموالي موقفاً يلوذ فيه بالإسلام ديناً وعقيدة ، لأن العبودية لله وحده لا غيره وذلك في قوله العميق الساخر[٤].:

أصبحت مولي ذي الجلال وبعضهم مولي العريب فخذ بفضلك فأفخر
مولاك أكرم من تميم كلها أهل العقال ومن قريش المشعر
فارجع إلي مولاك غير مدافع سبحان مولاك الأجل الأكبر

هكذا يعلي الصوت بأنه لا عبودية إلا لله، وأولي بالعرب وهم حملة الدين الجديد أن يبالغوا في إدراك هذا المعني ويكونوا قدوة فيه، وبشار في هذه الأبيات يضع القضية في موضعها العادل لأصحاب الدين وحملته إلي الشعوب الأخرى.

---

[١]) الأغاني – ج ٣ ص ١٦٠.

[٢]) اقتسار : يعنى القهر.

[٣]) آبى : استعصى.

(٤)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص٢٠٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علي أن للقضية بالنسبة لبشار وجها أخر، يتضح في قصائدها ولائه للعرب وفخره بهم من ذلك ما قاله مفتخراً بولائه لقيس[1].

أمنت مضرة الفحشاء أنـــي أري قيس تضر ولا تضـــــار
لقد علم القبائل غير فخــر علي أحد وأن كان افتخـــــار
بانا العاصمون إذا اشتجرنا وأنا الحازمون إذا استشاروا
ضمنا بيعة الخلفاء فينـــــا فنحن لها من الخلفاء جـــــار
يحي من بني عجلان شوس يسير الموت حيث يقال ساروا
إذا زخرت لنا مضر وسارت ربيعة ثمن اجتمعت نـــــزار
أقام العابرونا علي هوانـــا وأن رغمت أنوفهم وســـاروا
لنا بطحاء مكة والمصلـــــي وما حاز المحصب والجمارُ
وميراث النبي وصاحبـــــه تلادا لا يباع ولا يعـــــار
وألواح السرير ومن تنمـــي علي ألواحه تلك الخيـــــار
كان الناس حيث تغيب عنهم نبات الأرض أخلفة القطـــار

هذه القصيدة قوية في أدائها صبقت في ثـــوب يتســـم بالفحولـــة وأن المعـــاني الفخرية فيها تعد من أرفع درجات الفخر بنزار وما تفرع منها من قبائل.

والذي يلفت النظر في هذه القصيدة إن قائلها لو لم يكن بشار وكان عربـــي النسب خالصة لقيل: ومن غيره يستطيع أن يبدع هذا الإبداع الذي هو أصـــل مـــا يكون عربيته في لسانه ونبض هواجسه ، وأعرق ما يكون معرفة بتاريخ القبائـــل وتقاليد العروبة وعقيدة الإسلام ، وبشار الذي قال الأبيات جدير بتلك الأوصاف مع زيادة وصف أنه ينافس العرب في عروبتهم لسانا وتقاليـــداً أو تاريخيـــاً وحمـــى بالإسلام.

وهناك قصائد أخري لبشار في مدح العرب والافتخار بولائه العربي، ومـــن أقواها وأخطرها قصيدته التي مطلعها[2].

جفا ودّه فازورَّ أو مل صاحبه وأزري به لا يزال يعاتبه

---

(١) الديوان: ص ٤٩٥-٤٩٦ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.

٢) الديوان ص ١٤١ ط دار الكتب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي التي يمدح فيها مروان بن محمد قيس عيلان، وقيل في مدح يزيد بن هبيرة قائد جيش قيس، ومعروف ولاء بشار لقيس عيلان، وهي قصيدة تدل علي التمكن الفنى البعيد المدى لغة وفناً وتاريخاً وتقاليداً، وحكمة ونقاد بصيرة ، وتعد واحدة من عيون الشعر العربي.

ولا شك في أن مدائحه العربية ، وفخره بمواليه العرب الذي يعتبر نفسه واحداً من المعروفين في نسبهم من اقوي الدلالة علي أنه ذاب في مجتمعه الجديد ولاءً.

وهذه القصائد التي قيلت في الفخر أو المدح وما احتوت عليه من ابداع فني عال في الخيال والمعاني والألفاظ لجديرة بأن تعد ضمن الرصيد الذي يرفع بشار ودرجة كبيرة في مجال التجديد في الشعر العربي، وما استخدام هذه الوسائل الراقية في الأسلوب والمعني علي حسب اختيار الموضوع، إلا نوعاً من التطوير والتجديد، و هذا ما لمسناه من خلال ألمامنا بآفة العمى التي لازمته وما طالعناه من خلال الشعوبية عنده.

التجديد في شعره:

لقد أبدع بشار إبداعاً قوياً في الأغراض الشعرية التي تناولناها وأبرزها عنده: المدح والفخر والهجاء والغزل، وأضاف إلي هذه الأغراض التقليدية المفردات الشعرية الشعبية التي تتمثل في مقطوعاته الخفيفة التي تستوعب من مفردات الحياة اليومية.

والذي نلاحظه في شعر بشار أن الأغراض التقليدية التي أكثر من القول فيها تعتمد علي السمات الأساسية أو التقليدية في الشعر العربي، ولكنه يضيف إلي ذلك النسيج التقليدي خصائص عصره الثقافية والاجتماعية ثم يترك علي ذلك بصماته بكل أبعادها. فمدحه يتميز بالقوة والأصالة والجزالة وفخامة التعبير وغرابته أحياناً، ويستوعب فيه الخيال العربي القائم علي التراث العربي في التقاليد المدح، ولكنه في الوقت ذاته جديد بما يحمله من جدة الحياة الفكرية والاجتماعية ، ثم استخدام بعض المفردات الجديدة التي تظهر تطور المجتمع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العباسي، ويتضح ذلك في مدحه للخليفة المهدى في قصيدة طويلة يحثه فيها بعقد الخلافة لأبنه موسي الهادي ، حيث في القصيدةو المسلك التقليدي في البناء لكنها تتخللها بعض الصور الجديدة في تشبيه المراكب والسفن بالخيل، ثم يصور لنا الظعائن داخل الهودج، ويأتي بصورة السفينة وهي صورة حديثة وجديدة فكأنه أراد أن يوضح مدى التطور الذي لازم الحياة في العصر العباسي الأول، وفي ذلك تجديد في الصورة رغم البداية التقليدية ، يقول بشار في مطلع قصيدته[١].

أقوى وعطل من فرّاطة الثمد فالربع منك ومن رياك فالسند[٢].

فالهضب أوحش ممن كان يسكنه هضب الوراق فما جادت له الجمد[٣].

عافوا المنازل من نجد وساكنه فما دريت لأنى طية عمدوا[٤].

وخلفوا لك آثاراً مدعثرة ما حولها سبد منهم ولا لبدُ

فالمطلع تقليدي يصف الشاعر فيه كيف أصابت الوحشة المكان بعد فراق المحبوبة منه، حيث أصبح دمناً بالية خربه، ثم يصف المحبوبة وصفاً دقيقاً مشبهاً لها بالمها ويصورها داخل الهودج علي ظهر الإبل ، كما يعرض بعض الأوصاف الحسية من البيئة، كما كان يفعل الجاهليون. ويقول[٥]:

بانوا بهنَّ وفي الأحداج غانيه في جيدها ومتالي ليتها غيد[٦].

عبل مسورها وعث مؤزهرا مثل المهاة رداح نبته رود[٧].

هيفاء لفاء جرد حلٌ مخلخلها تحيي وتقتل من شاءت بما تعد[٨].

فما يفوز الذي أحيت بمنفعةٍ ولا لمن قتلت عقل ولا قود[١].

---

(١) الديوان: ص ٣٢١-٣٢٩ ، ط ، دار الكتب

(٢) أقوى وعطل : خلا ، فراطة : اسم امرأة ، الثمد والربع:أسماء أو كن

(٣) الهضب: موقع

(٤) عافوا: تركوا أو كرهوا : العطية : المعاني المقصود

٥) الديوان ص ٣٢٢ ط دار الكتب العلمية – بيروت.

(٦) الأحداج: جمع حدج وهو الهودج ، أو مركب النساء ، الفانية الفتاة الجميلة.

(٧) المتالي: ما يلي أي أواخر: الليث ، صفحة العنق

(٨) العبل: الفخم ، المسوّر: مكان السوار المعصم: الوعث الضعيف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى أغتمسن ضحي في آل قرقرة سُقياً لهن وللصمد الذي صمدوا

ثم نلاحظ المفردات الجديدة التي أتي بها بشار وهو مصطلح المراكب يعني بـه السفن التي تجري علي البحر مشبها لها بالخيل في سرعتها، وهذه الصورة جديدة في ناحية الاستخدام، وكان بشار أراد أن يوضح مدى التقدم الذي طرأ علي وسيلة السفر والترحال في العصر العباسي، حيث يقول في نفس القصيدة:

وقربت لمسير منـك يومئـذ مراكب منك لم تولد ولـم تلـدُ[٢]

تقلي بهن طريـق ما بـه أثـرٌ في مستوي ما به حزن ولا حـددُ

لا في السماء ولا في الأرض مسلكها ولا تقوم ولا تمشي ولا تخـدُ[٣]

ولا يذ قن اكـالاً ما بقيـت ولا يشربـن ماء وهن الشرع الـوردُ[٤]

جون مجللة قعس مجـرشعـة ما بات يرمضها أين ولاخضـدُ[٥]

تلوي الأزمة في أذنا بهـا وبهـا في السير يعدل إن جارت فتقتصدُ

من كل مقربة للسيـر منقـزة خوفاً تجمع منها الجو جوء الأجـدُ[٦]

من سبعة فإذا أنشـأت تحسبهـا وفاكها كملا في كفـك العـددُ

السمر والنجر والنجار يقرعهـا والفقر والقيرُ والألواح والعمـد[٧]

والجديد في الموضوع هو أن الشاعر استعاض للرحلة، لممدوحة بالسفينة بـدلاً من الخيل، والإبل، حيث كانت الرحلة إلي الممدوح علـي ظهـر المطايـا عامـة وبلأخص الإبل والخيل، ولكن بشاراً أراد أن ينقل ما استجدت فـي عصـره مـن وسائل للنقل تكون أكثر راحة وأسرع في قطع المسافات للممـدوح ، فـنلاحظ أن

---

(١) هيفاء: جميلة رقيقة الخصر ، الفاء : كثيرة لحم الفخذ ، المؤزر: مكان الإزار أي الحفر: المصاة : الغزالة، الرواح: الثقيلة الأرداف ، جرد حل: ضخم ، القود : القياد ، تخذي: تسير ، البذل: الفرق ، البدن: الناقة المروضة.

٢) المراكب: السفن – الحزن : الأرض الصعبة – الجدر : الأرض المستوية.

٣) اتخد من الوخد وهو المشى السريع.

٤) أكالاً : الأكل – الشُّرع : القاصدون مكان الماء.

٥) الجون: صف للنياق – مجللة : موضوع عليها احبل وهو الشراع – الجرشع : الصدر الضخم.

٦) الجؤجؤ : الصدر: الاجد : القوى.

٧) السمر : موضع المسامير – النجر: الخشب – الفقر : اللوح الجامع لضفتى السفينة – القير : الزفت التى تطلى به السفينة – العمد: الصوارى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع تقليدي لكن الشاعر أضاف إليه خصائص عصره وما طرأ عليه من تطور وتجديد في طريقة التعبير وتوسعاً في تحقيق شعبية الشعر[١].

كذلك في مجال المدح والافتخار بالعرب وولائه لهم ينظم قصيدة قوية تعد من أجمل وأقوى ما مدح به، وهى التي مدح فيها محمد بن مروان ويمدح فيها قيس عيلان وفي الأغاني [٢]. يمدح يزيد بن هبيرة قائد جيش قيس غيلان ، وهي قصيدة تدل علي التمكن الفني البعيد المدي: لغة وفناً وتاريخاً ، وتقاليد وحكمة ونفاذ بصيرة، وتعد من عيون الشعر العربي. يهمنا فيها الصور الدقيقة والخيال الواسع والمعاني الجديدة التي أوردها الشاعر في قصيدته يقول فيها[٣]:

جفا ودَّه فازورّ أومل صاحبه وأذري به أن لا يزال يعاتبه[٤].

خليلي لا تستنكراً لوعة الهوى ولا سلوة المخزون شطت حبائبه[٥].

سقي النفس ما يلقي بعبدة عينه وما كان يلقي قلبه وطبائبه[٦].

هذه القصيدة تلفت النظر بما فيها من حكمة رائعة تدل علي خبرة بالحياة ، وفي الوقت نفسه تمثل طابعاً فنياً صفياً عميق الغور سهل المأخذ، ففيها السهولة والقوة، والصفاء والعمق، وهي بصياغتها الفنية الرقيقة تمثل خطوة من خطي بشار نحو التجديد وتجعله في طليعة الشعراء المحدثين. ولنستمع إليه يقول فيها[٧].

أخوك الذي لا ينقض الدهر عهده ولا عند صرف الدهر يزْورُّ جانبه

أخوك الذي إن ربته قال إنما أريت وأن لا ينته لان جانبه

يخونك ذوي القربي مرارا وربما وفيٌّ لك عند الجهل من لا تقاربه

---

(١) نجيب البهبيني : تاريخ الشعر العربي في أواخر القرن الهجري ص٣٥٢

(٢)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص١٢٨

(٣) الديوان: ص ٤٩٥-٤٩٦ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) جفا: بعد ، العرد : الحب ، افرور: مال أو يعم

(٥) شطت: بعدت

(٦) عبدة: امرأة ، طبائبه : جمع ظبية

(٧) الديوان: ص٢١٤ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فخذ من أخيك العفو واغفر ذنوبـــه ولا تك في كل الأمور تجانبـــــه
وأجد علي مولاك في الفقر والغني ولا تقرب الخلق الذي أنت عائبه
إذا كنت في كل الأمور معاتبـــا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبـــه

ويستمر بشار في شعر الحكمة في هذه القصيدة ، وتتسم كلها بالسهولة والخفة والعمق والسلامة، بحيث تبدو شعراً شديد الصفاء عليه رونق الحداثة والجدة، وهذا ما يؤكد بحثنا عن الجديد في شعره في هذا الجانب. وشعر الحكمة لم يفارقه حتى عندما انتقل إلي المدح في هذه القصيدة وهو الغرض الأساسي من القصيدة حيث يقول:

رويـــداً تصـــاهل بـــالعراق جيادنـــا كأنـــك بالضـــحاك قـــد قـــام ناديـــة
وســـام لمـــروان ومـــن دونـــه الشجـــا وهول كلج البحر جاشت غواربُه[1]:
أحلـــت بـــه أم المنايـــا بناتهـــا بأســـيافنا إنـــا ردي مـــن نحاربـــه
وكنـــا إذا دب العـــدو لسخطنـــا وراقبنـــا فـــي ظـــاهر لا نراقبـــه
ركبنـــا لـــه جهـــراً بكـــل مثقـــف وأبـــيض تســـتقي الـــدماء مضـــاربه
غـــدونا لـــه والشـــمس فـــي خـــدر أمهـــا تطالعنـــا والطـــل لـــم يجـــر ذائبـــة
يضـــرب يـــذوق المـــوت مـــن ذاق طعمـــه وتـــدرك مـــن نجـــى الفـــرار مثالبـــه
كـــأن مثـــار النقـــع فـــوق رؤوسنـــا وأسيافنا ليل تهـــاوي كواكبـــه
بعثنا لهم مـــوت الفجاءة إننـــا بنو الموت خفاق علينـــا سبائبـــه

وهذه القصيدة تؤكد أن بشاراً كان يسمو بشعره في ظل العصر الأموي إلي درب جديد في الشعر العربي يتسم بالعمق والرصانة والسهولة والرونق الصـفي،

(١) السام: القاصد ، مروان: الممدوح ، القوارب: أمالي : الأمواج.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذي المنحني المحدث الجديد، في معنايه وصورة وخياله ، ويتضح ذلك في هذه القصيدة حيث دقة التصوير، وبراعة، الخيال في قوله السابق.

عدونا له والشمس في خدر أمها تطالعنا والطل لم يجر ذائبه[١]

حيث التصوير الدقيق في قوله: " الشمس في خدر أمها تطالعنا" والملكة الكاملة في اختيار الألفاظ وربطها ثم أعمال الخيال.

ونلاحظ الدقة أكثر في تصوير المعركة مستخدماً الصور البيانية الرائعة في التشبيه التمثيل الذي يضفي علي القصيدة رونقاً وجمالاً في قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسانا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه

هذه الصورة من الصور الجديدة الرائعة النادرة في عقد المقارنة بين صورة السيوف اللامعة وسط الغبار العالق في السماء وبصورة الكواكب التي تساقطت في ليل مظلم شديد العتمة.

مما يدل علي قوة المعركة وشدتها. وهذا في حد ذاته يضاف إلي شاعرية بشار الفذة المجددة.

كذلك إذا انتقلت إلي قصيدته التي يمدح فيها عمر بن العلاء ، حيث تضم إلي جانب المدح الافتخار ، ونجد فيها نغماً طروباً من بحر المتقارب وموسيقاه الغذبة التي تفيض رقة وسلاسة وجدة و حداثة ، مع تمكن واقتدار من ناحية اللغة ، ويلفت النظر تلك المقدمة الغزلة الجديدة في مبناها ومعناها يقول فيها [٢].

وجارية خلقت وحدها كأن النساء لديها خدم

دوار العذاري إذا زرتها أطفن بحوراء مثل الصنم [٣]

يظللن يمسحن اركانها كما يمسح الحجر المستلم

وبيضاء يضحك ماء الشبا ب في وجهها لك أو تبتسم

ظمئت إليها فلم تسقني بري ولم تشفني من سقم[٤]

---

(١) الديوان: ص ٤٩٥-٤٩٦ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الديوان: ص ٥٨٨، ط ، دار الثقافة ص ٢١٤ تحقيق العلوى.

(٣) الدوار: الصنم الذي يدورون حوله ، الحوراء : الواسع سواد العين.

(٤) الري : الشراب حتى الشبع ، السقم: المرض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقالت هويت فمت راشداً كما مات عروة غماً بغم[1].

دسست إليها أبا مجلــز وأي فتي إن أصاب أعتزم[2].

فما زال حتى أنابت لــه فراح وحلّ لنا ما حرُم[3].

ثم يمضي بعد ذلك في حواره علي نسق محاورات عمر بن أبي ربيعة ، بما فيها من خفة الروح وفكاهة المأخذ ، وعيثية المزاج ، وهو برع براعة طريفة ، حيث ينفذ من خلال رابطة موضوعية إلي مدح أبن العلاء ، فهو يصور أنــه تزوجهــا عندما يقول:" فراح وحلّ لنا ما حُرم" ثم يوضح لنا بعد ذلك أنــه إذا قــل الثــراء وضاع المال ودعت الحاجة فعليها أن تجد الخطي إلي أبن العلاء يقول:

أقول لها حين قل الثـــراء وضاق المراد وأودي النعم

إذا ما افتقرت فأحي السري إلي أبن العلاء طبيب العدم

دعاني إلي عمر جـــوده وقول العُشيرة بحر خضم

وهذا النمط من عقد الصلة موضوعية بين المقدمة الغزلية وموضوع القصــيدة ظاهرة عظم شأنها في العصر العباسي لا سيما عند أبي تمــام والمتنبــي وهــذه الظاهرة تستحق الوقوف عندها لما فيها من جدة وحداثة.

يمكن لنا القول في المدح عند بشار بأنه جمع فيــه بــين أصــالة التــراث الشعري وتقاليده وعمقه وجزالته وفخامته، وأحياناً يتعمــد فــي ذلــك الأغــراب والصعوبة اللغوية، ليدل علي تمكنه ويفاخر بموهبته الشعرية واللغوية معاً. ولكن ميله إلي السلامة والمرونة في فن الشعر كان يغلب عليه ويجعله يقــول الجديــد الذي يعد باباً متميزاً في السهولة والرقة والحداثة ، ثم يضاف إلي ذلك قدرته علي تفجير الحكمة التي ما تزال تفرض نفسها علي المستمع العربي ، كما له تفننه في مداخلة المقدمة التقليدية لموضوع المدح مداخلة موضوعية كمــا فــي نماذجــه السابقة. وبشار كما يقول النقاد خاتمــة الشــعراء التقليــدين ورأس الشــعراء

---

(١) عروة : عروة بن حزام من بني عوزة العاشق لعفراء بنت عمه مات بها حباً ولم يتزوجها.

(٢) أبو مجلز: أحد أنباع بشار: دسست: أرسلت سراً.

(٣) أنابت: خفضت وأمتثلت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحدثين بمعني أنه باديتهم وفاتح الطريق أمامهم إلي الشعر الحديث الذي ملأ ديوان الشعر العباسي فيما بعد.

بشار شاعر مكثر في الغزل ، والغزل عنده يعتبر القسيم لكل أغراضه الشعرية ، وذلك لأن الغزل كان استجابة لنزعة فطرية جدية لم يهذبها بشار ، ولم يأخذها بالقيمة الاجتماعية الراقية، بل أصبح لها المجال لتمارس تمردها واستهتارها إرضاء لنزواته وتعويضا لحرمانه من رؤية الجمال والاستمتاع به عن طريق العين، وهذا الحرمان جعله أكثر جراءة وعدوانا طلباً للعوض النفسي والجسدي . لان رؤية الجمال تؤدي إلي شيء من الاستقرار النفسي.

وقد تأثر بشار في شعر الغزل عنده بعمر ابن أبي ربيعة ،وفي ديوانه نجد كثيرا في الشعر العاري الفاضح يتناول الغزائز علي نحو ساخر، فهو يتكلم عن الغريزة بشيء لا يقبل حيث يكثر من الشعر الحسي العاري ، كذلك تأثر في فنه بالوليد بن يزيد، فهو خليط منهما. نجد فيه الميل القوي إلي اللهو، وفيه خلط بين الغزل والخمر، وجنوح إلي الأوزان القصار التي كان العصر يحبها لملاءمتها الموسيقي الخفيفة المرحة التي كان العصر يحبها وهذا المزج والخلط يعد براعة فائقة ومقدرة وحداثة في التناول للموضوع مما نحس فيه بشيء من الجدة وخير ما يمثل هذه الاتجاهات الثلاثة، وامتزاجها في شعره قصيدة في صاحبة له كانت واعدته ثم اعتذرت بمرض[1]:

يا ليلتي تزداد نكرا ... من حب من أحببت بكرا
حوراء أن نظرت إليك ... سقتك بالعينين خمرا
وكان رجع حديثها ... قطع الرياض كسين زهراء
وكان تحت لسانها ... هاروت ينفث فيه سحرا
و تحال ما جُمِعت عليه ... ثيابها ذهبا وعطرا
وكأنها برد الشراب ... صفا وراق منك فطرا
جنيه انسيه ... أو بين ذاك اجل أمرا
وكفاك أني لم أحط ... بشكاة من أحببت خيرا

(١) الديوان: ص ٥٢٧-٥٢٨ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا مقاله زائـــــــــر نثرت لي الأحزان نثرا

متخشعاً تحت الهوى عشرا وتحت الموت عشرا

هذه الأبيات تمثل لنا غزل بشار الحقيقي وهو الغزل اللاهى تجاه المرآة ، ويمثل عصره ومجتمعه وشخصيته ، ذلك الغزل العابث الذي يشيع روح الخلاعة والفجور في النساء قبل الرجال ، ويمثل أيضاً الحياة المترفة اللاهية ، حيث أخذ ينمو ويزدهر ، أشكال مختلفة ، لكنه في النهاية دقيق عذب الصياغة فيه توليد للمعاني ورشاقة في الوزن وجمال في الصياغة ، كما فيه استخدام الوسائل البيانية بصورة فنية متقنة ، حيث يستخدم الشاعر التشبيه المعنوي بشيء محسوس يبرز لنا جانب الخيال في شعره.

كأن رجع حديثها قطع الرياض كسبن زهرا

كما استخدم بشار البحور الخفيفة والوزن الرشيق حيث جاءت من بحر مجزوء الكامل مما يعد تجديد في الموسيقي.

وفي غزله أيضاً نجد التطرف والتطري في كثير من أشعاره كذلك مداعباته للنساء وأشاعة روح اللهو والعبث في وسطهن ، ويحكي عنه في الأغاني قصص طريفة ومتنوعة معهن وهناك نص رواه صاحب الأغاني ومهد له بقوله[1]:" كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة الظرف ، وكان بشار صديقاً لسيدها ومداحاً له، فحضر مجلسه يوما والجارية تغن ، فسُر بحضوره، وشرب حتى سكر وقام، ونهض بشار ، فقالت: يا أبا معاذ أحب أن تذكر يومي هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيدي، وبشار يهوى الاستجابة لمطالب الجميلات والرقيقات ، فأجابها بقصيدة ذات مستوي فني رائع رفيع في الإبداع المتمكن من لمح المعاني وتوليدها ، ويدل علي روح الحياة الاجتماعية التي يحياها وينتمي إليها حياة اللهو والترف والتطري في توليد أحاديث النساء إلي لا تتصل بحقيقة العشق والحب ، بل تدل علي خبرة وتجربة في إشاعة اللهو

(١)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص١٥٨-١٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعبث المحببة لدي أنواع من النساء يعشقن اللهو السابغ والهوى المباح يقول[١]:"

وذات دل كأن البدر صورتها ... باتت تغني عميد القلب سكرانا[٢]
فقلت أحسنت يا سؤلى ويا أملي ... فاسمعين جزاك الله إحسانا
يا حبذا جبل الريان من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا
قالت فهلا فدتك النفس أحسن من ... هذا لمن كان حب القلب حيرانا
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا
فقلتُ أحسنت أنت الشمس طالعة ... أضرمتٍ في القلب والأحشاء نيرانا
فاسمعيني صوتاً مطرباً هزجاً ... يزيد صبا محبا فيك أشجانا
يا ليتني كنت تفاحا مفلجةً ... أو كنت من قضب الريحان ريحانا
حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها ... ونحن في خلوة مثلت إنسانا
فحركت عودها ثم انثنت طرباً ... تشدو به ثم لا تخفيه كتمانا
أصبحت أطوع خلق الله كلهم ... وأكثر الخلق لي في الحب عصيانا
فقلت أطربتنا يا زين مجلسنا ... فهات إنك بالإحسان أولانا
لو كنت أعلم إن الحب يقتلني ... أعددت لي قبل أن ألقاك أكفانا
فغنت الشرب صوتا مونقا رملا ... يذكي السرور ويبكي العين ألوانا.
لا يَقتُل والله منَ دامتْ مودّتُه ... والله يَقتلُ أهلَ الغدرِ أحيانا

هذا لون جديد من الغزل الذي يمثل طبيعة بشار ، ومزاج العصر من الناحية الاجتماعية ، ويهمنا من الناحية الفنية القول بأن بشار يعد بحق في شعر الغزل زعيم المحدثين في إشاعة هذا الأسلوب المحدث فنياً واجتماعياً.

ورغم هذا الشعر الرائع العذب الجديد في معناه السلس في موسيقاه نجد أن بشاراً له إبداع في الغزل الحسن الذي كان يمتد بين أطراف متباعدة من العري الحسي في الجسد إلي العربي النفسي في القول ، ويمكن تقديم شيء من نماذجه يقول فيها بروية صاحب الأغاني[٣]:

---

(١)الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت. ص٦٠٧-٦٠٨.

(٢) الدل: الدلال

(٣)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص١٥٨-١٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

درةُ بحْريةُ مكنونـــــــةٌ مازَها التاجرُ من بين الـــدُرر
عجبتَ فطمةُ من نَعتى لها هل يجيدُ النعتُ مَكفوفُ البَصر
أمنا بدَّدَ هذا لُعبـــــي ووشاحي حلَّهُ حتى انتثـــــرْ
فدعيني معه يا أمتـــــا علَنا في خُلوةٍ تقضى الوطـــر
أقبلت مقضبة لضـــرب واعتراها كجنون مستعـــــر
بأبـــي والله ما أحسنـــه دِمعُ عين يغسل الكحل قطـــز
أيها النَّوامُ هبُّوا وَيَحكُـم واسألوني اليومَ ما طعُم السَّهـرْ

هذه الأبيات تذكر بأنفاس عمر بن ابي ربيعة في غزله الحسي وغير ذلك كثير عند بشار يصل إلي درجة السقوط.

لكن بشار أيضاً تناول الشعر العفيف في الغزل التقليدي في نماذج كثيرة في ديوانه محافظاً علي الطراز القديم في الغزل من ذلك قوله: [1]:

أخشابُ حقاً إن دَاركِ تزعـــجُ وإنَّ الذي بيني وبينكِ يلْهَـــــجُ
فواكبدا قد انضج الشوقُ نِصفَها ونصفٌ علي نارِ الصبابة ينضجُ
ووا حزنا منهنَ يحفُفنَ هَودجا وفي الهودجِ المحفوفِ بدرٌ مُتوجُ
فإن جئتها بين النساء فقل لها عليك سلامُ ماتَ من يتـــزَوجُ
بكيتُ وما في الدمع منك خليفة ولكن أحزاني عليك توهـــــجُ

هذا الشعر في الغزل العفيف يذكرنا بالغزل الجاهلي لا سيما في مطالع القصـائد التي يمتاز غزلها بالسهولة، والرقة والوضوح و القوة كما عند النابغـة الـذبياني في قوله[2]:

أمن آل مية رائح أو مغتـد عجلان ذا زاد وغير مـزوَّد
زَعَم البوارحُ أنَّ رِحلتنا غداً وبذاكَ خبَّرنا الغدافُ الأسودُ[3]

وقول عنترة بن شداد:

هل غادر الشعراءُ مِن متردمٍ أمَ هلَ عَرَفتَ الدارُ بعـد تَوهمِ

---

(١)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص١٥٨-١٥٩.

[2]) النابغة – الديوان ص ٢٧ – الأغاني ١٥٦/٩.

[3]) الغزاف : الغراب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يا دارُ عبلةَ بالجواءِ تكلمـــي وعمي صباحاً دارَ عَبلة واسلمي

وقول بن عدي بن زيد العبادي[1]:

اتعرفُ رسم الدارِ من أم معبد فرماك الشوق قبل التجلد

وقول بشار أيضا في نفس البديع من الشعر.

لعبدة دارٌ ما تُكلدنا الـــدارُ تلوحُ مغانياها كما لاحَ أسطـــارُ

أسائلُ أحجارًا ونُوياً مهدما وكيف يجيبُ القولُ نؤيٌّ وأحجـارُ

وما كلمتني دُراها إذ سألتُها وفي كبدي كالنفط شَبَّتْ له النـــارُ

وعِندَ مغاني دارِها لو تَكلمتُ لَمكتئبٌ بادي الصبابة أخبـــار

تحمَّل جيراني فعيني لبيتهـم تفيضُ بتهتانٍ إذ لاحتُ الـــدار

بكيت علي منْ كنتُ أحظي بقربه وحق الذي حاذرت بالأمسِ إذ صارو

هناك أبيات كثيرة في ديوانه في هذا النوع من الغزل ، وبشار نظم أيضاً في الغزل الذي كان يملأ الساحة ويأخذ مكان الصدارة في تلك الفترة ، والذي اشتهر بالغزل العذري ، عند جميل بثينة ن وكثير عزة ، وقيس بن ذريج صاحب لبنى ، وقيس بن الملوح ، صاحب ليلي ، هذا النمط من الشعر اتجه إليه بشار لا تقليداً به، بل إرضاءً لتزعته حبه للمرآة ، مطلق أمرآة ، لحبه لها جرداً ولعطشه لها روحاً ووجداً من خلال بعدها الحسي ورهافتها النفسية والشعورية.

ومن أفضل شعره العفيف للفري بشابه الشعر الندري قوله: [2]:

أبيت ارمد ما لم أكتحل بكـــم وفي أكتحالي بكم شاف من الرمد

رقت لكم كبدي حتى لو إنكـــم تهوون الا أريد العيش لـــم أرد

كأن قلبي إذا ذكراكم عرضـــت من سحر هاروت أو ماروت في عقد

ما هبت الريح من تلقاء دار أرضكم إلا وجدت لها برداً علي كبـــدي

وكذلك قوله[3]:

سلبت عظامي لحمها فتركتهـــا عواري في أجلادها تتكســـر

---

[1]) الشعر والشعراء بن قتيبة ص ٢٢٦ ترجمة في الأغاني ١٧/٢.

(٢)الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت. ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٣)الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.ص ٥٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأخليت منها مخها فتركتهـــــــا أنابيب في أجوافها الريح تصفر

خذي بيدي ثم ارفعى الثوب فانظرى ضنى جسدي لكنني اتستـــــر

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها نفس تذوب فتقطـــــر

ومثل هذه الأبيات وغيرها في ديوان بشار كثيرة ، ولقد فنن بحق في فن الغـزل ، وهذا الباب في شعره وكلما يمت إليه بصلة هو باب المفردات الشعبية التي لجـأ إليها بشار ولم يكن وحده بل جواره رجال الشعراء أسهموا وأضـافوا ووسـعوا القول في هذه الحداثة الفنية والاجتماعية من أشهرهم الوليد بن يزيد وأبو نواس.

يعد الوليد بن يزيد هو الذي بدأت علي يده الشعبية التي كانت تقـف عنـد حدود المعاني. والموضوعات ، ولم يكن الوليد يعني باللفظ السهل والقريب ولـم يكن صاحب تصنع ، وجاء السيد الحميري بمذهبه في اختيار اللفظ السهل النقـي وتجنب العويص والغريب ليحقق الشعبية العامة للشعر(١).

الشاعران كلاهما لم ينزلاً بموضوعات الشعر عن مستواها الرفيـع الـذي جري عليه التقليد ، ولكن شعرهما ظل محجوباً عن العامة ومقصراً عـن أرضـاء طائفة ضخمة من العواطف.

والانفعالات ، حتى جاء بشار بشعره ليبين هذا الجانب من الشعر الذي يعبر عن العواطف المتصلة بالجو وحقق بشار هذا الجانب وراج بـه ، ونـزل بشـار بالشعر الرفيع من موضوعاته الرفيعة إلي كل موضوع مهما بلغت تفاهته لأنه كان يرضي طائفة من الناس ، حتى أخذ عليه النقاد نقاوت شعره ، فيقول له رجل:

ربابة ربة البيت تضب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

فيقول له بشار:" كل شيء في موضعه ، وربابة هذه جارية لي ، وأنـا لا آكـل البيض من السوق .... ولها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع هذا البيض تحضره لي ، فكأن هذا من قولي لها أحب البيض وتحسن عندها من: قفا نبك من ذكـري حبيب ومنزل(٢).

---

(١) نجيب محمد البهبني: تاريخ الشعر العربي ، ص٣٢٥.

(٢) الموشح المرذباني: ط ، القاهرة : ،١٣٤٣هـ ، ص ٢٤٨-٢٤٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هذا يتضح لنا أن بشار من المجددين في الشعر العربي من ناحية الموضوعات والأغراض الشعرية التي تنظم فيها، ولقد راينا كيف استطاع بتوليداته في المعاني وخياله الخصب أن ينقل الشعر إلي مرحلة ، متطورة ومتقدمة ملائمة للعصر الذي فيه مع محافظته علي النسيج التقليدي للقصيدة العربية.

أما من ناحية الصياغة والصورة ن فالتجديد عنده لم يكن اختيارياً وإنما فرضته عليه تلك العاهة التي ألمت به ،ويتمثل ذلك في التشبيهات التي مرت بنا في قصائده ، حيث يلجأ إلي التشبيه الإبهامي الذي يعتمد علي الصورة والخيال. وهذا التجديد في التشبيهات إذا كان قد أخذ من عصره ما أخذ ، وذهب القوم في خيوله فلأنه كان بالقياس إليهم هرباً من قديم وفراراً من نغمة طال ترديدها حتى ملوها[١].

فعماد التشبيه البصر والرؤية ، وذكاء الحسي ، ودقة إدراك العلائق والخوارق. والعاملات الأخيرات يصبحان ثانويين بالقياس إلي الأول ، وتقدم قيمتهما في بعض الأحيان، وذلك عندما يأتى الشاعر بالتشبيه معتمداً علي السمع في أركانه ، وما يرسخ في النفس من مفاهيم الأشياء مخالفة لحقيقتها مخلافة كبرى " وبشار ولد أعمي في نظر إلي الدنيا خطي [٢]. لذلك هو مجرد من كل فكرة للرؤية والشكل واللون ، أما اعتماده التشبيه فلأنه فرض محتوم عليه ، لأنه أراد إشباع مركب النقص الذي فيه ، ولقد كان بشار كذلك حقاً.

كان التشبيه عند السابقين يقوم علي الدقة العارمة وملاحظة وجوه الشبه بين المشبه والمشبه به. ويقوم علي مطابقة الصورة للصورة الموضحة ، وبلغ عندهم حد الإعجاز ، ومضرب المثل عندهم قول أمرئ القيس.

ما زرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

---

(١) نجيب محمد البهبيني: تاريخ الشعر العربي ، ط، دار الفكر ، ص ٣٥٤.

(٢)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص ٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن بشار لم تكن له القدرة بما يسعده بأن يأتي بمثله ولا يقاربه ، فحال به إلي التشيعيه التقريبي ، فأدي به إلي الخفوض ، واعتمد علي الإبهام ، كما رأينا في شعره حيث يقول:

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسبن زهرا

حيث لا يستطيع فهم العلاقة بين ترديد حديثها ،وبين قطع الرياض التي كسبتها الزهور ، وذلك لأن ركني التشبيه أحدهما مسموع وثانيهما مرئي ، والمقارنة بينهما عند من يسمع ويري جميعاً، وغيرهما عند من يسمع ولا يري.

والتشبيه عند بشار يختلف من الآخرين ، إذ الصورة عنده مقصوصة ، والحديث عنده مسموع ، فهو تشبيه محسوس بغير محسوس ، وعند الآخرين تشبيه محسوس بمحسوس ، وكذلك قوله:

حوراء أن نظرت إليـ ك سقتك بالعنين خمرا

وهذا البيت قياس أثر شيء منظور بأثر شيء مذوق ، وذلك لا يقع إلا في الوهم ولا يفهم إلا تقريباً. فالحور هو شدة سواد العين في شدة بياضها وهي أشياء ، لابد أن يراها وأصفها وبشار لم يرها قط ، ونظره صاحبه التي يقع أثرها في نفسه موقع الخمر من فمه لم يرها أيضاً قط حتى يشبهها بغيرها.

وقد يكون بشار أكثر توفيقاً ، إذا اعتمد علي الوصف علي ما هيئ له من قوى خاصة ، وذلك قبل البيت الذي عبه عليه النقاد:

إنما عظم سليمي حبتي قصب السكر لا عظم الجمل [١].

لأنه تشبيه محسوس بمحسوس، ولذلك وقع منه موقع السلامة ، كذلك قوله:

وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا[٢].

حيث لا نستطيع أن نفهم المعني الحقيقي للبيت هل كان الشاعر يقصد عذوبة ريقها أو إلي سحر حديثها أو إلي غير ذلك ، مما تذهب فيه الظنون في فهم المدلول غير المباشر لعبارته: " هاروت ينفث فيه سحرا".

---

(١)الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.ص ٥٧٤ ، برواية أخري.

(٢)الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.ص ٥٢٩ ، ملحقات قافية الراء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومذهب بشار لهذا التشبيه الإبهامي وما يتعلق به كان لوناً جديداً في هـذا العصر ، فأولع به وتبعه فيه واعتبر به مبدعاً وله مبتكـراً وبـه صـار أسـتاذ المحدثين.

وبشار أيضا كان من المجددين في شعره ببدايته في استخدام البديع قـالوا: (إن أول من فتق البديع م المحدثين بشار، وابن هرمه ، وابن ميادة ، ساقة العرب وأخر من يستشهد بشعره [١]. ويظهر ذلك في قول بشار[٢].

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكري طيف ألم
نفسى عنى يا عبد واعلمى إننى يا عبد من لحم ودم

والبديع كان يراد به التجديد في معالجة الشاعر شعره باسـتخدام الصـورة والإكثار فيها وتنويع وسائل الاسـتفادة بهـا ، فيـدخل فيـه التشـبيه والمجـاز والاستعارة ، وقد يدخل تحت مدلولها المحسنات اللفظيـة " علـم التجنـيس " ولا يقصد به في ذلك الزمان المعني الاصطلاحي الذي استقرت عليه في هذا العصر.

ومن الوجوه التي كان النقاد يعدونها م البديع يعني الجديد أن يعدل الشاعر من درجة الاستعمال التقديم لمعني ومتي ذلك ما جاء منسوباً إلي أبي عمـر بـن العلاء ، أن أبداع الناس بيتاً هو بشار [٣]. في قوله [٤]:

لم يطل ليلي ولكن لم أنـــم ونفي عني الكرى طيف ألم
نفسي عنى يا عبد واعلمـــي أنني يا عبد من لحـم ودم

حيث يكمن الإبداع في هذا البيت عند أبي عمر بن العلاء في عدول الشاعر نحو جديد في تفسير طول الليل ، فقد عبر الشعراء قبله علي التحدث عن طـول الليل أمام الناس ، فالليل لا يزال له طوله الذي خلق به ، ولكن المهموم لم يمنحه ، فخاله طويلاً ، وما كان كذلك. وعلي هذا النحو ترك بشار بصماته واضحة فـي الشعر العربي ، لسبقه بالتجديد فيه. وكان له حق الريادة في ذلك وأن يطلق عليه أبو المحدثين.

---

(١) العمدة: أبن رشيق ، ج١ ، ص٨٥.

٢) الاغاني ١٥٠/٣. – الديوان ص ٥٩١ دار الكتب بيروت

(٣) الأغاني – ١٤٤/٣.

(٤). الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.ص ٥٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: التجديد عند أبي نواس:

لقد رأينا في المبحث السابق كيف استطاع بشار أن يضع بصماته واضحة في مسيرة الشعر العربي ببراعته في المعاني والأخيلة والصورة وتجديده في الموضوعات مع المحافظة علي النسيج الفني التقليدي للقصيدة العربية. كذلك نجد أبا نواس له بصمات واضحة في رفع الشعر العربي علي مدرجة التطور والحداثة، التي ما تزال تجعل الشعر العباسي ذا منزلة وبريق، بل يجعل له الحلقة الذهبية في تاريخ الشعر العربي ، وقد تفنن وتصرف في فنون الشعر العربي، وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية ، يضاف إلي ذلك إنه شاعر الخمرة بلا منازع. وحامل لواء التجديد بالرغم من فجوره وإلحاده في خمرياته وغزله الشاذ ، والتجديد عنده يكمن بصورة واضحة في خمرياتها ، وغزله الشاذ ((الغزل بالمذكر)) فمن هو أبو نواس .

أبو نواس " الحسن بن هاني " ١٤٥هـ -١٩٨"

ولد بالأهواز إحدى قرى خوزستان في فارس ، ويقال إنّ والده من دمشق من جنود مروان آخر الخلفاء الأمويين [١]. أمّا أمه فأسمها جليان فارسية الأصل، انتقلت إلي البصرة وكان الحسن في الثانية أو السادسة من عمره وأقام بالبصرة حتى الثلاثين، ثم كانت رحلته مع والديه من الحباب، ثم رحلته إلي البادية مع بن أسد.

اختلف في مولده فقيل سنة ١٣٦ وقيل سنة ١٤٥ وقيل سنة ١٤٨ وقيل سنة ١٤٩هـ، كما اختلف في موته فقيل سنة ١٩٥-١٩٦ وقيل سنة ١٩٨هـ [٢].

نشأ أبو نواس بالبصرة وقرأ القرآن عي يعقوب الحضرمي فلما قرأ القرآن رمي إليه يعقوب بخاتمه وقال له: اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة [١].

---

(١) ابن منظور: أبو نواس : ص ١٨-٢١ تقديم محمد بن النصر ، بيروت.

(٢) نفسه ص ٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تثقَّف أبو نواس ثقافة واسعة فقد أخذ يذهب إلي حلقات المسجد الجامع بالبصرة فطلب علم الحدث علي جلَّه من شيوخه منهم الإمام أحمد بن حنبل، وأمّا النحو فأخذه عن أبي زيد النحوي [٢].

يقول ابن المعتز " كان أبو نواس عالماً فقيها، عالماً بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف ، صاحب حظ ومعرفة بطرق الحديث يعرف ناسخ القرآن ومنسوخة ومحكمة ومتشابهه.

كان أحفظ القدماء والمخضرمين و أوائل الإسلاميين والمحدثين [٣]. هذه النشأة الثقافية لم توجهه الوجهه الصالحة بل غلب عليه المجون والفسق نتيجة إنغماسه مع المجُان العابثين وفي مقدمتهم والبه بن الحباب. الذي تعرَّف على أبى نواس وصحبه معه إلي الأهواز، ومهد له طريق الفسق والغواية والفساد، وضمه إلي ساحة أهل المعرفة والخلاء، وفتح الطريق أمامه بحيث أصبح أبو نواس علماً بين المجان والعابثين. ليس من المهم دراسة تاريخ أبي نواس لانّ أخباره تعرضت لها كثير من الكتب خاصة الأغاني لأهميتها وشهرتها ، ولكن يهمنا التجديد في شعره من خلاله ديوانه وفنه، إذ يعدُّ بحق شخصية ذات منزلة رفيعة في النهوض بالشعر العربي إلي مستوي جديد من الحداثة المبتكرة المتأنقة السهلة تدرجه أنه بيزَّ أقرانه من الشعراء، إذا طلب إليهم في المجلس الواحد أن يعبروا عن موقف أو فكرة أو شعور، فكان أدقهم وأحكمهم وأسلسهم في التعبير، ولنثبت ذلك التفوق والتفرد، والتمكن والأقتدار، بالإضافة إلي الخيال البعيد والسرعة في البديهة، نذهب مع هذه الرواية التي تأخذ شكل المباراة الشعرية، ولكن لها قيمتها الفنية. يروى أن الرشيد دخل يوماً علي مقصورة جارية تسمي "الخيرزان" علي غفلة منها فوجدها تبترد بالماء ، فلمّا شعرت به سترت جسدها بشعرها ، بحيث لم ير منها شيئاً فأعجبه فعلها، وتركها وعاد إلي مجلسه ، ونادي

---

(١) نفسه ، ٢١.

(٢) ابن منظور: أبي نواس : ص ٢١.

(٣) نفسه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من بالباب من الشعراء وحكي لهم ما رأي، وطلب إلي كل منهم أن يصور ذلك الموقف شعراً يوافق ما في نفسه، فأنشأ بشار:

تحبَبَتكُمْ والقلب صار إليكُمْ بنفسي ذاك المنزل المُتجببُ

إلي أن يقول :

وقالوا تجنبنا ولا قربَ بيننا وكيف وأنتُم حاجتي أتجنبُ

علي أنهم أحلى من الشهد عندنا وأعذبُ من ماءٍ الحياة و أطيبُ

إلي أن جاء دور أبي نواس فقال:

نضت عنها القَمِيصَ لصبّ ماءٍ فورَّد خدها فرطُ الحياءِ

وقابلتِ الهواء وقدْ تعرَت بمُعْتدِلٍ أرقَّ من الهواءِ

ومدَّت راحةً كالماء منها إلي ماءٍ معدٍّ في إناءِ

فلما أنْ قضتْ وطراً وهمّت علي عجلٍ لتأخذُ بالرداءِ

رأتْ شخص الرقيب علي اقترابٍ فاسبلتْ الظلام علي الضياءِ

وغابَ الصُبحُ منها تحت ليلٍ فظلْ الماءُ يجري فوقَ ماءِ

فسبحان الإله وقد براها كأحسن ما تكونُ من النساءِ

فقال الرشيد علي الفور ، سيف ونطق يا غلام ، فارتاع أبو نواس ، وقال لم يا أمير المؤمنين؟ فأجابه : أكنت معنا؟ قال لا والله ولكن شيء خطر ببالي: فأمر له بأربعة آلاف درهم [1].

سقنا هذه الرواية لنأكد أن أبا نواس قفز قفزة جديدة بالشعر العربي في باب التجديد والحداثة التي تعني التمكن والاقتدار والسهولة ، والتأثير الفني المعتمد علي صدق الحس ورهافة الشعور وسهولة التعبير مع المقدرة الفنية.

لعل حب الحداثة والجدة ، بل المبالغة في الظهور بكل ما هو جديد مستحدث، والتنكر لكل ما هو شائع مستقر أو موروث قديم ، كانت تقف وراء ثورته علي الأطلال، يضاف إلي ذلك شغفة المبالغ فيه بالخمريات وجنوحه الشاذ إلي الغزل بالمذكر.

---

(١) عباس محمود العقاد: أبو نواس : ديوان ، دار الكتب بيروت ، ص٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التجديد عند أبي نواس يكمن بصورة واضحة في شعره في ثورته علي نظام القصيدة التقليدية ما يسمي " بالوقوف علي الأطلال" ثم مجونه في وصف الخمر وغزله الشاذ. وهذا ما نفصله لنبين التجديد في شعره .

ثورته علي الأطلال:

أن بناء القصيدة العربية ظل يفرض نفسه، كما استقرت تقاليده في العصر الجاهلي، وظلت هذه التقاليد سائدة طوال العصر الأموي، فلما كان العصر العباسي الأول وجاء دور أبي نواس علي مدرجة السلم العربي، وجدناه قد حمل لواء الثورة علي المقدمة الطللية للقصيدة العربية، ومعروف أن أبرز عناصر هذه المقدمة الوقوف علي الأطلال والحنين إلي المحبوبة، وبكاء الديار والزمن، ولكن أبا نواس رفض تقديس هذه الأمور والالتزام بها، بل سخر منها واستهجنها، ويعدّ أبو نواس صاحب اللواء في الثورة علي هذه المقدمة، رغم أن هناك محاولات سبقته، ولكن دوره كان الدور الرئيس و المعلم البارز في هذا الباب ، بحيث يمكن للدارس أن يتجاوز من عداه عند الكلام علي هذا الدور ، ولكنا نلمح في سرعة تلك المحاولات الأخرى ما دُمنا في سياق التجديد وتبيين طبيعة الدور العميق لأبي نواس في هذا المجال.

كان الكُميت بن زيد شديد الحب لآل البيت ، وقد نادي بترك الوقوف علي الأطلال ، ولكن دعوته آنذاك لم تكن دعوة فنية اجتماعية بل كانت مردها هواه السياسي الديني ، ولكن صوته في الساحة الفنية لم يلق استجابة ولم يترك آثراً.

ثم جاء أشجع السلمي ، ونادي بأنْ مسارح الشباب ، وضروب الملاهي وأنماط الحياة الجديدة أولي بأن تكون موضوع القول في المقدمات ، من ذلك قوله:

مالي وللرَّبعُ والرسومُ هنَّ طريقي إلي الهموم
للحْظ طرفٍ وغمزُ كفّ وخمرةٌ من نبات ريم
وريحُ ريحانهٍ بمسكٍ تدعو نديماً إلي نديم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحسن مِنْ خيمةٍ وربع تجرحه الريحُ والنســـيم [١].

نجد في طبقات ابن المعتز أبياتاً لأبي حيان الموسوي يدعو فيها إلي نكران الوقوف علي الأطلال وبكائها، بل يتجه إلي وصف الحياة مــن حولــه، وبخاصــة مناظر الطبيعة في " قُطْرَبلُّ" حيث يقول:

لا تبكِ هنداً ولا المواعيسا ولا لرَبْعٍ عمدِتُ مأنوســـــــا

وقَفْ بقطْـــــرُبلُّ ونُزْهتها وأحبس بها عنْ مسيرِكَ العِيسا

هكذا يدعو الشاعر إلي التأمل في جمال الطبيعة، والحياة مــن حولــه بصــفة عامة والتخلي عن ذكر هند والبكاء علي الريح والديار، فإذا جاء دور أبي نــواس فإنه يبدو في الساحة، وكأنما حمل الراية وحده لأن صاحب دعوة، وصاحب ثورة، وليس مجرد رأى لأن دعوته لعميقة عريضة موجعة ساخرة فها هو يســخر مــن التمسك بتقليد الوقوف علي الأطلال في قوله[٢]:

قل لمنْ يبكي علي رســم درسْ واقفاً ماضرَّ لــو كان جـــلسْ

أتـــــرك الرَّبْعَ وسلمي جانباً واصطبح كرخيـــة مثل القبس[٣]

نَبتُ دهـــرِ هُجرِت في دَنَّها ورَمت كـــــل قــذاة ودَنسْ

كـــرَم الجوفُ إذا ما ذاقهــا شَـــــاربٌ قُطَّب منها وعَبَسْ

هكذا يسخر ويدعو إلي الشراب ، وهو يكرر ذلك ويصرُ عليه بقوله[٤]:

أنس رســـم الديار ثُّم الطلولا واهجُرَ الرَّبــعَ دارساً ومحيلا[٥]

هــل رأيُتَ الديار رَدَت جوابا وأجـــــابت لذي سُوال سُؤلا

واشْـــربنها كأنَّها عينُ ديكٍ يَطـــــرُد الهَمَّ طعمها والغليلا

هي إذ ما تقلقلتْ في عرُوقي عجَّل الهمُّ عن فؤادي الرَّحيلا

---

(١) راجع الأوراق للصولي ، ص١١٢ ، أخبار الشعراء طبعة ، ١٩٣٤م.

(٢) الديوان ص ٣٠٥ ، ط١ ، دار الكتب بيروت.

(٣) الرضية: من أسماء الخمرة : القبس :الشعلة من النار.

(٤) الديوان ص ٤٢٢ ، دار الكتب ، بيروت.

(٥) المحيلا : الممحو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أنه يدعو في نماذج متكررة إلي نبذ حياة البدو بما فيها من عناء وتعب ومشقة وشظف، والإقبال علي حياة الحضر لما فيها من السهولة، والترف في العيش ، وهنا نجده يتأثر بحياة المدينة في ظل الحياة العباسية المترفة والمنعمة فيقول[١]:

دَع الأطلالَ تسفيها الجنوبُ وتبلي عَهَد حِدتها الخطوبُ

إلي أن يقول في ذلك النص:

دَع الألبان يشربها رجال رقيقُ العيش بينهمُ غريب
إذا راب الحليبُ أقبل عليه ولا تخرج فما ذاك حوبُ[٢].
فأطيبْ منه صافيةً شمول يُطوفُ بكأسها ساق أديبُ
يكاد من الدَّلال إذا تثني عليك مِنْ تساقُطِهِ يذوبُ
فهذا العيشُ لا خيمُ البوادي وهذا العيشُ لا اللبنُ الحليبُ

أبو نواس لديه الحدة والسخرية من الأطلال وأَصحابها حيث يقول [٣]:

عاجَ الشقيُّ علي دار يسائلها وعُجبت أسائل عن خمارةِ البلد[٤]
لا يرفئ إليه عينيْ مِنْ بكي ولا تشفي وَجْدَ من يَصْبو إلي وتَدِ[٥]
حجراً قالوا ذكرت ديار الحيْ من لا درَّ درَّك قل لي مَنْ بنو أسدِ
أسد ومَنْ تميمُ ومَنْ قيس ليس الأعاريبُ عندَ اللهِ من أحدِ
وإخوانُهُم دَعْ إذا عدِمتك واشربها مُعتقة صَفراءُ تَصنقُ بين الماء والزَّبدِ

ولأبي نواس قصيدة رائية تعتبر أكثر وضوحاً وإفصاحاً في حملته علي الأطلال وأهلها ، وفي إقباله علي الحياة الجديدة التي تستلزم التجديد في كل شيء بما في ذلك الأدب عامة والشعر بصفة خاصة، ويؤكد في قصيدته لو كان المحبون العرب القدامى أحياء في هذا الزمان لأحبوا حباً يواكب طبيعة العصر وتطوره وواقعه

---

(١) الديوان ،ص ٣٥ ، دار الكتب بيروت.

(٢) الحوب: الإثم

(٣)الديوان ،ص ١٤٩ ، دار الكتب بيروت.

(٤) الخمارة: حانوت الخمرة

(٥) لا يرقأ: لا يسكن: المراد بالحجر والوتر : الأطلال الدراسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مهما كان أليماً مسفاً، فلو كان المرقش حياً لما أحبَّ سميَّة محبوبتــه بــل أحــبَّ غلاماً، وهذا هو جديد إلي نواس . يقول في رائيته[١].

دعّ الرْســـــم الذي دثَـرَا ... يُقاسي الريحَ والمطـــراً
وكنْ رجلاً أضــاع العِلـــ ... ـمَ في اللذات والخَطـرَا
إنّك أيهــا الرجـــــــلِ ... ورَدْتْ فلم تجدَ صَـــدَرا
من عجبٍ لعشْــقِهُم الجُـــ ... فَاه الجلِف والصــحـــرا
فقيل مـــــرقش أودي أما ... ولم يَعْجز وقد قَـــــدَرا
والله لا أشـــــــــــراً ... حلفتُ بــه ولا بطـــــرا
لو أنَّ مـــــٌرقشا حـــيٌّ ... تعلّق قلبهُ ذكـــــــرا

هكذا هو أبو نواس يتحدث لنا عن واقع الحياة التي هي مــلاذه ويصــرح جهراً يترك التقاليد القديمة من وقوف علي الأطلال وذكــر الــديار ونبــذ الحيــاة القاسية الصعبة والإقبال علي حياة الحضر السهلة حياة العصر المتعسرة، ولكــن هذه الثورة التي أعلنها علي الطلال، كانت مسار جدل ووجهات نظر متباينة عنــد النقاد والدارسين نعرض لها بإيجاز وندلي رأينا في هذه القضية.

١/ يري الدكتور طه حسين أنَّ أبا نواس يدعو إلي مذهب جديد ، وهذه الجده التي يدعو إليها لم تكن أمراً طارئاً في حياته وحياة الناس، بل كانت هي الأمر الواقــع في التطور الاجتماعي والثقافي والأدبي ، ولكن الفرق يبقي في التنبه لهذا الجديــد وفي الاعتراف به والدعوة إليه[٢].

ثم يضيف الدكتور طه حسين إلي مقتضيات التجديد الفني والحضاري اللذَّين أغرم بهما أبو نواس، سياسياً حيث يقول: " علي أنّ المذهب الجديد علي حســنه واستقامته، وعلي أنَّ أبا نواس موفق فيه، لم يسلم من أشياء تمكننا من أنْ نفهم بُغض الناس له ونعيهم عليه، فهو ليس مذهباً شعرياً فحسب، وإنما هــو مــذهب سياسي أيضاً، يذم القديم. لا لأنه قديم بل لأنه قديم ولأنه عربي، ويمدح الحــديث

(١) الديوان ،ص ٢٨١ ، دار الكتب بيروت.
(٢) طه حسين: حديث الأبعاء، ٢/٩٤-٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا لأنه حديث بل لأنه حديث، ولأنه فارسي، فهو أذن مذهب تفضيل الفرس علي العرب مذهب الشعوبية المشهور"[١].

فالدكتور طه حسين يرى مذهب أبي نواس كان شعوبياً ، ولكنه غير ذلك في نظرنا، بل كان مذهباً فنياً أساسه حب الحضارة التي يحياها ويعيش أيامها ، وحب الصدق الفني والصدق النفسي.

فيما يتصل بالصدق الفني والنفسي يقول الدكتور طه حسين: " كان أبو نواس إذن حين يصف الخمر أو حين يتغزل يقصد إلي ما يقصد إليه الشعراء المجيدون من وصف الحسي والشعور، وتمثيل العاطفة تمثيلاً صحيحاً. كان أبو نواس يريد أن ينهج بالشعر منهجاً جديداً، لم ينتهجه المتقدمون، أو قل أنهم نهجوه ولكنهم لم يشعرون بذلك، ولم يتخذونه عقيدة أو مذهباً في الأدب، كان يريد أن يتخذ الشعر لساناً للحياة الحاضرة. وأن يعدّل أسلوب القدماء في وصف الأطلال والبكاء عليهما، وفي تغني الإبل والشاه، إلي وصف الحياة التي يحياها الشعراء والمستمعون لهم، إيثاراً للصدق وبعداً عن الكذب، بل كان أبو نواس إذن في هذا الشعر المخالف للأخلاق وأصول الفضيلة، محباً للأخلاق وأصول الفضيلة كان يؤثر الصدق وينكر الكذب..." [٢].

فالأصل عندنا في مذهب أبي نواس هو التجديد الذي أساسه الصدق الفني والنفسي ، والتعلق بتطور الحياة إلي حضارة جديدة شُقف منها أبو نواس بحياة اللهو واللذة والترف ، ولذلك يكون من الصعب عليه أن يتجه بهواه إلي تقاليد الحياة الجاهلية الجافة ، يعشقها ويتغني بها ويكون فيها صادقاً مع نفسه وحياته وفنه، ولذلك لا نتفق مع الدكتور طه حسين في فكرة الشعوبية عند أبي نواس بمعناها السياسي.

٢/ يرى الأستاذ عباس محمود العقاد: أنَّ مركب النقص كان يعتور أبا نواس بسبب إقتناعه بالطعن في نسبه، وأبو نواس تشبث بسبب هذا الإحساس بكنيته

---

(١) نفسه ٩٠/٢

(٢) طه حسين: حديث الأربعاء ٤٣/٢ ط١ ، دار المعارف القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فراراً من نسبه المدخول، وكانت العقدة تعمق في باطنه أكثر وأكثر نتيجة اهتمام العصر بالنسب[١].

نتيجة مركب النقص الذي لزمه من الطعن في نسبه ، وسط مجتمع شديد الاهتمام بالنسب ومراتب شرفه ، ووجاهته، كان إدمانه الخمر وهيامه بها وحفاوته بمجتمعها " فهو يشرب الخمر لأنها شراب الملوك ، أو الشراب العريق الذي عاش مع أجداده الأكاسرة ، والقياصرة... وهو يستريح إلي شربها حيث لا فخار بالآباء و الأجداد ، وبين القدامى الذين يهابونه ويتذللون بين يديه.... وجنونه المتسلط أن يفتتح كل خمرية ، أو يتخللها بالنعي علي الطلول والرسوم ، ومَنْ يذكر الطلول والرسوم... والهدف من ذلك النعي علي الرسوم والطلول إنّما هو الإزراء بأهلها وبعيشهم وفخارهم الذي عزَّ عليه أن يجاريهم فيه ، والإشارة بالخمر التي لا يدرك الكفاءة لها كل شارب ولا يسمو الشاربون لها إلي مثل شمائل أبي نواس ، لا جرم تصبح المنادمة قرابة تغني عن قرابة النسب بين أناس لا يتفاخرون ولا يتعاطون.

يتضح من كلام العقاد إنّ جانباً من جوانب أعراض أبي نواس النفسية كانت تربطه بالخمر ، وكانت تحرِّضه في الوقت نفسه علي ذم الطلول والسخرية منها ومن أصحابها.

لكن هجوم أبي نواس علي الأطلال وأصحابها أتخذ في بعض أبعاده بعداً سياسياً لدى معاصريه ، يقول العقاد: " ولم يخف علي أحد من أبناء عصره ما كان يعنيه بالاتجاه علي الأطلال، وباللجاجة في هذه الأنحاء ، ولم يكن هو يخفي مقصده منه وهو يتبعه بالأنحاء علي الأعراب من كل قبيل ، ويقابل بيت الخيام وإيوان كسرى، وبين الزروب والميادين ، فلهذا نهاه الخليفة عن الاستمرار في هذه اللجاجة، وأمره بوصف الأطلال فقال[٢]:

دعاني إلي وصف الأطلال مُسلط[٣] لقد ضقت ذرعاً أن أجوز له أمرا[١]

---

(١) عباس محمود العقاد: أبو نواس ، ص ١٤١-١٤٢.

٢) أبو نواس – الديوان ص ٢٠٢.

٣) المسلّط : السلطان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فليس اللهج بالنعي على الطلول دعوة إلى التجديد كما يتراءى من النظرة السطحية إلي ظاهر العبارة، ولم يأمره الخليفة بالكف عنه لأنه تجديد ينكره، ولكنه فهمه علي معناه الذي لا يفهم سواه من هذا التهوين بتحقير الأطلال وأهل الأطلال وخشي من مغبته بين القبائل المتحفزة في تلك الآونة، فنهاه نهيا عن هجاء سياسي لا تحمد عقباه. وبعد فهل كان أبو نواس ليتجنب بكاء الأطلال إيثاراً للتجديد أو إيثاراً لمذهب كائناً ما كان من المذاهب الفنية؟. كلا فإنّه لم يدع إلي تجنبها إلا ليستطرد من ذلك إلي النعى علي أهلها ومفاخر أنسابها ، و إلا فمطالعه في بكاء الأطلال تزيد عن مطالع الشعراء من معاصريه أو المتقدمين عليه"[٢].

وفي رده يري الباحث أن أبا نواس صاحب مذهب فني واتجاه تجديدي حضاري قوامه الصدق الفني النفسي. أما كلام العقاد في قوله بأنْ في عصره ولا سيما الخلفاء قد فهموا موقفه من السخرية بالأطلال وإهمالها فهماً سياسياً ، قوله حق، لأن هذا الفهم السياسي حق العصر الذي عاش فيه أبو نواس ، خاصة وأنّ العباسيين كانوا يعتمدون علي العنصر الفارسي في تدبير شؤون الدولة وكانوا يحرصون بشدة علي احترام كل ما هو عربي، والدفاع عنه، حتى لا يتهموا عند شعبهم العربي من وراء تنكرهم للعروبة في إسلامهم، ولذلك كانوا يؤكدون عروبة التقاليد، وهذا التفسير السياسي من الخلفاء والنقاد، حماة التراث وسدنة اللغة والتقاليد هو التفسير الفني الصحيح الذي نقبله بعيداً عن عصرهم، وتفسير أهل العصر هو التفسير المناسب لظروفهم الاجتماعية والسياسية.

مذهب العقاد في التفسير النفسي اتجه إلي الكشف عن العقد النفسية المتصلة بمرض النرجسية عند أبي نواس ، وفي حدود الكشف عن العقد المختلفة التي أورثته الرغبة في المخالفة لما هو شائع ومستقر ، والتي شكلت أنماطاً شتى في سلوكه وتفكيره منها إدمانه الخمر ولاحتقاره الأنساب أو تذويبه لقيمتها رغبة في التعلق بقيم أخرى ، ولكن الشخص يقاس بخصائصه وخلائقة وأنماطه وسلوكه ، ويخضع لأي تفسير من التفسيرات ، والمهم أنه مقتنع بنمط سلوكه وتغيره وأنَّه

---

[١]) أجوز : أخالق

(٢) عباس محمود العقاد: أبو نواس ، ص ١٤٢-١٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صادق مع نفسه رغم إخفاء دوافعه ومكنونات عقده، ومنابع اعتقاده وتفكيره، وهذا ما نراه، وفي تفسير الظاهرة الفنية لدى أبي نواس فهي سياسة عند أهل عصر أبي نواس، وعند العقاد، أي: هي شعوبية في أخر الأمر، وليست كذلك في نظرنا، لأن تفسير أهل العصر هو التفسير النفسي لموقف أبي نواس، وهو في نظري موقف فني واضح يمثل الاستجابة الصحيحة لصدق نفسه مع واقعه الاجتماعي وواقعه الفكري والسلوكي وموهبته الفنية ذات الطاقة التعبيرية الغادرة علي تصوير كلما تحسه وتلذه وتحياه.

أبو نواس نفسه يؤكد أنّ مذهبه فني، وأنه اتجه إلي حضارة عصره ومجتمعه، وأنّه لم يكن يهدف إلي إثارة الصدق في الفن.

من ذلك قوله[1].

صفةُ الطَّلول بلاغةُ القِدْم ... فأجعل صفاتِك لابنه الكَرمِ

لا تُخدَعنَّ عن التي جعلتْ ... سُقمَ الصحيحِ وصَّحه السُقْمِ

فَعلامَ تذهلُ عن مُشَعشَعةَ ... وتهيمُ في طلل وفي رَسْمِ

تصفُ الطلولَ علي السَّماع ... أفذو العيان كانت في العِلْمْ بها

أساس الدعوة عنده ترجع إلي ضرورة الصدق مع النفس ومع الفنّ وتتصل اتصالاً قوياً بموقفه مع رفض المجتمع والثورة عليه، الذي يتمثل أقوي ما يتمثل في تنكره للعُرف والتقاليد الاجتماعية، إذ يجد متعة ولذة في المخالفات للعرف والتقاليد. وهذه الفكرة تقف وراء شذوذه في الغزل بالمذكر ووراء اسرافه في اللهو والمجون، وهكذا تتنوع الأسباب في شخصية أبي نواس، لكنها تفرز في النهاية ظواهر سلوكية وفكرية وفنية تتسق تمام الاتساق مع شخصيته.

لأهمية تلك الظاهرة حرصنا علي تناولها في بحثنا عن التجديد في شعر أبي نواس لأنها تعدُّ واحدة من الظواهر البارزة عن التجديد في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، حيث إنّ الشاعر حاول تغيير نمط القصيدة الجاهلية في

---

(١) ديوانه: ص ٤٥٩ ط دار الكتب العلمية بيروت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

افتتاحيتها، وما كان معهوداً عند الشعراء القدامى، ثم تعرضنا إلي آراء بعض النقاد حول ثورته علي الأطلال لنضيف بعداً جديداً للقضية ثم وضحنا ما نراه.

لعلَّ الشاعر يظهر تجديده فيما ذكرنا من ثورته علي الأطلال ونظام القصيدة القديم، ثم خمرياته، وغزله الشاذ بالمذكر.

شعر الخمر والمجون:

بعدّ أبو نواس زعيم المجددين لهذا الفن عند كثير من النقاد، رغم أنّ وصف الخمر قد تناولها الجاهليون قبله ، ولكنهم لم يكونوا يمضون في هذا الوصف إمعانهم في وصف الخيل والإبل لأنهم لم يكونوا من النعمة ولين العيش، بحيث يستطيعون أن يعكفوا عليها(١).

لما جاء العصر الأموي ضعف سلطان الدين بعد عصر الراشدين، حيث الفرق الولاة إلي السياسة؛ ومشاكلها وأعبائها، وحيث جنحت الحياة الأموية إلي ضروب من اللهو وألوان من اللذة لا سيما في الحجاز والكوفة، وظهر كثير من المجَّان وأصحاب اللهو، ثم يرتقي المجتمع في الكوفة خطوة في سُلم اللهو تكثر جماعات المجَّان وأصحاب السوء، ويرتفع نقاب الحياة تماماً عن وجه المجتمع، وتتحول الأنغام الهادئة إلي أنغام صارخة صاخبة، يصبح الشاطئ الكوفي مسرحاً صاخباً لا يسمع فيه العزف المنفرد الذي كان يسمع من قبل، وإنّما تروي فيه مجموعات ضخمة تعزف بآلات موسيقية مختلفة، وهذا اللهو والمجون يكون بين الشاطئين: الأموي والعباسي، حيث أخذت جماعات المُجَّان تمرفوقه مخلفة ورائها الفضيلة التي صُرعت علي مذبح اللهو والمجون والخلاعة، لتستقبل علي الشاطئ الأخر الرزيلة، وقد جردت من ثيابها جميعاً، وبسطة ذراعيها لتضم إلي أحضانها هؤلاء الوافدين من طلابها(٢). وتبلغ النظرية مداها ويتساقط شباب الكوفة في حمأتها المظلمة، وكلما اشتدت ظلمة الهاوية زاد عدد المتخبطين فيها ، وفي

---

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة.

(٢) الأغاني ٧٥/١٢ ساسي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعماقها السحيقة مضت جماعات من الشعراء تضرب علي غير هدى ، وقد ألــفَّ اللهو بينهم وربط المجون بين أسبابهم ، كلهم فاسق، وكلهم خليع ماض ، وكلهــم سكير متهم ، في دينه منهم ، مطيع بن إياس[١]. ، و حمــاد غجــرد ، و حمــاد الراوية، و حماد الزيرقان[٢].ويحي بن زياد [٣].وآدم بن عبد العزيز[٤]. ووالية ابن الحياب ، أستاذ أبي نواس في الخمر.

الشيء الذي لا شك فيه أنّ هذا الأدب المكشوف لم يظهر من قبل في الشعر العربي بهذه الصورة ، وإنّما يدين بظهوره لهذه الطائفة من الشعراء المذكورين ، وغيرهم أكثر ، فهم أصحاب المدرسة الأولي في فنّ الخمر ووصف شرابها وكل ما يتعلق بها وأبو نواس يعد زعيم الخمريات، حيث جعلها فنّاً مســتقلاً وتفــنن فــي تضيف معانيها ، وجنَّ في الهيام بها ، وجعلها راية التجديد في شعره عندما رفــع المعول لهدم القديم في بناء القصيدة ، وهي معينة إلي كل لهوه وعبثه ومجونه ، وهي ميدان إبداعه المحدث جدة صياغة ووفرة معان ، وكل ذلك نجده في ديوانه الذي يحمل اسمه، وهو ملئ بالحديث عن الخمر وصنعها ووصف كأسها ومجالس شرابها ، وتجديده يكمن في الصياغة الجديدة والمعاني المنتقاه بما يلائــم شــرب الخمر ، ومجلسها ، ووصفها وصفاً دقيقاً هي وكأسها ومن يقدمها ، ولنستمع إليه يقول:

يا غلامَ المدامَ والكــأس والطا سي وهيئ لنا مكـــاناً كأمسِ
واســقنا يا غــلامُ حتى ترانا لان نطيقُ الكـــلام إلا بهمسِ
خمـــرةَ قيل أنَّها عَصرُوها مِنْ خُدُودِ الملاح في يومَ عُرسِ

فأبو نواس كان محباً للخمر متيماً بها وقد صارت الخمر حياته وكــل همــه ، وهو أيضاً رفع من شأنها بتقديسها وهو الذي يقول[٥]:

يا خليليَّ قد خـــلعتُ عذاري وبدا ما أُكنَّ من أسراري

---

(١)الأغاني ٧٠/١٣ ساسي
(٢)الأغاني ٧٧/١٢ ساسي
(٣)الأغاني ٥٨/١٤ ساسي
(٤) الأغاني ١٤٢/١٦ ساسي
(٥) الديوان ص ٢٢٢ دار الكتب الطيبة ، بيروت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأشربا الخمر وأسقياني سُلافاً عُتِقتْ بين نرجسي وبهارِ
لبِثت في دنانها ألف شـــهرٍ لم تفحَّصْ ولم تعذَّب بنار

قد أبدع أبو نواس في وصف الخمر ووصف كأسها ومـــن يشـــربها ويقـــدمها ويصف مجالس شرابها ، وكل ذلك في دقة فائقة وسهولة متناهية ، وكان يختـــار الألفاظ التي تؤدي المعني تماماً وتتناسق مع صوره وخياله. وكان يصف الخمـــر بدقة سواء كانت في الحانات أو في الحدائق كما كان يصفها من قبلـــه ، ووصـــفه الدقيق لهذا الفنَّ يعتبر جديداً من عدة جوانب منها الصـــورة والخيـــال ، اســـمعه يقول[١]:

يا ليلةٌ طـــــاب لي بها الأرقُ حتى بَدَا من صَبَاحِها الفَلَقُ
نسقي سُلافاً من نبت دسكرة ما شابها في دنانها الرَّنقُ[٢].
أختارها في القطافِ ســـائمها حُمراً وسُوداً كأنها الحُـــدقُ
نازعَـــــها سَاحةٌ غطارفةٌ كأنهم من شقيقة شُـــــققوا[٣].
يَســـــقَون من قهوةٍ مُعتَّقةٍ لها دبيبٌ في المخّ يســـــتبقُ
جـــاء بها كالخَلوق في قَدَح تزهر في جـــــوفه فتأتلِقُ[٤].
كـــــأنّ ابريقَنا إذا صُفِقَت في الكأس شيخٌ مزُمزِم شرقُ
كأنها والمـــــزاجُ يترعُها شِهَابُ نار في الجـــوَّ يَحْرِقُ
كأنها حُـــــفَّ من قَراقرها لطوقها جْـــــلدُ حيَّةٍ يقَفُ[٥].
في مجلس ليس فيه فاحشةٌ إلاّ ، حديثٌ ومنطِـــــقٌ أنِقُ

وقد تأثر أبو نواس بشعراء الخمر الذين سبقوه وخاصة الوليد ابـــن يزيـــد الذي كان له أكبر الأثر في أبي نواس، وتأثر بالحسين بن الضـــحاك فـــي لهـــوه ومجونه ، وعكاشة [٦]. العمي شاعر الخمر الذي سبق أبـــا نـــواس وعاصـــره ،

---

(١) الديوان ، ص ٣٦٨ دار الكتب الطيبة ، بيروت
(٢) الدسكرة: فارسية ، تعني بيوت اللهو والشراب.
(٣) الغطاوقة: الواحد غطريف وهو الشاب الظريف ؛ الشقيقة : شقائق النعمان
(٤) الخلوق: نوع من الطيب ، تزهر م تزهو وتضيء.
(٥) القراقر: صوت الفقاقيع ، اليقف : الأبيض.
(٦) الأغاني ج٣، ص ١٦-١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنشأة هو منشأ أبي نواس في البصرة ، وبنو العم المنسوب إليهم عكاشة من تميمْ ، وطريقته هي طريقة أبي نواس ، وكان يعمق الخمر أيام المهدي. وطريقة عكاشة هي طريقة أبي نواس في الخمر.

وأبو نواس يقسمها إلي عدة عناصر هي: تحية المجلس، وذكر الندامي ووصف مكانة الشراب، ووصف الخمر وفعلها، ولوعتها قبل المزاج وبعده، ثم وصف الساقي، والغناء في المجالس والمغنية، وواقع ذلك في نفوس الشرب وهذه الصورة تدل علي التجديد الذي أدخله أبو نواس في الخمر ، حيث الدقة في الوصف ومزج ذلك بالخيال البعيد ولتبيين ذلك اسمع إليه يقول[١]:

ذكَرَ الصَبُوحَ بسُحْـــره فارتاحا ... وأملَّهُ ديكُ الصَّباح صَـــياحا[٢]

أوفي علي شقفِ الجدار بسُـدْقةٍ ... غرداً ، يُصَفّقَ بالجناحِ جناحا

بادِر صَباحكَ بالصَّبوح ، ولا تكن ... كمسوَّفين غدْوا عليك شِحاحا[٣]

إنَّ الصـــــَبوحَ جلاء كلْ مُخمَّرٍ ... بَدَرت يداه بكأسه الإصـباحا

وخدَّين لذَّاتٍ ، مُعلَّل صـــــاحبٍ ... يقتاتُ منْه فُكـــاهة ومُزاحا

نبَّهــته والليلُ مُـــــــــلتبسٌ به ... وأزحــت عنه حُثاثَهُ فانزاحا[٤]

قال: أبغني المصباحُ، قلت له: أتئدْ ... حسبي وحسبك صوؤها مصباحا

فسكبتُ منـــها في الزُجاجةِ شَرْبةً ... كانت له حتى الصَّباحِ صَبّاحا

مـــنْ قهوةٍ جاءتك قبلَ مِزاجــها ... عَطلاً فألبَسِها المزاجُ وِشاحا

شـــــكَّ البزال فؤادها فكـــأنّما ... أهَدت إليك بريحـــــها تقُاحا

صَفراءُ تفترِسُ النفوسَ فلا ترى ... منها بهنَّ سوى الســنان جراحا

عَمـــــرت يكاتمِكَ الزَّمانُ حَديثُها ... حتى إذا بلغ الســـــامة باحا

فأباح من أســـــرارها مَسْتودعاَ ... لولا المـــــلالةُ لم يكن ليُباحا

فأتتك في صُـــورٍ تداخلها البلي ... فأزالهنَّ وأثْبتَ الأرواحـــــا

---

(١) الديوان: ص ١٢٣.

٢) الصبوح : الخمر.

٣) المسوفون : المطوفون.

٤) الحثاث : بقية النوم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكـــأنها ، والكأس ساطعةُ بها صُبحٌ تقاربَ أمرُه، فأنصـــاحا

فمعاني أبي نواس في هذه القصيدة نفس المعاني عند الشعراء الذين سبقوه ولو أمعنا النظر في القصيدة نحو الروعة في كل شيء، في النغم المنساب عذوبه جمالاً، والألفاظ التي تلائم تماماً المعاني المطلوبة ثم نلحظ الصور الرائعة للـــديك وهو يصيح طرباً مصفقاً بجناحيه ويستقبل الصباح وما اجمل التكرار فـــي قولـــه (يصفق بالجناح جناحا) والخيال الرائع في استخدامه اللون البياني (الديك يصفق). ثم نلاحظ الصورة الأثرة ذات الشفافية للشراب في كأسه وأروع من ذلـــك طريقـــة التصوير حيث يقول:

قال أبغني المصـــباحُ، قلت له: أتئذنْا حسبي وحسبك صوؤها مصباحا
فسكبتُ منـــها في الزُجاجةِ شَرْبـــــةً كانت له حتى الصَّباحِ صَبّاحا

للصورة عند أبي نواس من أوضح ملامح التجويد في شعره ، حيث يركـــز عليها دائماً ويكثر من الصور المتتابعة في البيت الواحد أو في الأبيات المتلاحقة، ومع ذلك فأنت قريب من الطبع بعيد عن الصنعة شأنه شأن الصانع الحاذق[١].

أسمعه يقول[٢]:

بين المُـــــــــدامِ، وبين الماء شحناءُ تَنْقدَّ غيظا ، إذا ما مســـــــها الماءُ
حـــتى تُري في حوافي الكأس أعيُنُها بيضـــاءُ وليسَ بها من علة داءُ
كأنها حـــــــيث تمطُو، في أعنتها مِنْ اللطـــافةِ في الأوهام عنقاءُ
تبني ســـــــماءً علي أرض مُعلقةٍ كأنها عَـــلقَ والأرضُ بيضاءُ
نجُـــــــومُها يققٌ في صَحبتها علقٌ يُقلَّها مِنْ نجـــوم الكأس أهواءُ
جلَّت علي الوصـــف، حتى ما يطالبُها وهمٌ فتخلفها في الوصف أسماءُ
تقسمتها ظنونٌ الفكـــــر، إذ خفيت كما تقســـــمِت الأديانُ آراءُ
من كفَّ ذي غنج حُلوٌ شمـــــائلهُ كـــأنه عند رأي العين غذْرَاءُ
له بكيتُ كما يبكي النوىُ رَجـــــلٌ علي المعـــالمِ والأطلال بكاءُ

كذلك قوله في صورة الرائم للخمر[١]:

---

(١) نجيب البهبتي : تريخ الشعر العربي ، ص ٤٣٦.

(٢) الديوان: ص ١٧ دار الكتب العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كـــــأنها دمعة في عين غانيه مَرهَاء رَقْرَقها ذكرُ المُصيباتِ[٢]

تنزُو إذا مسها قرُع المزاج كما تنزو الجنادبُ اوقاتُ الظهيراتِ[٣]

وتكتـــسي لؤلؤات من تعطفها عند المـــــزاجِ شَبيهاتٍ بـــواواتِ

ويتسم شعر أبي نواس بالوضوح خاصة في وصف الخمر، وذلك ركن هـــام في تصويرها وأن الأضواء تلتقي وتفترق ، وتشق ، وترق، وترق رقيـــق الزهـــر وتلطف لطف النور، وقد تتعدد الألوان حتى تجمد دراً وذهباً وبلـــوراً وهـــذا نمـــط جديد في شعر الخمرة عنده أنظر قولة:

صفراء تحكي التبرُ في حافاتها عُقَدُ الحَـــــباب كلؤلؤ مُتبدد[٤]

لما أخذنا بهـــا صهباء صافيةَ كأنها البدرُ وسْط الكأس تتقدُ[٥]

وقوله:

الخمرُ تفاحُ جري ذائبـــــاً كذلك التُفاحُ خمرٌ جَمَّده

فأشرب علي جامد ذا ذؤب ذا ولا تدع لِذةً يوم لِغدْ[٦]

وقوله:

وكأنَّ أفداح الزجاج، إذا جَـــرت وسْطَ الظلام كَواكبُ الجوزاء[٧]

يسعي بها من وُلْدِ يافثَ أحْـــورٌ كقضيب بأن فوق دَعْصِ نقاءِ

رَقت علي الماء حتى ما يُلائمها لطافةً وجفاء عن شكلها الماء

فلو مُزِجتٌ بها نوراً لمازجـــها حتى تولدَّ أنوارٌ وأضـــــواءُ

ويظهر في شعر الخمر عند أبي نواس تجريد المادة واستقلال الفلسفة ، حيث نلحظ في شعره بعض الأبيات التي يحول فيما الشاعر الثمر إلي كـــائن مـــن نـــور وشعاع قد تجرد من مادته ، وفي هذه الأبيات يستقل إدراكه بعلـــم الفلســـفة ومـــا

---

(١) الديون : ص ١٠٠.

(٢) المرهاء: العين التي ليس بها كحل

(٣) اللؤلؤات: الفقاقيع علي سطح الخمرة ، تشبه الواوات في شكلها واستدراتها.

(٤) الديوان: ١٥٦

(٥) نفسه ، ١٥٣

(٦) نفسه: ص١٥٥

(٧) نفسه: ص٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتهي إليه العلم والفلسفة في عصره من إدراك تجرد المادة ، وانتمائها إلـــي مـــا يشبه العدم ، وهذه طريقة جديدة وأسلوب جديد في نظم الشعر وخاصـــة وصـــف الخمر. يقول[١]:

تخيَّرتُ والنجـــومُ وقـــفٌ لم يتمكنَ بمـــــا المُـــدارُ
فـــــلم تَزلَ تأكُلُ الليالـــي جُثمانها مـــــا بها انتصارُ
حتى إذا ما ماتَ كـــلَّ ذامٍ وخُلِّصَ الســـــــرَّ والنجارُ
عادت إلي جوهر لطيـــف عِيانُ مَوْجودهِ ضُـــــــمِارُ
كأنّ في كأســـها سرابـــاً تخـــيلهُ المّهْمهُ القفـــــــارُ
لا ينزلُ الليل حيثُ حلَّت فـــــليلُ شُرابهـــا نهـــــارُ

تأمل كيف استطاع الشاعر أن يحول الفلسفة: إلي شعر رائع فـــائق بقـــدره متناهية ، وأنظر إلي أي مدى أستقل أبو نواس نظرية التحول بالقدم كما لنا القول بأن أبا نواس في وصفه للخمر يعتبر رائداً ومجدداً في هـــذا الميـــدان للشـــعر ، ونواحي التجديد في شعره واضحة ، فـــي اللفـــظ والصـــورة وولوعـــة بـــالألوان واستقلاله للفلسفة والعلم وتحويلها إلي شعر وهذا ما يهمنا كثيراً في هذا المبحث. ثم نتناول جانباً آخر من جوانب التجديد عنده في غزله بقسميه الشاذ والضعيف[٢].

الغزل عنده:

اشتهر أبو نواس بنوعين من الغزل: الغزل الأنثوي الذي يتوجه فيه بالقول والنجوى إلي محبوبة كما هو معروف في الطبائع والغرئز ، وغزل آخر شاذ هـــو الغزل بالمذكر ، وأبو نواس من ارق الشعراء في الغزل وأقدرهم عليه، وأكثـــرهم تفننا فيه ، أضف إلي ذلك، إنه خليع ماجن ، ولذلك يؤخل فيـــه افتنـــان الخلاعـــة واللهو ما يجعله أكثر تأثيراً وقرباً من الطبائع والغرائز ، ولعلّ من أروع وأبدع ما

---

(١) الديوان: ص ٢٠٥ دار الكتب.

(٢) الديوان: ص ٢٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قاله في شغفة بالمحبوبة وإقباله عليها في خيال مهذب بعيد الإسفاق بتلقائية تامة قوله[١]:

أتاني عنكِ سَبُّك لي فسبي ... أليس جري بفيك اسمي فحسبي
وقــولي ما بدأ لك أن تقولي ... فمـــــــــــاذا كله إلا لحُبي
قُصاراك الرجوعُ إلي وصالٍ ... فما ترجين مـــــن تعذيب قلبي
تشابهت الظنون عليك عندي ... وعلمُ الغيب فيها عـــــند رِبي

ويسرف كثيراً في وصف الجمال الجسدي ، وهو حيث يبعد عن الإثارة يستطيع أن يبدع صوراً شتى من المحاسن الجسدية التي تدل علي إسرافه علي نفسه فـــي تتبع المرأة والإعجاب بها من ذلك قوله[٢]:

وعاري النفس من حلل العيوب ... غدا في ثـــوب فتَّان ربيبِ
براه الله حين برى هِلالاً ... وخفَّض عنه مُتقطع القضيبِ
فيهتزّ الهـــلالُ علي قضيبٍ ... ويهتزُ القضيبُ عـــلي كثيبِ

الذي يلفتي حقاً تلك المعاني المختارة بدقة وإناقة تامة ثم الألفاظ الموصـية مع الدقة في الوصف كل ذلك يصيب في قلب شعري رائـع جميـل مـع إنسـياب موسيقي بحر الوافر المنسابة إلفاً عزوبة وسهولة، ومن روائع غزله ، قوله[٣]:

ياقضـــــــيباً في كثيـــب ... ثمَّ في حُســـــنٍ وطيبِ
يا قـــــريب الدارِ ما وصـــ ... ـــلُـــــــكَ مني بِقريبِ
يا حبيبي بـــــأبي أنـــــ ... ـــسيتني كـــــلَّ حبيبِ
لِشـــــقائي صاغك اللـــ***ـه حبيباً للقـــــلوبِ

ويسترسل في استخدام البحور القصيرة ذات الموسيقي العذبـة والـنغم الشـجى والمعاني المتأنقة مع خفة الألفاظ ، وسرعتها ، اسمع قوله: من بحـر المغتضـب[٤]:

---

(١) الديوان: ص ١٢٣
(٢) ديوانه: دار الكتب العلمية بيروت، ص ٥٥
(٣) ديوانه: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص٥٥
(٤) نفسه ص ٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حـــــــاملُ الهوى تعبُ يســـــــــتخفهُ الطرَبُ
إنْ بكـــــــــي يحقُ له ليس مـــــــا به لِعبُ
تضحـــــــــكين لأهيةً والمحـــــــــبّ ينتجبُ
تعجبينَ مِنْ سَـــــقمي صَـــحَتي هي العجب
كُـــــلُّما انقضي سببٌ منك عـــــادَلي ســنبُ

فالتجديد في غزله يكمن في ابتكاره للمعاني وتوليده لها مع شفافيته ، ثـم قدرته من الاقتراب من المعني الواحد والموقف الواحد، ومن ثم فغزله يتسم بالرَّقة والموسيقي العذبة، ويلذَّ القارئ ترديده والاستماع إليـه ، وسـاعد علـي رقتـه استخدامه للبحور القصيرة في الشعر كما في النموذج أعلاه ، مستخدماً مجـزوء الرمل والوافر قبله ثم المقتضب لتلائم الموسيقي والمعني وتمثل قمـة الإبـداع ، وفي شعر الغزل عنده لا تجد قلبي المحب الذي هزه الشوق ويراه الوجد، ولكنـك تجد قلباً أترع بالتروة وحببت إليه الشهوات فهو جليس شذاذ منحدرين غارقين في الإباحة والقي. فهو يحب كل جميلة، ويعشق كلَّ مليحة ويتوق إلي معني الأنوثـة أينما كانت.

وأبو نواس بارع في الغزل الشاذ الذي يعرف باسم " الغزل بالمذكر" نفـس البراعة في الغزل المؤنث وهو بذلك يمثل قمة الفسق والمجون، أما من الناحيـة الفنية في الشعر فهو من الموضوعات الجديدة التي برع فيها أبو نـواس. وفـي ديوانه نماذج كثيرة تدل علي إسرافه في توليد المعاني المتصلة بهذا الموضـوع، وتدل علي فرط هواه الذي يبدو لكثير من الدارسين كأنما يدفع عن نفسـه عـاراً لحق به ولا يجد وسيلة سوى أن يشيع روح هذا التحليل حتى تبدو هذا المـرض المختلط سمة عامة تغمر أفراداً متعددين في المجتمع، وبذا يصبح صـاحب هـذه الآفة أنساناً متساوياً مع الآخرين في وجهة هذه التهمة ، إذ التهم الأخلاقية تعظـم حيث تسود الفضيلة وتشيع الرزيلة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ديوانه نماذج كثيرة لهذا النوع من الغزل الشاذ يصف فيها المـذكر أو الغلمان أوصافاً تعكس عن شذوذه ورغبته في مداعباتهم والشهوة إليهم ، ويصوغ ذلك باسلوب فني دقيق يقول[١]:

قال الوشاةُ بَدت في الخدَّ لحيتهُ ... فقـــــلتُ لأتكثروا ماذاك عائبهُ
الحُسنُ منه علي ما كنتَ أعمدهُ ... والشِّعرُ جـــــرزُله فمن يطالبهُ
أبْهي وأكثـر ما كانت محاسنهُ ... إنْ زال عارضُه وأخضرْ شـــاربهُ
وصار من كان يلحي في مودته ... إن سيل عنّي وعنه قال: صاحبـهُ

وقوله أيضاً[٢]:

ما أســـتكمل اللذات إلا فتي ... يشربُ والمـــــــرُدُ نداماه
هذا يقـــــــويه، وهذا إذا ... ناوله القهوة حـــــــياه
وكلما أشـــــتاق إلي قُبلة ... من واحد مـــــا كان أحلاه
نَشْربها صـــرفاً ولم نقترعْ، ... وشـــــــرطُنا منْ نام نِلْناه

وقوله يصف غلاماً:

لم ينسني السعي والطواف ولا الـــ ... ـداعون لما ابتهـــلن وابتهلوا[٣]
قضـــــــيبُ بانٍ أن قام ينخزلُ ... وأن تـــــــولي فكلُه كَفلُ[٤]
ميسان منْ حـــــيث ما عطفت له ... حياك وَجْهُهُ بحُسْـــــنُهُ المثلُ[٥]
تخالُ خديهِ لإحمـــــــرارهما ... يُفتحُ الـــــــوَرْدُ فيهما الخَجلُ
يراهُ كسْـــــــلانَ مِنْ تساقُطهُ ... وما به غيرُ نعمةٍ كسَـــــــلُ
يجـــــلَّ أنْ تُلحِقَ الصفات بـــه ... فكلَّ حُسْنٍ لحســـــــنه خَوَلُ[٦]

وهذا النوع من الغزل الشاذ انتشر في العصر العباسي علي يد مجموعة من المجان المنحرفين من العرب والأجانب علي السواء ، كانوا يجتمعون ولا يفترقون

---

(١) الديوان: ص ٥٩.
(٢)نفسه ، ص٤٣٥
(٣) السعي والطواف: من أركان الحج.
(٤) ينخزل يمشي في تثاقل
(٥) الميسان: المايل، عطف له : أرتد إليه
(٦) الخَوَل: العبيد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأهمّ لهم إلا الشراب والعبث بالغلمان ، والتغزل الفاضح بهم في صراحة بغيضة وإباحية صرفه ، وقد صوروا رغباتهم الشاذة الدنيئة المنحرفة، ثم وصفوا الغلمان أدق الوصف في أجسامهم وبالذات الأجزاء التي تعجبهم وترضي رغبتهم المنحرفة ، ثم تغزلوا فيهم وتحدثوا عن إعجابهم بهم واستمائهم لهم كما كانوا يتغزلون بالغلمان ، ولقد هيأت لهم الظروف مثل هذه البيئة الصالحة لهذه الخلاعة وأن يقوموا بهذا الدور الشاذ في الحياة.

أما أبو نواس في مدحه فقد أجاد إجادة بالغة برغم تنكره عن تقاليد القصيدة العربية، وثورته عليها، فإنه في المدح سار علي نفس النهج التقليدي محافظاً عليه اسمعه يقول في مدح الرشيد قصيدة مطلعها[1]:

حيّ الديارَ إذ الزمانُ زمانُ ... وإذ الشباكُ لنا خوّى ومعانُ[2]

يا حبذا صَفَوانُ مِنْ مُتَرَبَّعٍ ... ولِربُما جمعَ الهَوَى سَفَوانُ[3]

وإذا مَرَرْتَ علي الديارِ مُسَلَّحاً ... فلغيرِ دارِ أميمة الهِجْرانُ

إنَّا نسَبْنا والمناسِبُ ظِنّةٌ ... حتى رُمَيتِ بنا ، وأنتَ حَصَانُ

لكن في مدحه للأمين يتخذ ديابة غناء في شعره يخرج من ترانيمه حباً لممدوحه ، وإبداعاً في تقاسيم فنّه ذي السِّمات التجديدية المتمثلة في المعاني والأخيلة والنسيج الفني من جهة أخرى ، ونلحظ ملامح التجديد واضحة في المعاني والأخيلة: في قصيدة يمدح فيها الأمين يقول[4]:

يا دارُ ما فعلت بك الأيام ... ضامتكِ والأيامُ ليس تضامُ

عَرُم الزمانُ علي الذين عهدتهم ... بك قاطنين والزمانُ عُرامُ[5]

أيامُ لا أغشي لأهلكِ منزلاً ... إلا مراقبةً عليْ ظلامُ

ومَنْ ألمَّ بها فقال سلامٌ ... كمْ حلَّ عُقدَةَ صَبرِهِ الإلمامُ

---

(١) الديوان: ص ٥٤٨

(٢) الشُباك: طريق الحجاج إلي البصرة

(٣) سفوان: مكان به ماء بالبصرة

(٤) الديوان: ص ٤٩٠

(٥) عرام: مكان الزمان: اشتد شراسة : وأذي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولَقد نهزت مع الغواة بَدلوهِم وأسمتُ سَرْحَ اللهو حيث أساموا[1]

وبلغتُ ما بلغ أمروء بشبابه فإذا عصارة كل ذاكَ آثامُ

وإذا المُطيُّ بنا بلغن محمداً فظهورهن علي الرجال حَرَامُ

مَلِكُ إذا أعلقت يداك بحبلهِ لا يعتريك البؤسُ والإعدامُ

ففي شعر المدح عنده أصالة واقتداراً وبراعةً وابتكار وتوليد للمعاني وبراعة إتقان ، يجمع إلي ذلك الأصالة والفحولة وشيء من الجدة والطرافة، تتم داخل النسيج الملتزم بالتقاليد الفنية ومن توليداته هذه الأبيات في مدح الفضل بن يحي البرمكي[2]:

إذا ضنَّ ربُّ المال أعلن جُودَه يجَيّ علي مالِ الأمير وأذَّنَا

فللفَضل صَولاتٌ علي صُلْب مَالِهِ تري المالُ فيها بالمَهانَةِ مُذعنا

وهكذا يعدُّ أبو نواس من الشعراء المجددين في الشعر العربي ، في المعاني والخيال والتوليدات المبتكرة، وقد وضح التجديد بصفة خاصة في خمرياته وغزله الشاذ، ولكن رغم ذلك يلتزم في أغراضه بالإطار التقليدي للقصيدة العربية كما رأيناه في المدح في شعره.

---

(١) انفرت بالدلوهم قربتها بالماء لتمتليء

(٢) الديوان ص ٥٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: التجديد عند أبي العتاهية:

رأينا في المبحث السابق كيف ارتفعت موجة اللهو والزندقة في بداية العصر العباسي الأول، وأنّ الشعر قد انتشر بصفة واسعة في الكوفة والبصرة وبغداد ، وترتب علي ذلك اندفاع طائفة كبيرة من شعراء اللهو والمجون غمروا أنفسهم في تياره الدافئ الذي كان كلما اشتدّ تدفقه ارتفعت درجة دفئه ، فازداد اندفاع الناس حوله وانغمروا فيه ، وكان طبيعياً أن يكون لهذا الاندفاع رد فعل فظهر جماعة من الشعراء يقفون في وجه هذا التيار، ويقيمون في طريقه السدود ، ليقللوا من شدة اندفاعه، فاتجهوا إلي شعر الزهد وأكثروا من ذكر الموت فيه ، منهم شاعرنا البارع في الزهد أبو العتاهية(١٣٠-٢١٣هـ).

بعض أخباره:

هو إسماعيل بن القاسم من سويد بن كيسان ، وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولي بني زهرة[١]. كانت كنيته أبو اسحاق ولكن أبا العتاهية كنية جديدة وغلبت عليه ، ولد في "عين التمرة" القريبة من الكوفة سنة ١٣٠هـ ونشأ بالكوفة، وكان نسبه من الموالي وولاؤة من جهة أبيه لعترة، ومن جهة أمه في بني زهرة [٢]، كان من الأنباط لأن جده الثاني "كيسان" من عين التمر قرب الأنبار غربي الكوفة ، كان ينزلها الأنباط[٣] ، وأبو العتاهية يكره أن ينسب إلي الأنباط ، لأنهم كانوا يمثلون طبقة اجتماعية متدينة المنزلة في مجتمع الكوفة ، ذات الطبقة العربية الاستقراطية وطبقة الموالي تليها في الرتبة والمكانة ، ثم طبقات عامة المجتمع، منها الأنباط وهي من مؤخرة الطبقات. ولقد كانت نشأته هذه بين طبقات الشعب الدنيا، ووقوفه علي أساليب حياتها، وثبات أمثالها، ومعانيها، وما تتلخص فيه من تجاربها ، من عبارات في نفسه وغريزته ، ثم

---

(١) الأغاني: ص ٣١٤

(٢) نفسه

(٣) يا خون المحموي: معجم البدرات ، ص٦/٢٥٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قيامه علي تحصيلها ليكمل ذلك ما نقصه مما أدي إلي انخراطه مع زمرة المخنثين بالكوفة وحصل علي ألفاظهم.

وتعميق مسألة الإحساس ، بالنسب والطبقة الاجتماعية لدي أبي العتاهية ، نشأة متواضعة ، حيث كان أهله يعملون في صناعة الجرار وأن والده كان يعمل بالحجامة[١]، ولذلك كان ينكر علي المجتمع الإسلامي أن يكون التفاضل بالاحساب والأنساب لا بالتقوى بقوله[٢]:

دعني من ذكـــــر أبٍ وجدِّ ونسبٍ يُعليكَ سُوارَ المجـدِ
ما الفَخْرُ إلا في التقى والزُّهدِ وطـاعةٍ تُعطي جِنَانَ الخُلدِ
لابُدَّ مِـــن وردٍ لأهْلِ الوردِ إمَّا إلي خجَلٍ وَ إمَّا عَـــدِّ

وواضح من أخباره إنه رزق رهافة الحس وغزارة الطبع التي من نظم الشعر يقول عنه صاحب الأغاني:" إنه كان ذا لباقة وفصاحة[٣] " ولكنه كان يعاني من الفوارق الاجتماعية في مجتمع الكوفة و معاناته أكثر كانت من التباهي بالأنساب وهو من أقل الطبقات ، ويضاف إلي ذلك أن أسرته كانت تعمل بصناعة الجرار ، مما جعل الجواري مثل " عيبه" تتوسل إلي الرشيد لكي لا يهبها إلي أبي العتاهية لأنه بائع جرار. وقد عاش أبو العتاهية ظروفاً نفسية قاسية الشيء الذي جعله يضرب في شعاب الحياة مع المخنثين من شباب الكوفة.

ومرت به في حداثته تجربة نفسية كان لها عميق الأثر في حياته، فقد تعلق قلبه بغرام إمراة نائحةٍ ذات جمال وحسن اسمها " سعدي" حيث كانت لهذا الحب أثر في حياته لأنها إمراة نائحة تبكي لا تغني وترنم بشعر الغزل والحب وإنما اتخذت من ذكر الموت والغناء والنحيب ألحاناً حزينة ، بينما شباب الكوفة يعيش حياة اللهو و المجون وعالم الطرب والغناء[٤] ، أنحاز أبو العتاهية منذ سن مبكرة

---

(١) الأغاني: ٦/٤

(٢) الديوان: أبو العتاهية ص٦٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

(٣) الأغاني: ١٠/٤

(٤) الديوان ص ٢٥ دار الكتب العلمية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلي الجانب المظلم من الحياة ليفر مع هذه النائحة في الوادي المـوحش الكئيـب حيث تهجع الأجساد الأبدية ، يقول[١]:

حُفـــرٌ مسقفةٌ عليهن الجنادلُ والكـــثيبُ

فيهن ولدانٌ وأطفـالٌ وَ شُـــبانٌ وشيبُ

ولكن أبو العتاهية صدم في غرامه الأول ، وتخلت عنه صاحبته وتركته ، ولكنـه انتقم منها في أبيات هجاها بها ، حيث صبَّ كل غضبه في هذه الأبيات. وأخذ أبو العتاهية يلفت إليه الأنظار بشعره وأخذ بعض الناس يقصدونه للشـعر ، وعنـدما لمعت بغداد أراد أبو العتاهية أن يظهر شاعريته ، فذهب إليها في خلافة المهـدي، حيث مدحه بقصائد كثيرة، وفي بلاط المهدي تعلق قلبه بجارية الخليفة "عتبة" التي أخلص الحب لها، ولكنه سجن بسببها بعد أن أعرضـت عنـه وشـكته للخليفـة. الشيء الذي كان له عميق الأثر في حياته. ويُعدُّ النقاد هذا السبب فـي اعتزالـه حياة اللهو والعبث والمجون والعيش مع المخنثين والشـراب والمنادمـة، وتـرك مجالس الرشيد ، كما عزم ألا يقول بيتاً في الغزل [٢] بل اقسم علي نفسه ألا يتكلم سنة كاملة إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله [٣] وقصته مـع الرشـيد حكاها الرواة مفادها أن الرشيد أمره أن يقول شعراً في الغـزل ، ولكنـه امتنـع فسجنه الخليفة الرشيد.

والذي نريد أن نصل إليه أنه تزهد ولبس الصـوف وأصـبح مـع الـذين يعيشون حياة الزهد والزهاد من المتصوفة والنساك ولا نريد أن نسرف في أخباره والأسباب التى أدت إلى زهده فقد تناولها النقاد في أخباره والأسباب التي أدت إلي زهده ، نودّ الحديث عن التجديد في فنه الشعري ، وخاصة الزهد .

التجديد في شعر الزهّد:

لقد أختار أبو العتاهية الزهد موضوعاً لشعره ، لأنّه يريـد طلـب الرضـي الشعبي والقرب من العامة، ولذلك نجده مسرفاً في شعره ، مبالغاً فيه إلـي حـد

---

(١) ديوانه ص ٢٥.

(٢) اللأغاني: ص ٦٣١١

(٣) نفسه ص ٣٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السقوط والابتذال أحياناً ، وهو يري أن الشعر الجديد لا يحمل غير ذلك ما دام مكتوباً ليقرأه العامة[١] والخاصة فهو شاعر الشعبية دون منازع لذلك التف كثير من الناس يعشقون شعره لأنهم يجدون فيه السلوى والراحة ولأنه قريب إلي أفهامهم.

لفت أبو العتاهية أدباء عصره بتميزه بخصائص ينفرد بها بين طبقة الشعراء المحدثين وقد ذكر صاحب الأغاني كثير منها[٢]. وهو شاعر الشعبية اللفظية ، وينتهي إلي أن ويقف شعره كله عن الزهد. وهو حريص علي أن يحقق لشعره هذه الشعبية ، ومدرك لموضوع الشعر ولفظه من حيث أنهما يحققان له غايته من الشعبية ، فأهم خصائص مذهب أبو العتاهية الشعري هو هذه الشعبية في حفظ الشعر ، التي تقربه إلي أفهام الناس جميعاً ، وتحببه إليهم، وتنزل به من سمائه إلي دنيا الواقع والحياة.

وتأتي بعد ذلك سهولة اللفظ وقرب المعني، ولطفه، وبرأته من التعميق والتكلف والغموض، ثم أنه عريق في الشاعرية، قريب المأخذ، معناه سريع المثول له مثول في قلوب الناس، وهو لا يركب إلي قول الشعر طريقاً وعراً إذ أنه " كان أقدر الناس علي بديهة وارتجال" [٣] وأنه مجدد في أوزان العروض، وأنه شاعر الطبع والدقة.

أما شعر الزُهد عنده ، فإنَّ الفكرة الأساسية التي يدور حولها في حياته الزاهدة هي" فكرة المصير" مصير الإنسان في الحياة ، ومصيره بعد الموت ، وهي فكرة تتردد في شعره بصورة واسعة لإنكار تجد لها نظيراً ، إلا عند أبي العلاء المعري ، وهذه فكرة يطوف حولها حيناً ويتغلغل في أعماقها حيناً آخر ويستخرج منها معاني وصور مختلفة ومتعددة وإنه يشكلها أشكالاً شتي[٤] فكرة الموت والمصير في شعره واضحة وتتحلي فيها العاطفة الدينية في أقوى صورها، ولا

---

(١) تاريخ الشعر العربي: نجيب محمد البهيتي ص ٣٧٥.

(٢) الأغاني : دع جد ٤، ١٢ ، ١٣ ، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧.

(٣) الأغاني: ح٣، ص ٨٣١.

(٤) حياة الشعر في الكوفة ، د. يوسف خليق ص ٥٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نجد أثراً للعقل الفلسفي في شعره ، وشعره في هذا الجانب يمثل هـزة ودينيـة إسلامية واضحة أذ نجده متأثراً بالقرآن الكريم تأثيراً كبيراً ، ودوره فـي الحيـاة الكمنة في طريقة لخطاب الناس خطاباً عنيفاً.

وذلك نجد الوضوح والبساطة في الألفاظ وقرب المعني ، وهذا من نـواحي التجديد عنده يقول(١):

أنساكَ مَحْـــيَاك المَمَاتَا فطَلَبتَ في الدُّنيا الثَباتَا
أوْ ثَقَـــتَ بالدُّنيا وأنْتَ تَري جَمَاعَتها شَـــتَاتَا
وَعَزَمْتَ مِنْكَ علي الحَيَا ةِ وَطُولِها عَـزِمْاً بتاتَا
يا مِنْ راي أبَويْه فِيمَنْ قدْ رأي كَـــانا فماتَا
هَـــلْ فِيهُما لَكَ عِبْرَةٍ أمْ خِـــلْتَ أنَّ لَكَ أنْفلاتَا
ومَنْ الذي طلَبَ التَّفلَّتَ مـــنْ مَنَيتِه فَمـــاتَا
كُـــلٌّ تُصبِّحهُ المنيةُ أو تُبَيِّتُهُ بَيـــــاتَا

ومن شعر الزهد عنده نجد الأنذار والترهيب من المصـير المحتـوم مـع تمسك الناس بالحياة التي تنسيهم الموت فهذه صيحة من صيحاته يقول(٢):

لدو للمَوْتِ وابْنُوا للخَرَاب فَكُلُكُمْ يَصـــيرُ إلي تبَاب
لِمَنْ نَبني ونَحْنُ إلي تُراب نصيرُ كَما خُلِقْنَا مـنْ تُراب
ألا يَا مَوْتِ لم أرَ منْكَ بْداً أتَيتَ وما تحيفُ وما تحابي

وهو يتقدم ليوجع أكثر وينذِر الشعر ، ولا يفوته أن ينبه بمسؤلية الراعي والرعية ويغري بعمل الصالحات في التالية(٣):

طولُ التعاشـرُ بيْن النّاسِ ممّلُولُ مِا لابنْ آدَم إن فتَّشْـــتَ مَعقُولُ
يا رَاعـــي النفسِ لا تُغفِل رِعَأيتَها فأنْتَ عَنْ كُلَّ ما اسْتَرعَيتَ مَسْؤلُ
خُذما عرفتَ ودَعَ ما أنتَ جاهِلُهُ للأمرِ وَجهانِ معْرُوفٌ ومَـــجْهُولُ
واحْـــذر فلستَ من الأيامُ منفلتا حـــتى يغُولكَ مِنْ أيامـــلتِك الغُول

---

(١) ديوانه ص ٤٨ ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) ديوانه ص ٢٣.

(٣) ديوانه ص ١٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لن نستتمْ جـــــميلاً أنتَ فاعله إلا وانْتَ طـــــــلِيق الوجهِ يْهلُولُ
ما أوسَعَ الخَّيرَ فابسط راحتيكَ به وكُنْ كأنَكَ عند الشـــر مغْلُول
إني لفـــي منزلٌ ما زلت اعمره عي يقيني بأني عنَّهُ منْقـــولُ
وليس مِن موضعٍ نادِيه مِنْ حرَسٍ إلا وللمَوتِ سَيْفٌ حيه مسْلُولُ
لم يَشـــغل الموتُ عنا مُذ أعِدَّ لنا وكُلُّنا عَنْه باللذاتِ مَشـــــــغُولُ
ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب والحيُّ ما عاش مغشي وموصولُ
كَـــــلْ ما بدا لَكَ فالآكالُ فاتيهُ وكُلَّ ذي أُكُلٍ لابدَّ مَأكـــــــولُ

نلحظ بوضوح قرب المعني وسهولة اللفظ حيث لا نجد من الغريب والعقـد شيئاً ، و المعاني واضحة وكأن الكلام نثر وهذا هو مفهوم الشعبية في شعره إذا الكل يفهم ما يقول عامتهم وخاصتهم. فمعانيه قريبة للأفهام ، ولهـا موقـع فـي القلوب.

والحياة عند أبي العتاهية. كما هي في القرآن الكريم. دار الفناء والـزوال ومتاع الغرور.

لَعَمـرُك ما الدَّنيا بدار بقاءٍ كفاك بدَارِ المَـــوتِ دَارُ فناءٍ[١]
ألا إنَّما الدُنيا مَتاعُ غـرُورِ ودَارُ صُعُودٍ مرَةً وَحُـــدُورِ[٢]
ما زُخْرُف الدُنيا زِبرْجُ أهلِها إلاَّ غُرورٌ كُـــــــلُه وَحُطَامُ[٣]
بُلينا مِنْ الدُّنيا على حُبنا لها بَدِار غُرُورٍ ويحَها ما أغرَّها [٤]
ألم تـرَى أنَّما الدنيا حُطامٌ وأن جميـــعَ ما فيها غُرورُ[٥]
إلا إلي الله مصْيرِ الأمـورُ مَا أنْتِ يا دُّنيا إلا متاعَ غرورٍ[٦]

وفي شعره نجد أيضاً النيل من ذوى المكانة والجاه والملوك والأكابر. وكلُ ذلك في بساطة تامة يقول[١]:

---

(١) الديوان ، ص ١٦٥.
(٢) الديوان ، ص ٥.
(٣) الديوان ، ص ١٠١.
(٤) الديوان ، ص ٢٠٧.
(٥) الديوان، ص ١٠٨.
(٦) الديوان، ص ٩٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكَمْ مِنْ عظيم الشأنِ في قعرِ حُفرةٍ*** تَلْحَّـفَ فِيها بالثَرى وتَسْرْبَلاَ
أيا صَـــاحِبَ الدُنيا وَثِقْتَ بِمَنْزِلٍ تَرى المَوتَ فِيه بالعِبادِ مُوكَلاَ

وقوله:

كَمْ مِنْ مُلُوكٍ زَالَ عَنْهُم مُلكُهُم فَكأنَّ ذَاكَ المُلكُ كَانَ خَيَالاَ[٢].

وقوله:

أمـــــا واللهَ إنَّ الظُّلمَ لُؤمٌ وَلَكِن المُسِيء هُوَ المَظْلُومُ
إلي ديَّان يـــومِ الدِّين نَمضِي وعند الله تَجْتمِعُ الخُصُومُ[٣].

وقوله في فناء القرون الغابرة من مجزوء الكامل:

أيْن القـــرونُ بنو القُرونِ وَذوُو المَدائنِ و الحُصُـونِ
وذوو التجـــبرِ في المجا لـــــس والتكبر في العيونِ
كـــــانُوا المِلُوكَ فأيُّهُمْ لَمْ يَغنِهِ رِيْبَ المَنـــــــونِ
صَـــــارُوا حديثاً بَعْدَهُم إنَّ الحَـــــديثَ لذو شِجُونِ[٤].

ويلاحظ الدقة وعذوبة المعاني ووقعها في القلب مع حلاوة الموسيقي المنسابة من مجزوء الكامل.

وقوله أيضاً في نسيان الناس للميت وعزفهم عنه، وهي مقطوعة تدل علي اقتدار فني في التقاط المعاني البسيطة من جهة، وفي براعة إيقاعها من جهة أُخرى، للإفهام كما يحقق الشعبية التي كان يقصدها. ويقول من مجزوء الكامل[٥]:

ربُّ مَـــذكُورٍ لقومٍ غابَ عَنْهُم فَنَسُوهُ
وكأنَّ بالمرءِ قد يبكي عَـــليهِ أقْـرَبُوهُ
وكـــأنَّ القَـــومَ قد قا مُوا فَقَالوا أدْرِكُـــوهُ
سَـــائلوهُ كَـــلَّمُوهُ حَـــرِّكُوهُ لَقِـــنُوهُ
فـــإذا استَيْأسَ مـــنْهُ القَومُ قَالُوا احْرِقُوهُ

---

(١) الديوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٨١.
(٢) الديوان ، ص ١٨٢.
(٣) الديوان ، ص ٢٠٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
(٤) الديوان، ص ٢١٦.
(٥) الديوان ،ص ٢٤٩-٢٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حَــرِّقُوهُ وجْـــهُوه مَدِّدُوهُ غَمِّضُـــوهُ
ارْفَــعُوهُ غَسْـــلُوهُ كَـــــفِنُوهُ حَنِطُوهُ
أخْرِجُوهُ فَوقَ اعوا د المـــنايا شَيِّعُوهُ
فــإذا صلُوا عَــليهِ قِيلَ هَاتُوا و اْقبِرُوهُ
فإذا ما استَودَعُوه الأرضَ رَهناً تَركُوهُ
خَلَّفُوه تَحْتَ رَمْسٍ أذْقــرُوهُ أثْقَلُوهُ
أبْعَدُوهُ أسْحَقُــوهُ أوْحَدُوهُ أفـــرَدُوهُ
وَدَّعُوهُ فَارَقُــوهُ أسْلَمُوهُ خَـــــلَّفُوهُ
واْنثنُوا عَنْهُ وخلَّوهُ كـــأنْ لمْ يَعْرِفُوهُ
وكأنَّ القَومَ فِيمـــا كانَ فِيهِ لــم يَلُوهُ

تأمل هذا اللحن الحزين، إنه ليس لحناً شعرياً ، وإنما هو " لحن جنائزي". إنه لحن الموت يعزف شاعر الموت علي أوتاره الحزينة الباكية . إنه ليس شعر مشاعر ، ولكنه نعيب بومةٍ كئيبة تنعي الإنسان حياته وتشيّعه بل تستقبله بهذا النحيب، بل هذا العويل، وربا كان متأثراً بحبه الأول "سعدى النائحة " [1]. التي استقرت في أعماقه منذ شبابه ، وأصداء نواحها المشئوم الذي طالما يستمع إليه.

إن أبا العتاهية يعتمد علي هذا الوزن القصير السريع مجزوء الرمل ليمثل به سرعة الانحدار "قصة الحياة" إلي نهايتها، وقصر ذلك الفصل الختامي الذي تسدل الستارة بعده عليها، ثم يعتمد علي هذه القافية الهائية "المزدوجة الموصلة بمد" يمثل بها ذلك النواح النحيب وتلك الآهات والزفرات التي تنبعث من صدور الحزانى في مناحات الموتى حارةً حزينةً عميقةً.

ثم يتجه الشاعر إلي منظر القبور، فإنه يقف عندها ويوازن بين حال أصحابها فيها وحالهم من قبل في الدنيا، فهو يتحدث عنها وعنهم وإليها وإليهم، وهو في الحالتين يحاول أن يستخلص العبرة، وأن يذكّر الإنسان بهذا المصير

(١) حياة الشعر في الكوفة، د : يوسف خليف، ص ٥٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحتوم الذي لابد أن يصير إليه كما صار إلي الذين كانوا يستمتعون بالحياة قلة ثم طوقهم يد الموت وألقت بهم تحت التراب. يقول [١]:

إنِّي سَألتَ القَبْرَ ما فعَلَـــتَ بعدِي وجُوهٍ فيك مُنْعَفِرَةْ
فَأجابَنِي صَيِّرتُ رِيحَهُـــم تُؤذِيكَ بَعدَ رَوائحْ عِطرةْ
وأكـلَتُ أجْسادَاً منَعَّمـــةْ كأن النّعِيمَ يهزُها نَضِرةْ
لمْ أَبْقِي غيرَ جَمَاجِمْ عَرِبتْ بِيضٍ تَلُوحُ وأعْظُمٍ نَخِرةْ

ثم يتناول قبور الملوك وقبور أصحاب اللهو والمجون كلٌ مأخذ العبرة والعظة ، لأن أصحابها كانوا مستمتعين بحياتهم أكثر من سواهم، وكانوا في حياتهم لا يذكرون مصيرهم المحتوم، وهو في ذلك يمثل الواعظ الحاسب الذي يلفت الناس إلي حياة الآخرة وترك نعيم الدنيا الزائل. ويقول[٢]:

زُرتَ القُبورَ قُبورَ أهلِ المُلكَ في الدُنيا وأهْل الرَتعِ فِي الشَهْـواتِ
كَـــانُوا مُلوك مَأكَلٍ ومَشارِبَ ومَلابِس ورَوائحٍ عَطِـــراتِ
فَإذا بأجْسَـادِ عَرِين من الكِسـا وبأوجـــهٍ في التُرابِ مُتَعْفِراتِ
لَمْ تبق الأرض غـــيرَ جَماجِمٍ بِيضٍ تَلُوحُ وأعـــظُمٍ نَخِراتْ

وهذه القبور عذرة أحياناً سجون لا تشبهها السجون. إنما سجون تضم العالمين جميعاً، دونه أحد عن التراب.

إنَّ القُبـورَ سِجُـــونٌ مَـــا مِثْلِهُنَّ سِجُـــــونُ
كَمْ فِي القُبورِ قُـــرُونٌ مِمَـــنْ مَضي وَقُـــــرُونُ
ما فِي المـقابِرَ وَجْـــهٌ عَنِ التُرابِ حُصُـــــونُ[٣].

فأبو العتاهية في أشعاره التي قدمناها يقوم بدور الواعظ الديني بحديثه عن المصير وذكر الموت والقبر وحاله ثم نهاية الإنسان، ولذلك نجده أتجه اتجاهاً جديداً في أشعاره وهو اتخاذه للنثر وسيلة أساسية لمعالجة هذا الموضوع الديني

---

(١) الديوان، ص ١٠٥/ دار الكتب العلمية ، بيروت.
(٢) الديوان ، ص٣٨-٣٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
(٣) الديوان ص ٢١٨-٢١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو أنسب للنثر لأن الخطيب والواعظ جوره عادة ما يكون مؤثراً بالنثر حتى ترتجف له القلوب.

ولذلك عمد الشاعر في أن يطبع شعره بالطابع النثري، وهو طبيعة حاله أقرب للعامة في سهولة معناه وبساطته ألفاظه ، وهو أيضاً صاحب رصيد وافر من المفردات اللغوية التي يستخدمها متى أراد.

وأبو العتاهية لم يقف عند حد الاتصال بهذه المواعظ ليتأثر بها في شعره، وإنما راح يستمد مادته منها ويتكئ عليها ، لا في أفكارها وموضوعاتها فحسب، بل

ولكنه في أساليبها وصورها، وإذا كان أبو العتاهية له القدرة علي أن يحيل كلام العامة شعراً ، فإن العملية الفنية هنا أسهل لأن هذه المواعظ ليست نثراً عامياً سوقياً، وإنما نثر فني حقق به أصحابه كثيراً أو قليلاً من الصنعة الفنية[١]. فالشاعر قام بتحويل الكلام العادي إلي نثر فني ثم تحويل هذا النثر الفني إلي شعر، وهذه العملية سهلة عند أبي العتاهية لأنه كما يروى عنه ابن مناذر قوله فيه: ((يتناول شعره من كمة)) [٢] وقديماً قال عنه أحد ممدوحيه لبعض من كان يهاجمه من الشعراء : ((والله إنّ الواحد منكم ليدور علي المعني فلا يصيبه ويتعاطاه فلا يحسنه ... وهذا كأن المعاني تجمع له[٣]. وحقاً لقد جمعت المعاني لأبي العتاهية.

وبهذه الخاصية أخذ أبو العتاهية هذه المواعظ النثرية ومضي يترجمها شعراً، ولكنه كان يترجمها أحياناً ترجمة فنية وأخرى ترجمة حرفية، ولننظر إليه في هذه القصيدة من حيث شعره لنثبت فيها كيف يترجم هذه الترجمة الحرفية:

أشـــرب فؤادك بقضـــة اللذات *** واذكر حِلول مَنازلَ الأمـــواتِ
لا تـــلهينك عَنِ معادِك لـــذةٌ ***تُقْني وتـــورث دائمُ الحَسَـــراتِ
إنَّ السَـــعيدَ غـــداً زهيدٌ قـــانعٌ *** عَبـــدَ الإلهَ أحْســـنَ الإخْبَاتِ
أقـــم الصلاة لوقتها بطهورها *** ومـــنْ الضلالِ تَفاوُتٌ الميقاتِ

---

(١) ينصرف من يوسف خليق: حياة شعراء الكوفة ، ص ٥٧٧.

(٢) الاإاني ٥٧/٤ دار الكتب

٣) الأغاني ٣٨/٤ دار الكتب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا اتَسعت برزقِ رَبِكَ فاجعلَنْ *** مِنْهُ الأجَلَ لأوجُـــهِ الصــدقاتِ
فـــي الأقربين وفي الأباعدِ تارةً*** إن الزكـــاةَ قرينةٌ الصَـــلواتِ
وارع الجِـــوار الأهلِةِ متبرعاً*** بقضاءِ ما طـــلبُوا مِنْ الحاجاتِ
واخفض جناحك إن رزقت*** تسلطاً وارغبْ بنفسك عن ردي اللذاتِ

وأنظر كيف استطاع الشاعر أن يحول النثر إلي شعر وأن يخاطب القلوب، حث الشاعر علي إقامة الصلاة وأتاء الزكاة وإخراج الصدقات، وهذه الأبيات عبارة عن خطبة دينية في قالب موزون مقفى ،فإنه هنا قد ترجم الخطبة الدينية ترجمة حرفية و أحال عبارتها النثرية شعراً موزوناً مقفي، وهذه ميزة جديدة في هذا العصر وملكة تميز بها شهره فقط.

وقد دفعته هذه "النثرية" إلي التحلل أحياناً من النظام التقليدي للقافية العربية، ومحاولة التخفف من قيوده الصارمة. وله أرجوزته تسمي" ذات الأمثال" من أهم أعماله الفنية، تتحدث عن الجوانب الأخلاقية، وهي أطول قصيدة في مجموعة شعره الأخلاقي بل في مجموعة شعره كلها ونذكر صاحب الأغاني "لأنها طويلة جداً"[١] ، وأنه يقال" أن له فيها أربعة آلاف مثل"[٢]، ويقول عنها أيضاً" من بدائعه"[٣] وهي عمل ضخم ليست مثلاً بسيطاً أو قليل الشأن ، بل هي عمل فني جديد في شكله وموضوعه. أما من حيث الموضوع فقد جعل صاحبها من شعر الحكمة الذي كان أبياتاً متناثرة ينثرها الشعراء من حين إلي حين موضوعاً مستقلاً قائماً بذاته يقف علي قدميه أمام الموضوعات التقليدية الأخرى كالمدح والغزل والهجاء، ، وأضاف بذلك موضوعاً جديداً إلي موضوعات الشعر العربي. لقد أراد أبو العتاهية أن يثبت قدميه علي الأرض صلبة قوية حتى يضمن البقاء والاستقرار لشاعريته فلم ينظم في الحكمة قصيدة كسائر القصائد وإنما نظم قصيدة ذات آلاف الأبيات كما ذكرنا.

---

(١) الأغاني، ٤/٣٧ دار الكتب.
(٢) الأغاني، ٤/٣٦.
(٣) نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما من ناحية الشكل فإن قوافيها تجري علي أساس أزدواجي. وهذا الازدواج يبتعد بها ابتعاداً واضحاً عن صورة القصيدة العربية وتقترب اقتراباً واضحاً من صورة السجع[١] وهذه الطريقة الممزوجة لم تكن معروفة في الشعر العربي القديم ومزدوجة تعني أن كل بيت ينفرد بقافية بشترك فيها شطراه.

والقصيدة لا تتعرض لموضوع واحد وإنما موضوعات متعددة وأفكار متفرقة، وكل بيت من أبياتها يعرض فكرة مستقلة، وقد تشترك مجموعة الأبيات إلي فكرة واحدة، ولكن بظل لكل بيت وحده موضوعية قائمة بذاتها تعرض جانباً معيناً من جوانب الفكرة العامة. والأفكار التي يعرض لها في ارجوزته هي خلاصة أفكاره التي عرض لها في قصائده ومقطوعاته. وإنما حديث عن القناعة والتقوى، وعن العمل الصالح والقبيح،وعن الفساد والصلاح، وعن الدنيا الممزوج صفوها بالكدر وعن الخير والشر، وعن الصداقة والصديق، وعن البخل والشح، وعن السكون والصمت ، وعن الشيب والشباب والخدعة والمكر، وعن الغدر والكذب، وعن الضيق والفرج، وعن الموت والحياة ، والتعمير والخراب، والبقاء والغناء إنها باختصار خلاصة آرائه في النفوس والحياة في صورة " دستور" وفي مواد متعددة وبنود مختلفة أمام كل بند فكرة من أفكاره[٢]. ونتعرض لبعض الحكم والأمثال في شعره لا نستقضي كل الحكم وإنما نأخذ جزءً منها، مثلاً قوله في الخير والشر.

١/ حَسْبُكَ مما نبتغيهِ القَــوتُ ما أكثـــــر القوتَ لمن يموتُ
٢/ الفقر فيما جاوز الكفَافَـــا مَنْ رجى اللهَ وخـــــــــاف
٣/ هي المقاديرُ فلُمْني أو فذر إنّ كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القدر
٤/ لكل ما يؤذي وإن قلِ ألــم ما أطول الليلَ علي من لمْ ينــمْ
٥/ ما انتفع المرءُ بمثلٍ عَقْلِــهِ وخيرُ ذكرُ المـــرء حسن فِعْلِهِ
٦/ إنّ الفسادَ ضَدهُ الصــلاحُ وَرُبَّ جدَّ جره المـــــــزاجُ
٧/ مَنْ جَــعَلَ النَمام عيناً هَلَكا مُبلغكَ الشـــــــرُ كباغية لكا

(١) يوسف خليق: تاريخ الشعراء في الكوفة ،ص ٥٨٣

(٢) يوسف خليق: تاريخ الشعراء في الكوفة ،ص ٥٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨/ إن الشبابَ والفَراغ والجَدةَ مفسدة للمرء أي مفســـــده[١].

حيث تجدهما عنده عادات وأهواء فالمسألة ليست قدراً محتوماً علي الإنسان وإنما عادات يألفها الإنسان. يقول:

لكل إنسان طبيعتـــــــــــــان خير وشر وهما ضـــــــــدان[٢].

والخيرُ والشَّرُ في التصوير بينهما لو صوَّروا لك بونٌ غير مؤتلف[٣].

والخيرُ والشرُ إذا ما عـــــــدَّا بينهما بونٌ بعيـــــدٌ جـــــداً[٤].

ويقول:

ولي في فِعَالِ الخَيرِ ضِدٌ معانِدْ يُثبطِن عنها إذا ما نويتها[٥].

ومع أن الخير والشر جوهران غير ثابتين ، وإنما هما في إزدياد ونقصان، وأهل الخير ينقصون وأهل الشر يزيدون. يقول [٦]:

الخيرُ والشَّرُ مزداد و منتقصٌ فالخيرُ منتقصٌ والشـــرُ مُزدادُ

فالخـــيرُ ليسَ بمولودٍ له ولدٌ لكن له مِنْ بَناتِ الشَّـــــرِ أوْلادِ

ويقول عن الصداقة والصديق:

وحِدْةُ الإنسان خيرٌ مِنْ جَلِيسِ السّـــوءِ عِنْدَهُ

وَجَلِيسُ الخيرِ خيرٌ مِنْ جَلِيسِ المرءِ وَحْدَه[٧].

والصديق عنده هو الذي تكون صداقته لوجه الله ، لا يبتغي غرضاً من أغراض الدنيا. يقول:

لَعمرُكَ ما شيءٌ من العيشِ كُلِّه أقـــــرْ لَعين من صَديقٍ مُوَافِقِ

وكُلِّ صديقٍ ليس في الله وُدُه فإني به في وَدِّهِ غَـــــيرُ واثِقِ

---

(١) الأغاني ج٣، ص ١٣٨.

(٢) ديوانه ، ص ١١.

(٣) ديوانه ، ص ٣٨٦.

(٤) ديوانه ، ص ٨٤.

(٥) ديوانه، ص ٥٨.

(٦) ديوانه ، ص ٣٨٤.

(٧) ديوانه، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص ٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أُحبُّ أخاً في الله ما صَحَّ دينهُ وأفرشـــهُ ما يشتهي مِنْ خلائقي
صفيٌّ من الأخوان كُلَّ موافق صبور علي ما نابه من بوائق[١].

وفي شعر أبي العتاهية نجد الابتهالات الصوفية التي يمجد الله فيها ويسبح له، فإنها تتردد في شعره من حين إلي حين أنغاماً روحانية صافية تحلق بالنفس في أجواء رحيبة سامية، وتخفف من أصداء التشاؤم والأنقاض والوحشة التي تشيع فيه. إنها نجوى صادقة يناجي بها الشاعر ربه ليرتفع بنفسه عن المستوي المادي الذي يعيش فيه إلي مستوي روحي يطمع في الوصول إليه، وتتردد هذه الابتهالات أحياناً في مطالع قصائده ومقطوعاته وأحياناً في خواتمها ، كما يفرد لها أحياناً قصائد مستقلة[٢]. يقول:

إلهي لا تعـــــــذبني فإني مُقِرٌ بالذي قد كـــــــان مِني
ومـــــــالي حِيلةٌ إلاَّ رجائي وعَفْوَكَ إنْ عَفْوتَ وحَسْن ظني
فَكَمْ مِـــنْ زلةٍ لي في البرايا وأنتَ علي ذُو فضـــــلٍ ومَنِّ
إذا فَكَّـــرتُ في قُدُمي عليها عَضَضْتُ أنامِلي و قرعتُ سِني
يَظُـــنَّ الناسُ بي خيراً وإنِّي لشـــرٌّ الناسِ إنْ لم تعفُ عنـــي
أجـــــنٌّ بزهرةِ الدنُيا جُنُوناً وأفْنَي العُمـــــرَ فيها بالتغنـــي
وبين يدي محـــــــتبسٌ ثقيلٌ وكأنِّي قدْ دُعيتُ له كـــــأنِّي
ولو أنَّي صَدَقتُ الزُهدَ فيها فليتُ لأهـــــلِها ظهرُ المجـــنِّ

وابتهالاته معظمها نذور في جو ديني إسلامي بل في جو قرآني خالص. وهو عادة يبدؤها بعبارات التسبيح والتحميد والتنزيه والتمجيد التي تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم ، كما يكثر فيها من ترديد أسماء الله الحسني. والثناء عليه سبحانه وبآلائه ونعمه. يقول[٣]:

كـــــــل أمريءٍ فكما يدين يـــدان سبحان من لم يخل منه مكانُ
سُبْحَانَ من يعطي المني بخواطـــر في النفس لم ينطق بهنَّ لسانُ

---

(١) ديوانه، ص ١٤٩.
(٢) الديوان، ص ٢٢٣.
(٣) ديوانه، ص ٢١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سُبْحَانَ من لا شيء يحجب علمــه فالسرِ أجمع عنده إعــــلانُ
سُبْحَانَ مَنْ هو لا يَزال مسبحـــاً أبداً وليسَ لغيرهِ السُـــــبْحَانُ
سُبْحَانَ مَنْ تجْري قَضايَاهُ علــي مَا شَاء مِنْها غَائب وَعـــيانُ
سُبْحَانَ مَنْ هو لا يزال ورزقـــه للعـــــالمين به عليه ضمانُ
سُبْحَانَ مَنْ في ذكره طرق الرضي منه وفيه الروح والريحـــانُ
مَلِكٌ عزيزٌ لا يفارقُ عِـــــزَّه يعصى ويُرجي عِنْدَهُ الغُفْرانُ
مَلِكٌ له ظهر القضاء وبَطْنُهُ لم تُبل جدّةُ مُلكهُ الأزْمـــــانُ
مَلِكٌ هو الملك الذي من حِلْمِهِ تُعْصــي بِحُسْنِ بلائهِ ويُخَانُ[1].

يقول[2]:

فالحمدُ لله الذي هو دَائــمُ أبداً وليس لما سِواه دَوامُ
والحمدُ لله الذي لجَلالـــهِ ولحِلمِهِ تَتَصَاغَرُ الأحلَامُ
والحمدُ لله الذي هو لم يَزَلْ لا تَستقلَّ بِعلمِهِ الأفْهَــامُ
سُبحَانَهُ مَلِكُ تَعالي جِـــدَه وتوجِهه الإجْلالُ والإكرَامُ

يقول[3]:

لك الحمدُ يا ذا العرشِ يا خير معبودِ ويا خير مَسئولٍ ويا خير مَحْمُودِ
شـــــهِدنا لكَ اللهم أنْ لَستَ مُحدثاً ولكِنَّك المَولي ولســـتَ بمَجحُودِ
وإنَّك مَعـــــــرُوفٌ وليستَ مُحدثاً وإنَّكَ مَوجودٌ ولستَ بمحـــدودِ
وأنَّك ربٌّ لا تَـــــزالُ ولم تَزلْ قـــــريباً بعيداً غائباً غيرَ مفقودِ

علي هذا النحو الروحي الرقيق، وفي هذا الأسلوب القرآني الجميل كانت تجري ابتهالات أبو العتاهية وسط ذلك الضباب المتكاثف والظلام المتراكم، ضباب الحياة وظلام الموت، وإشراقات آلهية تشرق في نفسه لتصل ما بينها وبين خالقها، وهي إشراقات ظلت تأتلق في نفسه طوال حياته الزاهدة المتصوفة.

---

(١) ديوانه، ص ٢٠٨.
(٢) ديوانه، ص ٦٣.
(٣) ديوانه، ص ٢١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن لنا من خلال حديثنا عن شعر أبي العتاهية في الزهد أن نقسمه إلي ثلاثة أقسام:

١/ عظات دينية تشبه تلك العظات النثرية التي كانت تجري علي ألسنة الزهاد وقبله.

٢/ الحكم الأخلاقية التي تدور حول محور النفس الإنسانية وما يعتمل فيها من صراع بين الخير والشر.

٣/ ابتهالات إلي الله تشبه الابتهالات الصوفية التي نراها عند صوفية العصور المتأخرة.

ومن خلال دراستنا لشعر أبي العتاهية باحثين عن السمات التجديد فيه، وجدنا أن شعره تميزه خصائص فنية تجديدية ومن أبرز هذه الخصائص كما أشار لها كثير من النقاد قبلنا تتمثل في فنه الشعري علي النحو التالي:

١- قرب المعني وسهولة اللفظ:

كان أبو العتاهية كما تدل الأخبار شاعر الفطرة والموهبة، وأن طاقته الفنية تنبع من موهبته في الإحساس لسعة وتنوع التشكيل الموسيقي في مفردات اللغة وتراكيبها، فهو بعبقرية فطرية اكتشف خصوبة اللغة في تشكيلاتها الموسيقية الواسعة العطاء ودلالتها الخصبة حتى فيما تيسر من شائع اللفظ.

ولأنه من طبقة اجتماعية دنيا و يشتغل بصناعة الفخار كان يتردد في الطرقات يصادف الشعراء أو المتشاعرين ونشدهم من فيض موهبته الفطرية ما يجعلهم يكتبون عنه ويتحلقون حوله، ولا تدل أخباره بأنه كان يلازم شاعراً أو يجلس إلي عالم،أو أديب كما أنه لم يذهب إلي البادية كما فعل بشار وأبو نواس ، وإذن فثقافته الفنية هي الثقافة الشعبية الحديثة في الشعر آنذاك ، فهو يسمع يقرأ ويستوعب وتتسلط عليه موهبته التي أساسها طبع يستوعب عبقرية اللغة في تشكيلاتها الموسيقية والدلالية ، من أجل هذا كان أبو العتاهية يدرك المعني ويضع يده عليه في بساطة ووضوح ، وإليه في لفظ سهل وإيقاع عذب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد شخص ذلك عن ابن العلاء ــ صاحب المهدي ــ حيث مدحه أبو العتاهية ، فأمر له بسبعين ألف درهم. فأنكر ذلك بعض الشعراء عليه فأجابهم بقوله:" والله إن الواحد منكم ليدور علي المعني فلا يصيبه، ويتعاطاه فلا يحسنه، حتى يشيب بخمسين بيتاً ثم يمدحنا ببعضها"[١].

وهذا كأن المعاني تجتمع له، مدحنى فقصر التشيب، وقال:

إنِّي أمنتُ من الزمان وريبه لما علقت من الأمير حبالا

لو يستطيع الناس من إجلاله لحذو له حرَّ الوجوه نعالا[٢].

وفي بيان قرب المعني وسهولة اللفظ عنده يقول صاحب الأغاني:" كان غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتنان ، قليل التكلف إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك....." [٣].

لكن قرب المعني وسهولة اللفظ صفة يمكن أن تعم هذا الشاعر وتميزه من الشعراء ، بمعني إنَّ هذه صفات عامه قد يشترك فيها أكثر من شاعر لكن أبا العتاهية يتميز بسمات أشدَّ إيضاحاً وإيغالاً في هذا الباب ، كما بقيه السمات التي سنتعرض لها.

٢- الشعبية الشعرية:

يعدّ الوليد بن يزيد هو صاحب الاتجاه الأصيل في إبراز وقيادة الشعبية الشعرية إذ :" لم تلبث هذه الشعبية أن وجدت قائدها وصاحب لوائها، الذي يقول الشعر في بابها، لأنه لا يجد السبيل إلا إليه، ولأنه يعبر عن صميم نفسه وخالص انفعاله"[٤].

والوليد بن يزيد قد أثَّر في العصر العباسي تأثيراً واضحاً خاصة في فن الشعر، حيث كان أستاذاً لأبي نواس في الخمريات، إلي المدى الذي يقال معه أن أبا نواس سلخ معاني الوليد من هذا الباب وجعلها في شعره، إلي جانب

---

١) الأغاني ٤/٣٩-٤٠. ثقافة.

(٢) الأغاني ٤/٣٩ – ثقافة.

(٣) ديوانه، ص ٢١٩.

(٤) تاريخ الشعر العربي، د. نجيب محمد السهبيتي ، ص ٢٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوعات الأخرى التي كانت عنده، والمقصود علي وجه التحديد في فهم معني الشعبية لدى الوليد بن يزيد أيضاً" معالجة العواطف المشتركة الخالصة التي تتوارد علي قلوب الناس جميعاً، وتتعلق بتفكيرهم لا فرق فيهم بين عامة وخاصة ولا تميز فيهم بين شيعي وآموي أو أعجمي وعربي، وإنما هي معالجة للمشاعر الإنسانية قائمة علي الإحساس بها وتخزينها واتساع صدى هذه التجربة بما سبق إلي حياة الشاعر من اختلاف ألوانها"[١].

إلا أن الشعبية عند أبي العتاهية تختلف من الوليد إذ أنها شعبية اللفظ أو الشعبية اللغوية، وكذلك شعبية الفكرة في قربها وبساطتها ، كما أنه يعمد إلي المعاني والأفكار المطروحة في طرقات العامة وينتشلها ويستطيع بموهبته النادرة أن يحيلها إلي عمل شعري يتميز بسهولة اللفظ وحلاوة الإيقاع، وهو في ذلك يتجاوز التقاليد الفنية في التصوير والتعبير. ثم أن هذه الشعبية في اللفظ قادته إلي استخدام الأسلوب الخطابي لأنه شديد الجذب والتأثير في العامة والخاصة وأبو العتاهية كان يستميل القلوب بوعظه وتذكيره للناس، وهذه هي من سمات التجديد في فنه في الزهد.

الصنعة في شعره:

أنّ الفطرة الفنية التي قادت أبا العتاهية إلي تبؤ الساحة الشعبية والنفاذ منها إلي ذوق المحدثين والمتذوقين للشعر والمحبين له، جرت عليه ألواناً من النقد والمنافسة وردود الفعل منها:

أ/ يروي صاحب الأغاني أن مسلم بن الوليد اجتمع مع أبي العتاهية في بعض المجالس ، فقال مسلم:"" والله لو كنت أن أقول مثل قولك:

---

(١) السابق ، ص٢٠٩،٢٠٧، ٣٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحمد والنعمة لك. والملك لا شريك لك . لبيك إن الملك لك لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت ولكني أقول:

مَوفٍ علي مُهج في يوم ذي رَهجٍ كأنهُ أجلٌ يسعى إلي أمِـــــــلِ
ينالُ بالـــــرفق ما يعيا الرجال بُه كالمَوتِ مُسْتعجلاً يأتي علي مَهلِ
يكَسُـــــو السيوفُ نِفوسَ الناكِثين به ويَجْعلُ الهُام تيجان القنا الذُبلِ

فقال أبو العتاهية:" قل مثل قولي " الحمد و النعمة لك" أقل مثل قولك :" كأنه أجل يسعى إلي أجل"(١).

ب/ توجد في أشعار أبي العتاهية بعض نماذج شعرية فيها تكلف في البديع مثل قوله(٢):

الدهرُ ذو دُولٍ والموتُ ذو عِللٍ والمرءُ ذو أملٍ والناسُ أشباهُ
ولـــــم تزلْ يحيرٌ فيهن مُعْتَبَرٌ يجري بها قدرُ والله أجْـــراهُ

فقد اتجه إلي ظاهرة الترصيح(٣)، كما اتجه إلي الناس في نموذج آخر وهو قوله(٤):

لا تحقرنَّ من المعروف أصغره أحسن فعاقبةُ الإحسان حُسناهُ

هذه النماذج وأشباهها تمثل اصطناع الصنعة التي ليست من شأنه في إبداع الشعر. ولكن الشاعر يلجأ إلي ظاهرة أسلوبيه أخرى يبرهن فيها علي مدى حسه القني واقتداره اللغوي في استخدام التضمين الشعري حيث تبدأ الجملة في بيت ويتم معناه في البيت التالي. مثل قوله في هذا النموذج(٥):

يا ذا الـــذي في الحب يلحـــــي، أمـــــا والله لو كَلفتً منـــــه ، كمـــا
كـــلفِتُ من حبٍ رخـــــيم، لَمَا لمت، عليَّ في الحبَّ فذرني وما
ألقي، فإني لســـت أدري بما بُليـــــــــــتُ ، إلاَّ أنني: بينما

---

(١) الأغاني، ٤/٢٩-٣٠ ، ثقافة.

(٢) الديوان، ص ٢٤٨ ، دار الكتب ، بيروت.

(٣) الترصيع: عبارة هن مقابلة كل لفظة من صدر البيت فقرة نثر يلفظه علي وزنها.

(٤) الديوان، ص ٢٤٨.

(٥) ديوانه، ص ٢١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنا بباب القصر، في بعض مـــا أطـــــــوفُ من قصرهم، أذرمي
قـــــلبي غزال، بسهام، فما أخـــــــــطأ بها قلبي، ولكنَّها
سَـــــــهْماهُ عينانِ له كلّمـــا أرادَ قتلي بهما سلـــــــــــما

هكذا يقوم أبو العتاهية في المقطوعة علي مستوي الشطر الواحد في البيت الواحد الدليل علي أنه متمكن غاية التمكن من اللعب وتوزيع الرقة توزيعاً موسيقياً يخضع فيه تركيب الجملة الواحدة إلي مدى من التقطيع يصدق معه قوله((لو أردت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت)) [١].

وهنالك نمط آخر من صناعته اللفظية هو اتجاهه للتأثير بالقرآن الكريم من ناحية اللفظ، ويحكي إنه قال ذات مرة: قرأت بالأمس سورة" عم يتسألون..." [٢]. وقد تأثر أبو العتاهية بالقرآن الكريم ونظم قصيدة اهتدي فيها باللفظ من القرآن ليوضح أنه صاحب ملكة فنية فقط لا يزيد عن ذلك من تأثره بالقرآن، وهذه الظاهرة من الناحية الفنية تقف عند حدود استخدامه لفواصل ومفردات ورد بعضها في سورة عم والقصيدة يقول فيها[٣]:

أذَلَّ الحرصَ والطمعَ الرقابا وقدَ يَعْفُوا الكـــريمُ إذا استْترابـــا
إذا اتضَّح الصوابُ فل ا تَدَعَهُ فإنَّكَ كُلـــــَّما ذُقتَ الصوابـــا
وجدتَ له علي اللهواتِ بَرداً كبرد الماء حين صفا و طابـــا
وليس بحـــاكم مَنْ لا يُبالي أأخطأ في الحُكومةِ أم أصابـــا
وأن لكل حـــــادثةٍ لوقتاً وأن لكـــلِّ ذي عَمَلٍ حِسَابـــا
وكـــلُّ سلامةِ تعِدُ المـنايا وكـــلَّ عَمارةٍ تَعدُ الخَرابـــا
وكل مُمَلَّكٍ سَيصِيرُ يومـــاً وما مَلكـــــــتْ يداهُ معا تُرابا
كـــأنَّ محاسن الدنيا سَرابٌ وأيَّ يدٍ تَناولتْ الشـــــرابـــا
فيا عجباً نموتُ وأنتَ تبني وتَتَخِـــــذُ المَصانِعُ والقِبابـــا
ألمْ تـــرَ أن غَدوة كُلَّ يومٍ تزِيدُكَ مِنْ فنِيتك اقْـــــتِرَابـــا

---

(١) المرزباني، الموشح ص ٢٦١.
(٢) الأغاني ١٥١٤ ثقافة.
(٣) الخير في الأغاني ٣٦١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يديرُ ما تَري ملكٌ عزيـــــزٌ به شـــــــهدِتُ حوادِثهُ وَغابـــا

وهذا الاقتباس اللفظي من شأنه أن يرفع منزلته الفنية في نظر مستمعيه، وكأنما ، كان أبو العتاهية يرفع عن السهولة التي اتهم بها لدى بعض النقاد والشعراء.

الموسيقى في شعره:

كان يتحلل من نظام القافية العربية، وكما كان يتيح لنفسه أن يخرج علي تقاليدها المألوفة، كان أيضاً يخرج عن الأوزان المعروفة، ولا نعني أن شعره غير مقرون أو لم يحسن صبه في القوالب[١]، وإنما الذي حدث هو أن تقنه بأذنه الموسيقية كانت تدفعه إلي حيث شعره في قوالب موسيقية خارجه عن دوائر الخليل. يقول أبو الفرج:" وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها"[٢]. وقد سئل أبو العتاهية حول تعرف العروض فقال:" أنا أكبر من العروض"[٣]. ويضيف صاحب الأغاني ، قوله:" وله أوزان لا تدخل في العروض"[٤].

ومن أوزانه التي لا تدخل في بحور الخليل بن احمد تلك الأبيات التي قالها تنغيماً مع صوت مِدقه القصار منها[٥]:

للمـــــنونِ دائرا تٌ يدُرنِ صَــرْفها
هنَّ ينتقيننـــــا واحـــــداً فوحِـدا

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ، د. يوسف خليق ، ص ٥٨٥.

(٢) الأغاني ، ٤١٤ ، ثقافة.

(٣) الأغاني، ١٥/٤.

(٤) السابق

(٥) حكي ذلك ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٤٩٧-٤٩٨ " قعد يوماً عند حصار، فسمع صوت المدقة، فحكي ذلك في ألفاظ شعره".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجري شعره في الأوزان المحدثة كالمتدارك الذي استدركه الأخفش علي الخليل حيث لم يذكره من جملة البحور ووزنه الصحيح "فاعل" أربع مرات وقد تعتريه العلل و الزحفات مثل قوله(١):

همُّ القاضي بيتَ يَطْربْ قال القاضي لمَّا عُوتب
ما في الدنيا إلاَّ مُذنَبْ هذا عذرٌ القاضي وأقلب

فهو علي "فعلن" أرع مرات.

ومن نماذج خروجه علي العروض أيضاً قوله(٢):

عُتبُ ما للخَـــيالِ خبرّيني وحَـــالي
لا أرَاهُ أتـــــاني زَائـــراً مُذْ لَيالِي
لو رآني صديقٌ رَقّ لي أوْ رَثالِي

وهذا تجديد واضح في الوزن ولكنه لم يكن ثورة علي المورث أو تنكر له ولا حتى رغبته في إظهار مهارة، بل غزاره طبعه الموسيقي كانت تدفعه لإبداع كلام موزون منغوم يشاكل ويشابهه، وعندما تكتشف هذه الأوزان عند القارض للشعر يكون أبو العتاهية أكثر فرحاً وقبطة لأنه يعتبر نفسه قد أضاف إلي موسيقي الشعر العربي أوزاناً جديدة ، ولذلك حق قوله:" أنا أكبر من العروض".

ونسبة للطاقة الموسيقية المتدفقة لديه كان خروجه علي التزام القافية في مزدوجته المعروفة بـــ " ذات الأمثال" والتي سبق التعرض لها ومطلعها:

حَسْبُكَ ما تَبتغيهِ القـــــوتْ ما أكثر القوتَ لِمَنْ يَمــوتُ

وكذلك خروجه علي نمط القافية في تضمينه الملفت للنظر الذي سبق الاستشهاد به في مقطوعتهِ التي مطلعها:

يَا ذَا الذي في الحُبِّ يَلْحَي ، أما واللهِ كـــــلِفتُ مِنْه، كـــــما
كـــــــلِفْتُ مِنْ حُبِّ رَخيمٍ، لما لمنْ علي في الحُبَّ قُدري وَكما

فهو في هذين النموذجين يخرج عن القافية تارة بإهمال التزامها و أخرى بإهمال نظامها المعروف وإفضاءها نظام جديد هو أشق أداء. وتلك الطاقة الفنية

---

(١) الديوان، ص ٣٤٤ و ١٩٠١٩.

(٢) الموشح المزرباني ، ص ٣٦١ط ١٤٣٣ هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في إحساسه بالإيقاع الموسيقي في اللغة هي التي جعلته يحس بالبعد الموسيقي في لغة الخطاب اليومي" العامة الباعة" يروي صاحب الأغاني[١]. عن شيخ أهل بغداد قال: " أبو العتاهية أكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم، قال فبينما نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه مسح[٢]:

يا صاحب المسح تبيعُ المِسحَا

فقال أبو العتاهية: هذا من ذلك، ألم تسمعوه يقول: يا صحاب المسح تبيعُ المِسيحا" قد قال شعراً وهو لا يعلم ، ثم قال الرجل:

تعال إن كنت تريد الربحا

وهذا يدل علي غزارة طبعه بالإحساس الموسيقي كما يدل علي موهبة فريدة وطبع غزير هو الذي مكنه من تلك التجديدات الموسيقية، وهذا ما أردنا الكشف عنه في بحثنا هذا إذ أنه يعدُّ من المجددين في أوزان الشعر، بل المجددين في الشعر العربي بهذه الطاقة الإبداعية الواسعة، المتمثلة في المعاني السهلة البسيطة و الألفاظ الواضحة الشعبية في اللفظ. وتجديده في الأوزان بهذا القدر يمكن لنا القول بأنَّ أبا العتاهية كان مجدداً في الشعر العربي كبشار وأبي نواس، وقد ظهر تجديده في الموضوعات الشعرية خاصة الزهد، ولكنه لم يقف عند الزهد فقط في استخدام الشعبية ، بل بدأها ثم سار سيره الشعراء في عصره يمدح ويهجو، وينشد كما تغزل أيضاً في "عُتبة" وغير ذلك من الأغراض الشعرية التي نظم فيها. أما من ناحية الشكل فلاحظنا الإضافة الحقيقية التي أضافها الشاعر في الأوزان الشعرية كما بيّنا ذلك من قبل.

وإذا كان الشعراء الثلاثة: مجددين في الشعر العربي حسبما وصلت إليه، إلا أنه لا يعني أن ليس هناك غيرهم في هذا الاتجاه، وإنما هناك كثير من الشعراء أضافوا إضافات واضحة في هذا المجال منهم:

---

(١) الأغانى ٤/٤١ ثقافة.

(٢) المسح : كساء من شعر كثوب الرهبان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسلم بن الوليد: الذي عرف في شعره بالصنعة والتصنيع، وهو أول من قال الشعر المعروف بالبديع واتخذه مذهباً في شعره، وقد لقب هذا الشعر بالبديع واللطيف، وتبعه جماعة ، أشعرهم أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه"[١].

وقال أبو العباس محمد بن يزيد:" كان مسلم بن الوليد شاعراً حسن اللفظ جيد القول في الشراب وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعني، وهو أول من عقد . والقول في مسلم يشبه القول في أبي نواس وإلي حد. فقد كانا يجتمعان فيتحاجان في شعرهما[٢]. علي أنَّ أبا نواس أقول طبعاً ،ومسلم أكثر صناعة وإلحاحاً علي البديع يطله من كل وجهة، يطلبه في اللفظ والصورة ، ويستخدمه في كل وسيلة للتعبير عن معانيه.

وهو يعتمد في شعره اعتماداً شديداً الإطار التقليدي وما يرتبط من جزالة الأسلوب ومتانته ورصانته وقوته، ومسلم صاحب رؤية في الشعر لا يرتجل ولا يقول الشعر عفواً كأبي نواس وأبي العتاهية ، فالشعر عنده صناعة مجهدة لابد فيه من التريس والتمهل والصقل والتجويد.

وهذا البناء الضخم في شعره لا تكفي ضخامته بل لابد أن يضاف إليه الزخرف الجديد الذي كان يأتي علي قلة في الشعر القديم وأكثر عنه بشار وخلفاؤه ولكنهم لم يتخذوه مذهباً كما فعل هو.

أنظر إليه في مديحه حيث نلحظ الصنعة والجهد واضح في اختيار الألفاظ ومن حيث إضافة المحسنات البديعية من طباق وجناس ، يقول:

يغشي الوّغى وشهابُ الموت في يده يَرمي النوارسَ والأبطالِ بالشُعَلِ
يَقترَّ عندَ اقـــــترابِ الحربِ جشحاً إذا تغير وجه الفوارس البطـــلِ
مُوفٍ علي مُهج في يوم ذي رَهج كأنه أجلٌ يســـــــعى إلي أملِ
ينالُ بالـــــــرفق ما يعيا الرحالُ به كالموت مستعجلاً يأتي علي مهلِ

فهو يعتمد علي النحت وقوة البناء، كما يعتمد علي الزخرف وقوة الصنيع.

---

(١) نجيب محمد البهيتي: تاريخ الشعر العربي في آخر القرن الثالث ، ص ٤٦٦. منقول عن ملحــق بــديوان مسلم طبعة بمباى ص ١٥٤.

(٢) الموشح المزرياني: ص ٢٨٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومسلم يسير بين التجديد والتقليد في شعره لا يفارق القديم، فهو يركب راحلة إلي المروح يقطع بها المهمة الفقر، ويلقي في ذلك ما اعتاد الراحلون أن يلقوه في رحلتهم إلي ممدوحيهم[١].

يقول مسلم:

إلي الإمـــــام تهادانا بارْحُلنا ... خلَقٌ من الريح في أشـباحُ ظلمانِ
كأنَّ أفْـــلاتُها والفجرُ يأخذَها ... أخلاقُ صَادرةٍ عن قَوسِ حُـسْبانِ
يســتودعُ الليلُ أسرارَ المهومِ إذا ... باحَ النعاسُ يعجزِ الصاحبُ الواني
فيهوي بأشعثَ لو يستطيعُ أعقبها ... ثغري مجـــــاهلَ غيطان لغيطانِ
قضتْ عــلي الليل بالأدلاج همته ... فقدَّه بســــــؤورِ الليل مِذْعانِ[٢]

ولكنه لا يقف عند ركوب ناقته إلي الممدوح، فقد يركب إليه الغيث والبحر فيصفهما فيبتدع في الوصف:

ومُلتطِم الأمـــــواج يرمي عُبابهُ ... بجرَجرة الأذى للعب فالعْبـــــرِ
مطعّمه حيتانُـــــهُ ما يقبُّهـــا ... مـــا كل زادٍ من غريقٍ وفي كسرِ
إذا عتَنقتْ في الجـــنوب تكفأت ... جَـواريهِ وقامت مع الريحِ لا بحرِ
كـــــأنَّ مَدَبّ المَوجِ في جَنباتِها ... قَرَب الصَّبا بين الوعاثِ من العُفرِ[٣]
كشفتُ أهاويل الدجى عنَ مـــهُولة ... بجـــــاريةٍ محمولةٍ حاملٍ بكْرِ
لَطـــمتُ بخديها الحبابَ فأصبحت ... موقفة الرايات مرتومة النَحـــــرِ
إذا أقبلتْ راعتْ بقنَّة[٤] قـــرهب ... وإن أقـــدمَتْ راقتْ بقادمتي[٥] نسرِ
تجافي بهـــــا النوتيُّ حتى كأنها ... تسير في الإشفافِ في جبلٍ وَعَـــرِ
تَخلَّـــجَ عن وجه الحياة كما أنثنـــتْ ... مخـــــبأة من كَسر سترٍ إلي سترِ

---

(١) نجيب محمد الدهيتي، ص ٤٦٩.
٢) ديوان مسلم ص ٧٦، ٧٧.
٣) الوعاث : الناعمة – الاعفر : الكثيب الأحمر.
٤) بقنة : أي براس ثور وحشي مسن.
٥) بقادمتي : يشبه بهذين مقاذفها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فحَـــــــامتْ قليلاً ثم مرَّت كأنَّها عُقَاب تدلت من هواء علي وَكـــرِ
كأنَّ الصَّبا تحكي بها حيثَ واجهــت نسيم الصَّبا مشي العروسِ إلي الخِدْرِ
يَممـــــنا بها ليلُ التَّمام لأربـــعٍ فَجَـــــاءةْ لستٍّ قد بقين من الشهرِ

فالشاعر هنا يركب السفينة إلي الممدوح، ويخلص محل الراحلة ويصفها ويصف البحر فيطنب في وصفها وكأنه يرضي ميلاً خاض فيه إلي وصف البحر والسفينة وإن اتخذ الممدوح سبباً إلي ذلك وهذا تجديد في شعره، وقد وصف النابقة قبل ذلك الفرات، ولكنه لم يستخدمه هذا الاستخدام ويجعله محل الراحلة ، ومسلم بن الوليد يشبه أبا نواس في غزله وخمره، ووصف الشراب ومجلسها. ولكن يمكن لنا أن نقول بأنَّ شعر أبي نواس يميل إلي الطبع كثيراً بينما شعر مسلم فيه الصنعة واضحة، ولعله بهذه الصنعة أصبح صاحب هذا المذهب حقاً، فقد أخذ ينميه وحقق لنفسه منه نماذج بديعة، مما جعل الشعراء بعده تحاكيه وتقلده ، وهو لهذا يعدَّ من شعراء الاتجاه التجديدي الذين ساهموا في التجديد في العصر العباسي الأول، وقد أدخل تحولاً ما في نظام القصيدة العربية في سواء في الشكل أو الموضوع. وغيره كثيرون في هذا الاتجاه مثل: ابن هرمه والعتابي ومسلم الخاسر و العباس بن الأحنف، وغيرهم من الشعراء الذين أسهموا في تطوير الشعر في العصر العباسي، ولا نريد ان نفصل فقد اكتفينا بهذه النماذج لما لها من أثر واضح في هذا الجانب ، ولقد سلطنا الضوء علي بشار وأبي نواس و أبي العتاهية لما تمتعوا به من قدرة شاعرية كان لها أثرها الواضح في تغيير نظام القصيدة العربية في الشكل والمضمون كما أوضحنا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

بنهاية الفصل الثالث الذي خصصناه لنماذج التجديد في الشعر في العصر العباسي الأول نكون قد حتمنا دراستنا في هذا الموضوع وآمل أن أكون قد وفقت في طرحه.

لأنَّ موضوع الدراسة جدير بالاهتمام وذا قيمة واضحة فقد سلط الباحث عليه الضوء بشيء من التفصيل ، خاصة في العصر العباسي الأول. لأنه يعتبر البداية الفعلية للتجديد في الشعر. حيث لمسنا ذلك من خلال التطور الذي طرأ علي القصيدة العربية في مطلع القرن الثاني والثالث في مجال الشكل والمضمون ، كما رأينا في شعر بشار وأبي نواس وأبي العتاهية، ويعدّهم رواد هذا الاتجاه التجديدي في هذا العصر. رغم أن هنال مسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف و ابن هرمه ، والعتابي وغيرهم ممن ساهم في إضافة أي جديد في شكل أو مضمون القصيدة العربية.

ولقد رأينا من خلال هذه الدراسة ، كيف كان التجديد في شكل القصيدة الجاهلية وفي مقدمتها بصفة خاصة، حيث ثار أبو نواس علي هذه الافتتاحية القديمة للقصيدة العربية " الوقف علي الأطلال" واستهل قصائده بوصف الخمر، ثم كان بشار من قبله بصماته الواضحة في اختيار المعاني والصور الشعرية، كذلك أبو العتاهية في بساطة أسلوبه وشعبية ألفاظه وأوزانه الشعرية، ثم مسلم بن الوليد وما أحدثه في القصيدة العربي باستخدامه للبديع في كثير من قصائده. كما شمل التطور والتجديد الموضوعات والأغراض في وصف الطبيعة المصنوعة، باعتبارها من مظاهر الحضارة الجديدة، ثم كان الرثاء للمدن و الحيوان و الطير ،والتجديد الواضح في الأغراض عند أبي نواس في الغزل بالمذكر وتميزه.

قد تحدث الباحث في الفصل الثاني عن النهضة التي شملت أغراض وموضوعات القصيدة والأوزان والأساليب ، وكلما يتصل بهما. وجدنا أن هناك نقاداً معصبين للقديم رافضين للجديد، وآخرين وقفوا مع الجديد وارتضوه، وقد أورد الباحث آراءهم بشيء من التفصيل موضحاً ما راءه بكل تجرد وأمانة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالفصل الثالث الذي عقده الباحث لنماذج من الشعراء المجددين يكون قد وصل الباحث إلي ختام البحث آملاً أن يكون قد أضاف بعداً جديداً في هذا الموضوع حتى يشعر القارئ بالفائدة والالمام ببعض جوانب هذه الدراسة. ولا يكون الباحث قد أوفي هذه الدراسة حقها كاملاً ، ولكن قد أوضح ما عثر عليه، وأظهر بعض ما خفي عن الأعين، ويبقي التقصير صفة الإنسان، والكمال لله وحده، فنسأله التوفيق والسداد فإنه نعم المولي ونعم النصير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتائج البحث

من خلال هذه الدراسة التي عقدناها عن التجديد وشعرائه وأثره في ازدهار الشعر في العصر العباسي الأول. خرجنا من هذا البحث بعدة نتائج أرجو أن تكون معينة للدارس في الأدب العباسي وخاصة في مثل هذه الظواهر التي تركت بصمات واضحة في تاريخ الأدب، وما ترتب عليها من هجمة شرسة من النقاد، وأهم هذه النتائج تتلخص في الآتي:

١- أنّ القصيدة العربية قد أصابها بعض التغيير في شكلها ومضمونها، نتيجة للتطور الذي لازم الحياة العباسية حياة الحضارة والرقي، مقارنة بالشعر الجاهلي التى تسوده حياة البادية، وهو شعر البديهة والارتجال ، وكان يقوم علي السليقة والفطرة والطبع.

٢- وضح لنا من خلال الدراسة أن الحياة العباسية المتطورة جاءت بالإكثار من شعر اللهو والمجون والإسهتار بالشراب ، وجاءت بالغزل في المذكر، ووصف القصور والرياض وكل ذلك أعراض جديدة، ولكن لها أصل في الشعر الجاهلي والإسلامي. أما الجديد محض فهو الغزل بالمذكر. ولكن ليس شيئا ذا بال، وكل هذا ليس بجديد، وإنما مسايرة الشعر للحياة الجديدة وتمشٍ معها في بعض صورها،

٣- إن الشعراء العباسيين جددوا في مجال الأوزان حيث استخدم الشعراء العباسيين الأوزان الخفيفة المجزوءة لمناسبة تلك الأوزان لإيقاع العصر في الغزل والمجون، كما ابتدع الشعراء العباسيون بعض الأوزان الجديدة التي لم تكن أصلا موجودة في الشعر القديم، كالمقتضب والمضارع التي اكتشفتهما الخليل، والمتدارك الذي اكتشفه الأخفش. كما حاول بعض الشعراء استنباط أوزان جديدة من الدوائر العروضية التي وضعها الخليل بن أحمد، مثل: المستطيل وهو مغلوب بحر الطويل (مفاعيلين فعولن مفاعيلن فعولن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- التجديد في الموضوعات القديمة كان تجديدا لا يقوم علي التفاضل بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة، بل يقوم علي التواصل، لأنهم ظلوا ينظمون في المديح وغيره مما كان نظم فيه الجاهليون والإسلاميون، ولذلك أبقوا الشعر العربي علي شخصيته المورثة

٥- كان للجديد أثر كبير في ازدهار الشعر في العصر العباسي الاول تمثل في بعض الأغراض مثل: الشعر التعليمي، رثاء المدن، والحيوان والطير، كذلك الغزل بالمذكر، ووصف وسائل الثقافة، كذلك كان الأثر واضحاً في مجال المقدمة الشعرية وما أحدثه أبو نواس من ثورة على الأطلال القديمة واستبدالها بالخمر.

٦- من خلال هذا البحث وضح أن هناك خصومة بين القدماء والمحدثين نتج عنها أن النقد الأدبي في العصر العباسي عصر المحدثين أصبح يخوض في شعرين بعد أن كان يخوض في شعر واحد، وإلى أن يقبل النقاد عليهما بالتحليل والموازنة وكذلك ينتهى الأمر بالنقد إلى أن يخوض في مذهبين خفيين بعد أن كان يخوض في مذهب واحد وبعد أن كان النقد منصرفاً تماماً إلى النظر في شعر القدماء، وتحليل عناصر هذا الشعر وبيان طبقات أصحابه ولا يهتم في شعر المحدثين ولا يعتد به تحول الوضع وأصبح النقاد ينظرون في شعر المحدثين ويهتمون به اهتماماتهم بشعر القدماء.

٧- نستنتج من هذه الخصومة بين القدماء والمحدثين أن الشعر الجديد جيد في معظمه، بل لا يقل جودة عن شعر القدماء إن لم يفقه في بعض نماذجه، وهذا باعتراف اللغويين أنفسهم، ورؤوس المتعصبين للقديم، وذلك حيث كانوا يستجيدون شعر المحدثين، وهو يتلى علي مسامعهم لأول مرة، وقبل أن يعرفوا قائله، ويلهجون بالثناء عليه وعلي صاحبه، فإذا عرفوا قائله، وعرفوا أنه يعاصرهم، ويعايشهم ويساكنهم، استهجنوا الشعر واسترذلوه، وتغير موقفهم تماماً من الثناء الكامل إلي الطعن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل ، ومن هذا دلالة قوية وأكيدة علـــي تعصـــبهم الأعمـــى للقـــديم، وتناقصهم الواضح في موقفهم من شعر المحدثين، وقوة شعر المحـــدثين وجودته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص البحث

تناول الباحث في هذه الدراسة الاتجاه التجديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول بتمهيد لها، تحدث فيه الباحث عن التغيير الذي طرأ علي الحياة العباسية سياسياً واجتماعياً وثقافياً، ثم تعرض للحياة الاجتماعية والثقافية، والتطور الثقافي والنهضة العلمية التي لازمت تلك الفترة، ثم تناول التقسيم الذي رآه النقاد للأدب وميزة كل تقسيم.

في الفصل الأول تحدث الباحث عن الشعر بين التراث والتجديد في العصرالعباسي، حيث تناول بداية القصيدة العربية ومكوناتها، وصورة الشعر قبل بداية التجديد أي: في الجاهلية وصدر الإسلام، والعصر الأموي. مدعماً ذلك بنماذج من الشعر الرصين، وتناول في هذا الفصل أيضاً التطور والتجديد الذي لازم الشعر في العصر العباسي. كذلك الدوافع والأسباب التي أدت إلي التجديد ومظاهره من قبل.

تحدث عن السمات الفنية التي أفرزتها الحياة الثقافية والعقلية لدى الشعراء العباسيين، وختم الفصل بالحديث عن التجديد في الموضوعات القديمة، المدح، والهجاء، والرثاء، والفخر، والغزل، وتعرض الباحث إلي الحديث عن الموضوعات الجديدة مستشهداً بالشعر موضحاً مواطن التجديد.

أما في الفصل الثاني، فقد أفرده الباحث للحديث عن أثر التجديد في نهضة الشعر في ذلك العصر. حيث حصر أثر التجديد في عدة جوانب منها: الأثر في الأغراض حيث شمل الشعر التعليمي، ورثاء المدن، ورثاء الحيوان، والغزل بالمذكر، ووصف وسائل الثقافة. ثم الأثر في المقدمة، وفي الصياغة، والأوزان، والأثر في القوافي.ثم تحدث الباحث عن أثر التجديد في الأسلوب، وعن قيمة التجديد.

أما المبحث الثاني، فقد تناول فيه آراء النقاد وموقفهم من التجديد والمجددين، حيث قسَّم النقاد إلي قسمين: المتعصبون للشعر القديم وهم علماء اللغة وهم علماء اللغة، والنحو، وبعض الشعراء، والنقاد، والذين أنصفوا الجديد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وآزروه، وهم بعض علماء اللغة، والشعراء والنقاد، وفي ختام البحث تحدث الباحث عن أسباب موقف اللغويين من الجديد في الشعر.

أفرد الباحث الفصل الثالث للحديث عن نماذج من المجددين في الشعر. تعرض فيه ليشار بن برد في شاعريته والأغراض التي جدد فيها، وتجديده في المعاني والصورة، كذلك أبو نواس تحدث عن التجديد عنده محللاً بعض أشعاره، موضحاً ثورته علي الأطلال والخمر ثم تجديده في أغراض الشعر خاصة غزله بالمذكر الذي يعتبر غرضاً جديداً من أغراض الشعر.

كذلك تطرق للتجديد عند أبي العتاهية كنموذج ثالث من الشعراء المجددين. حيث وضح سمات التجديد عنده في قرب المعني وسهولة اللفظ، والشعبية الشعرية، والصنعة في شعره والموسيقي وتجديده في الأوزان. وقد تحدث الباحث بايجاز عن مسلم بن الوليد وما أسهم به في هذا الباب.

وقد أفرد الباحث لكلٍ واحد منهم مبحثاً أوضح فيه التجديد عندهم سواء في المعني أو اللفظ أو الشكل أو الموضوع بصفة عامة. وبهذا يكون قد ختم الباحث دراسته التي قدّر أن تكون قد أسهمت في تسليط الضوء علي هذه الظاهرة، ثم ختم الباحث بحثه باستخلاص النتائج والمصادر التى اعتمدت عليها في الدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

This study deals with the modernist trend and its influence on the revival of poetry in the early Abbasid epoch. It discusses the changes in the political, social, and cultural life in that period. It also discusses the divisions of literature as seen by critics, and the characteristics of each type.

Chapter one is about poetry, traditional and modern , in the Abbasid ear. It touches on the beginning of Arabic poem and its components, and the image of poetry before modernization, namely in the re- Islamic era and early Islam, and the Ummayed era, this supported by samples from fine poetry. This chapter also discusses the development of poetry in the Abbadi era, and the motives and caused that led to the modernization and its manifestations. It discusses the artistic characteristic produced by cultural and intercultural life of the Abbasid poets. It is concluded by modernization in the old themes: eulogy, satire, lamentation, ride and love. The researcher touches on the modern themes and where they are mentioned on poems.

Chapter two deals with the influence of modernization on the revival of poetry in that era. The influence is restricted to: the purposes such as teaching poetry, lamenting towns and animals, and love. And describing the means of culture, and rhymes. The researcher then discusses the influenced modernization on style and the value of modernization.

The second research theme discusses the opinions and attitudes of critics to modernization and modern poets. Critics are divided into two: the hardliners for old poetry and the modernists. The former are the linguists, grammarians, and some poets and critics, and those who did justice to modern poetry. The latter are some linguists, poets and critics.

At the end the researcher discusses the causes behind the linguists attitude to modern poetry.

Chapter three takes some samples of modern poets such as Bashar Ibn Bard and the changes he introduced to the purposes, images, and meanings; Abunawas and his revolt against the themes of remains poetry and wine, and the changes he made in

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

poetry purposes especially love of males which is regarded as a new purpose of poems; Abuala'tahiya and his poems' traits such as ease of meaning and phrasing , popularity music, and meters. The researches only touches on Muslim, Ibn Alwaleed and his contribution to that effect.

The researcher thus concludes the study which he hopes it will contribute to shedding some light on this phenomenon. The research in concluded with the results, recommendations, and the sources consulted.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس ، موسيقي الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٨م.
- ابن رشيق، أبو الحسن ابن علي: العمدة في صناعة الشعر، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم: الشعر والشعراء ، ط القاهرة.
- ابن المعتز: الطبقات، تحقيق: عبد الستار فراج ، ط١ ، القاهرة دار المعارف.
- ابن منظور، محمد بن مكر بن علي أبو الفضل جمال الدين: أبو نواس ، تقديم: عمر أبو النصر، ط بيروت ، دار الجيل.
- ابن النديم أبو الفرج محمد بن اسحق: الفهرست، ط لبينزج.
- أبو العلاء المعري: العضول والغايات، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٣٨م.
- أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١.
- أحمد الشايب: تاريخ النقائص في الشعر العربي، ط القاهرة ،
- أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط١، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٢م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، دار الكتب المصرية ، الطبعة السادسة، دار الثقافة.
- الاصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب: فحولة الشعراء، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، طه محمد الزين، مطبعة الجندية بالأزهر، ١٩٣٥م.
- أنيس المقدمة: أمراء الشعر في العصر العباسي، المطبعة الأمريكانية، بيروت.
- بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط٦، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م،.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الجاحظ: الحيوان، دار الكتب بيروت.
- الجاحظ: رسائل الجاحظ ، نشر يوشع فنكل.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت.
- الجرجاني، القاضي أبو الحسن علي بن العزيز بن الحسين بن علي: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسي البابي الحلبي ، القاهرة.
- الجمحي، محمد ابن سلام بن عبدالله: طبقات فحول الشعراء.
- جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ط القاهرة ، مطبعة دار الهلال.
- الحافظ أبوبكر أحمد بن علي البغدادي : خزانة الأدب ، ط١، القاهرة، مطبعة بولاق.
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، القاهرة ، ط٤، حنا الفاخوري ، ط بيروت ، المطبعة البوليسية.
- الدينوري ابوحينفة احمد بن داوه : الأخبار الطوال ط ليدن ١٨٨٨.
- ديوان ابن الزيات محمد بن عبد الملك ، بن ابان ، الديوان : دار الكتب العلمية ، بيروت.
- الحسن بن هاني ابو نواس ، ديوان أبو نواس: دار الكتب العلمية ، بيروت.
- اسماعيل بن القاسم ابو العتاهية ، ديوان أبي العتاهية: دار الكتب العلمية ، بيروت.
- حبيب بن أوس الطائي ابو تمام ديوان أبي تمام: دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ديوان أمرئ القيس: دار الكتب العلمية ، بيروت.
- بشار بن برد ديوان ، بشار بن برد: دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسلم بن الوليد ، ديوان مسلم بن الوليد، دار الكتب العلمية ، بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ابو الفضل عبد الرحمن بن الكمال ابوبكر جلال الدين السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبوبكر جلال الدين، المزهر ، ط القاهرة ،مطبعة الحلبي.
- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ،العصر الإسلامي.
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ط ، دار المعارف.
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩.
- الصولي، أبو بكر محمد بريجي: الأوراق ، ط١.
- الطبرى: أبوجعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري، ط القاهرة ، الحسينية.
- طه حسين: حديث الأربعاء، ط١٢، القاهرة ، دار المعارف.
- طيفور أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر، تاريخ بغداد.
- عباس محمود العقاد: أبو نواس، ط دار المعارف ، القاهرة.
- عبد الرزاق حميدة: أدب الخلفاء الأمويين ، مطبعة الأنجلو المصرية.
- العربي حسن درويش: أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٧م.
- عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي الرؤية والفن، دار المعارف، ١٩٨٠م.
- قحطان رشيد التميمي: مروان بن أبي حفصة شعره
- ابراهيم عبد القادر المازني ، بشار بن برد ، مطبعة دار الشعب ، القاهرة.
- محمد السعدي فرهود: اتجاهات النقد الأدبي العربي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
- محمد عبد العزيز الكفراوي: تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وبني أمية، مطبعة القاهرة.
- محمد عنيمي خلال: النقد الأدبي ، ط٣ ، نهضة مصر الفجالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- محمد مصطفي هداره: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١م، الطبعة الثالثة.
- محمود السعدي: نصوص نقدية ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط٢، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م.
- محمود مصطفي: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، ط٢، القاهرة.
- المرزباني، محمد بن عمران بن موسى بن سعيد: الموشح في مآخذ العلماء علي الشعراء، ط١ ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ .
- المسعودي ابوالحسن علي بن الحسين: مروج الذهب، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة رابعة القاهرة.
- مصطفي الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط بيروت، مطبعة دار العلم للملايين.
- المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر (الضبي) المفضل الضبِّي: المفضليات، تحقيق وشرح: احمد شاكر عبد السلام هارون.
- نجيب محمد البهبيتي: تاريخ الشعر العربي في آخر القرن الثالث الهجري ، دار الفكر.
- ياقوت الحموى، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي: معجم البلدان، ط١، القاهرة.
- يوحنان فك: العربية ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٢م.
- يوسف خليف: تاريخ الشعر العباسي، القاهرة ، مطبعة دار الثقافة ١٩٨١م.
- يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر	ج
التمهيد	١-١٤
الفصل الأول	
الشعر بين التراث والتجديد	١٤-٥٨
المبحث الأول: صورة الشعر قبل بداية التجديد	١٤-٢٩
المبحث الثاني: مظاهر ودوافع التجديد	٣٠-٤٤
المبحث الثالث: التطور في الموضوعات القديمة في العصر الأول	٤٥-٥٨
الفصل الثاني	
اثر التجديد في نهضة الشعر	٥٩-١١٤
المبحث الأول: اثر النهضة على القصيدة العربية	٦٠-٨٧
المبحث الثاني: اراء النقاد في ظاهرة التجديد	٨٨-١١٤
الفصل الثالث	
نماذج من المجددين	١١٥-١٩٤
المبحث الأول: ا لتجديد عند بشار	١١٦-١٤٥
المبحث الثاني: التجديد عند أبي نواس	١٤٦-١٦٨
المبحث الثالث: التجديد عند أبي العتاهية	١٦٩-٩٤
الخاتمة	١٩٥-١٩٦
النتائج	١٩٧-١٩٦
ملخص البحث باللغة العربية	٢٠٠-٢٠١
ملخص البحث باللغة الانجليزية	٢٠٢-٢٠٣
قائمة المصادر والمراجع	٢٠٤-٢٠٧
فهرس المحتويات	٢٠٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com